

جمعية عاديّات سلمية

مجموعة مؤلفين



الآثار والتراث في سلمية

تأليف

غالب المير غالب - أمين محمد قداحة - نزار مصطفى كحلة - علي أمين
علي عواد - غسان قدور - شادي أبو حلاوة - إخلاص الديبّات - د . غزوان ياغي -
حسن القطريب

2018م

دراسات أثرية وتراثية

كتاب الآثار والتراث في سلمية

مجموعة مؤلفين

العنوان: الآثار والتراث في سلمية

الناشر: جمعية عاديّات سلمية

موافقة وزارة الإعلام:

الطبعة الأولى 2018م

دار الطباعة:

كافة حقوق الطباعة والنشر محفوظة لجمعية عاديّات سلمية

التتضيد والإخراج الفني: نزار مصطفى كحلة

مقدمة

التراث هو خلاصة ما صنعته الأجيال الماضية، هذه الأجيال التي تركت خلفها آثارها التي عايشتها، وامتزجت بعرقها ودموعها، وحزنها وفرحها، وسقمها وصحتها، وما ترك الأجداد من خلاصة حياتهم لتكون عبرة من الماضي ونهجاً يستقي منه الأبناء الدروس والعبر، والتراث هو ماء الجذور التي يمتصها المجتمع اليوم من أعماق التاريخ الذي طويت صفحته وذابت أحداثه في ماء الجذور ونسغها، وفي التراث مجمل موروثات تعكس الأصالة، وتحمل عبق الماضي القريب والبعيد، ونكهة الأرض بترابها وماءها ووردها وطيورها، وذكريات الآباء والأجداد وصفاتهم وعاداتهم الأصيلة، وكل ما أعطته الحياة، وما أعطوه للتاريخ من أحداث ومعاني حقيقية لماضي انقضى وبقيت آثاره بجمالها وقبحها، وبسعادتها وشقائها، وبقيمتها الموروثة من تقاليد ومعارف شعبية وأدبيات متشابهة، والتراث الشعبي مشكل من كل إبداع مضى عليه الزمن، وهو ثروة مجموعة من نتاج تجارب الإنسان ورغباته وأحاسيسه في ميادين العلم والفكر والعمل والتواصل الاجتماعي والعلاقات المتبادلة، والقيم والعادات والتقاليد، والثقافة المادية، والفنون المعمارية والتشكيلية والموسيقية، وما اكتسبه من مكتسبات جديدة لم تكن موجودة من قبل، وليس ذلك فقط بل يمتد ليشمل جميع النواحي المادية والوجدانية للمجتمع من فلسفة ودين وتربية، وللتراث الشعبي أهمية بكل تفاصيله من فلكلور واقتصاد، بصرف النظر عن حقيقة هذه العناصر وانطباعاتها، إن كانت جميلة نعتز بها، أو ذميمة نخجل منها، فمن شكّلوها لم يعيشوا في مجتمع مثالي، ولم يكونوا ملائكة ولا شياطين، بل هم مكونات مجتمع يحمل الخير والشر، والطيبة والقسوة، وإذا كان لكل مجتمع خصوصياته التي صنعها كما أملت على الظروف التي مرت به، والآلام التي عاناها، والآمال التي حلم بها، وهكذا يتبين لنا أن التراث هو علم ومعرفة وثقافة خاصة قائمة يهتم بها مجتمع ما في محاولة جادة لإظهار طبيعة الحياة التي كان الأجداد يعيشونها، وفي سبيل إعادة بناء تلك الحياة من جديد وعرضها على الملأ لتكون بضاعة متنوعة يؤخذ منها ما يناسب الحياة العصرية، ويترك ما هو غير مفيد، وذلك لأن المفيد قديماً ليس بالضرورة أن يكون مفيداً اليوم، وأي مجتمع لا يعيد تصور تراثه ودراسته بدقة وروية وتمحيص، في سبيل توثيقه وأخذ ما فيه مناسب وإعادته إلى الاستخدام من جديد، وتطوير الموجودات التراثية لتناسب العصر الذي نحياء، وإلا سيكون

مجتمعاً ناقصاً للمعرفة والحدثة ومواكبة العصر واكتشافاته العلمية على مدار الأيام، ومن الطبيعي أن تكون المجتمعات المتعاصرة بحاجة لبعضها البعض، وكل مجتمع يحتاج للأخذ من تراث مجتمع آخر لكي يعتمد عليه في تطوير نفسه، وتراث أي مجتمع يجب أن يكون أصيلاً خاصاً لا تبعية فيه، منقى من الشوائب التي دخلت عليه بفضل الزمن والاحتكاك مع المجتمعات المجاورة والمختلفة عنه، والتراث الخاص والمستقل هو صاحب الجذور الحضارية العميقة.

التراث السلموني عبارة عن مرحلة حياة لمجتمع، بدأت تلك الحياة منذ عام 1848م، تاريخ عودة أهل سلمية الأخير إلى موطنهم الذي تركوه أجدادهم لظروف مهمة وقاهرة، ويمكننا أن نصنف تراثنا السلموني على أنه معركة مقدسة طويلة الأمد بين الجهل بكل مفرداته وتشعباته المختلفة، وبين العلم ونقاء العقل وضرورة التفكير والحض على الإنتاج والابداع، ومن نتائج هذه المعركة كان التطور السريع وتغيير نمط الحياة البسيطة إلى مجتمع واسع يعتبر العلم والمعرفة فيه نبراساً يهتدي إليه كل راغب بالبحث والتنقيب، إن الوعي للمعرفة والعلم في سلمية كان باكراً، بل يمكننا القول بأنه امتداد لعقول مبدعة منذ مئات السنين، حيث إن القراءة والبحث وطلب العلم من أهم أركان العقيدة التي آمن بها المجتمع السلموني، الذي تسود فيه المعرفة والعقل، وتقل فيه إن لم تندر كل عوامل الظلم والاضطهاد والتعسف وتحريك الأحقاد الدفينة، تراث سلمية يحكي عقود من النمو والتطور، من خلال حرية الاختيار التي يتمتع بها كل سلموني، وفيه كل فرد يختار طريقه بنفسه، قد يحتاج للمساعدة في اختياره ويطلبها ممن يثق بهم وبقدراتهم العقلية، يحاورهم ويستمع إلى أفكارهم، وفي نهاية المطاف يقع اختياره على رؤيته الخاصة للأمور التي يعتقد أنها صحيحة وتناسب عقله وأسلوب حياته، لهذا نرى في منطقة سلمية التنوع الثقافي والسياسي والديني، ففي البيت الواحد يمكن إيجاد عدة قناعات تتعايش مع بعضها البعض، تتحاور أحياناً، تختلف وبالنهاية الكل يجمعهم عنصر هام (ربما يكون غير متواجد في كثير من المجتمعات) لا يقبل أي فرد من سلمية التخلي عنه، ألا وهو حرية الاختيار، وهذه الحرية جداً مهمة في طبيعة المجتمع السلموني، فهي التي تشعره بأنه إنسان كامل له حق اختيار طريقه بنفسه يدفعه لهذا الاختيار تفكيره العقلي المتوازن، ولا يقبل أن يملي عليه أحد قناعات لا يؤمن بها، إن الصحة العقلية

لمجتمع سلمية مترافقة مع الوعي المطلق والإدراك الذاتي، والقناعة الشخصية بأن الحياة يلزمها ثقافة متطورة ومتحركة، بعيدة عن الجمود والتوقع، وفي سبيل نيل تلك الثقافة يجهد ويتعب ويشقى لنيل المعرفة الشاملة وغير المُخصَّصة بحيز يضيق كلما تمعن بها المرء ودقق، والبحث عن المعرفة غاية المجتمعات الناهدة للرقى والسمو والرفعة. لهذا كانت ثقافتنا السلمونية متأصلة في العقول والنفوس، وهي نتاج موروثة أصيلة تتبع من حقب تاريخية قديمة، أول ما صنعها الإنسان السوري عبر حضاراته المتكررة على تراب أرضه المقدس، وتواترت عبر السنين، وزادها الدين الإسلامي رفعة وحضارة، وتبلورت بشكل عظيم خلال القرن الثالث هجري، وامتدت إلينا لتعكس مدى ارتباط الفرد ببيئته ومجتمعه، حيث صارت الثقافة السلمونية ثقافة غنية خصبة بالعطاءات المتجددة، وبما يميزها عن غيرها من ثقافات موجودة في مجتمعات حديثة التشكل، وفي التراث السلموني ثروة كبيرة من الآداب والقيم الرفيعة والعادات والتقاليد الأصيلة والمنتقاة بعناية وحرفية، وهذه الثروة لها تأثيرها الكبير على التفكير العقلي والابداع الفكري، وتراث سلمية مخزون اجتماعي متنوع فيه تراث مادي وتراث غير مادي، يجمع بين حكاياه خصائص مميزة لسيرة حياة مجتمع بأكمله منذ بدأ في التشكل والتكوين، ومع تطوره المتسارع أحياناً والمتمهل أحياناً أخرى مر بظروف وأوقات فيها اختلاف وتنوع أثر بشكل مباشر على نوعية التراث وماهيته الخاصة، وبحوادث كونه وانشغل بها، وتراث سلمية يتميز باهتمامه بالإبداعات العقلية، والانتاجات الفكرية، وهو سجل صادق لسنين عانى فيها المجتمع السلموني معاناة قاسية من الظروف المناخية وصعوبة المعيشة وقلة توفر الموارد المحتاجة، ورغم تلك الصعاب اتفقت في منطقة سلمية مشاغل علمية وعقلية لها أهميتها من حيث إضاءتها لنهضة فكرية وصلت نتاج الماضي بالحاضر بطريقة مثلى، عرفت الطبائع والأحداث الهامة، وجعلتها قاعدة أساسية بنت عليها رؤى جديدة توافقة للتطور والابداع الحقيقي، ضمن زيادة السكان وتوسع المجتمع، وانتشار بعضه في أصقاع العالم كله، يحملون رسائل ثقافية متنوعة عن أصالة سلمية وتراثها المتفرد بعلمه وثقافته وفكره.

جمعية عاديات سلمية التي تأسست عام 2002م، (كفرع للجمعية الأم المتواجدة في مدينة حلب والتي تأسست عام 1924م)، من أهم أهدافها الأساسية الحفاظ على التراث وحمايته والتوعية بأهميته الحضارية كذاكرة للمجتمع السلموني، وخاصة الاهتمام بالآثار

القديمة والعاديات المنتشرة بكثرة في منطقة سلمية، وحماية التراث وتوثيقه بكل أنواعه من شخصيات، عمارة وفنون وموسيقى وفلكلور، وأدب شعبي وغيره، ولهذا قامت الجمعية ومنذ تأسيسها بواجبها تجاه تطبيق أهدافها بقدر الإمكانات المتاحة لها، وأول عمل بهذا الاتجاه كان تعداد وحصر تيجان الأعمدة المتواجدة بشكل كبير في سلمية، متاثرة في الشوارع والحارات وفي المزارع، وقد تم توثيق أغلب هذه التيجان وتصنيفها معمارياً وأثرياً، ثم وضعها كأمانة في مبنى الخدمات الفنية في سلمية، وتعمدت الجمعية إجراء العديد من المحاضرات الثقافية المختصة بعلم التاريخ والآثار، وذلك لزيادة نشر الوعي بأهمية القطع والأماكن الأثرية بالنسبة لتاريخ منطقة سلمية، كما قامت الجمعية بطبع "بروشورات" باللغة العربية وأخرى باللغة الإنكليزية، تحتوي هذه "البروشورات" على صور لأغلب المناطق الأثرية في سلمية مرفقة بشروحات فنية وتاريخية عن كل موقع من المواقع، وفي هذا السبيل أيضاً، كانت جمعية عاديات سلمية تقيم سنوياً مهرجاناً ثقافياً أدبياً وبيئياً على سفح جبل الشميميس، تقديراً واحتراماً وتذكيراً وتعريفاً بقلعة الشميميس المهمة لسلمية، وكان هذا المهرجان يستقطب العديد من المشاركين والحضور، ولكنه في هذه الأيام ومنذ بداية الأحداث توقف مؤقتاً على أمل عودته حينما تسمح الظروف بذلك، ثم قامت الجمعية وبالتعاون مع مجلس مدينة سلمية بإصدار كتاب "سلمية المعاصرة" وبرغم من صغر حجم هذا الكتاب إلا أن محتواه هام جداً من جميع النواحي المعرفية، ففيه دراسات مميزة للتاريخ والآثار بشكل خاص وللتراث المادي وغير المادي بشكل عام، دراساته أكاديمية موثقة، وقد وزع هذا الكتاب مجاناً من قبل مجلس مدينة سلمية، وجمعية عاديات سلمية، وبعد ذلك أصدرت الجمعية كتيب باللغة الإنكليزية عن المناطق السياحية في منطقة سلمية، وقد وزع مجاناً، وكان بمناسبة انعقاد المؤتمر السياحي الأول في سلمية، برعاية مؤسسة الأغا خان ومشاركة الهيئات الرسمية ذات العلاقة، وحضور مندوبين لشركات سياحية من أوروبا وكندا، وكان من المتوقع لهذا المؤتمر أن يكون اللبنة الأولى لمشروع تسويق سياحي مهم لمنطقة سلمية، وقد تأجلت المباشرة فيه بسبب الأحداث، كما قامت الجمعية بتنظيف الحمام الأثري في مركز المدينة وفتحت أبوابه أمام الزوار للاطلاع على محتواه وتاريخه، باعتباره أول حمام أثري كامل البناء في سورية، وفي سبيل زيادة التعريف فيه أقامت الجمعية محاضرات ومعارض متنوعة وحفلات موسيقية هدفها زيادة عدد الزوار، والحمام اليوم عاد ليقفل من جديد بعد أن سحب من الجمعية التي كانت تعتني

به وتشرف عليه، وقد شاركت الجمعية مع مديرية آثار حماه بمعرض أقيم في المتحف القديم بحماه، وشاركت الجمعية بـصور لجميع المواقع الأثرية في سلمية، وللمكتشفات الأثرية التي وجدت في منطقة سلمية، وقد نجح هذا المعرض بشكل كبير وعرف مدينة حماه بالثروة الأثرية الموجودة في منطقة سلمية، وبهذا السياق قامت الجمعية بإصدار كتاب تاريخي أثري بعنوان (سلمية رسائل من التاريخ، لمؤلفه عضو مجلس الإدارة، أمين محمد قداحة) وهذا الكتاب له أهمية كبيرة كونه دراسة تاريخية أثرية دقيقة، اعتمد في إعدادها على الوثائق والمكتشفات الأثرية في منطقة سلمية، وكذلك تم إصدار كتاب (العمارة وتطور البيت الريفي.. لمؤلفه: غالب المير غالب، وهذا الكتاب يحكي تطور البيت وعمارته في منطقة سلمية منذ عام 1848م حتى منتصف ستينات القرن الماضي). ثم قامت الجمعية بإصدار كتاب تراثي مهم جداً لكونه وثق لشخصيات أدبية ثقافية وعلمية وذات أثر على المجتمع، وقام بأعداده مجموعة من أعضاء الجمعية، والكتاب باسم (شخصيات من ذاكرة سلمية) وقد لاقى القبول الكبير، والانتشار الواسع بين المهتمين بالتراث والتاريخ في سلمية، وفي سبيل الدعوة للشباب واليا فعيين في منطقة سلمية للاطلاع على تراثهم بطريقة سهلة محببة، قامت الجمعية بإصدار قصص للأطفال تحكي حوادث تاريخية وتعريف بمواقع أثرية، وقد لاقى القبول الحسن هذه القصص وطبعت عدة مرات، وفي احترام التراث تنتقل المعرفة بإحداثه إلى التجربة الواقعية، وتتطور الأفكار الراقية، وتصبح نقطة انطلاق إلى التوثيق والحفظ لذلك التراث، وتمتد المعرفة وتكبر ناهلة معلوماتها من نفس الجذور التراثية، التي تبلورت كحقيقة ثابتة مضامينها واضحة للعيان، وقد قام بعض المختصين في سلمية بالكتابة عن التراث وتوثيقه منشوراً ضمن كتب ودراسات، ومقالات صحفية، ومن أهم الذين كتبوا (محمود أمين كتاب "سلمية في خمسين قرناً" عام 1983م، وإبراهيم فاضل في العديد من كتبه، وباكير باكير في كتابه "صور من الماضي" وهذا الكتاب قامت جمعية عاديّات سلمية بدراسته وتدقيقه وتحقيقه من جديد..).

دراستنا هذه دراسة شاملة لمعظم التراث المادي وغير المادي في منطقة سلمية، قسمت الدراسة لعشرة عناوين، تحت كل عنوان دراسة قام بها عضو من أعضاء الجمعية، فكتابتنا هذا نتيجة جهود وعمل مشترك من قبل أعضاء الجمعية، الهدف إخراج كتاب شامل للتراث فيه مواضيع جديدة لم يتطرق لها أحد من السابق بشكل واضح صريح، وفي الكتاب إشارة لمن

يرغب بزيادة معلوماته الرجوع إلى الكتب المطبوعة سابقاً، وأملنا أن يصبح كتابنا هذا دليلاً لكل باحث وراغب في دراسة تراث سلمية بخصوصياته الغنية، كما نأمل أن يحقق الهدف الذي كتب من أجله.

غالب المير غالب

سلمية في 20/10/2017م

الفصل الأول

الخصائص الطبيعية الجغرافية لحوضه سلمية

أ . حسن القطريب

الموقع

تكاد سلمية أن تحتل وسط سوريا، وهي سيف البادية، وتقع شمال خط العرض 35،20 وغرب خط الطول 37،45 وشرق البحر المتوسط بخط سمتي 100 كم، وشرق مدينة حماة 33 كم وإلى الشمال الشرقي من حمص بـ 45 كم.

ومساحة سلمية الإدارية 5500 كم² وتشكل 60 % من محافظة حماه تقريباً، وتعاقل نصف مساحة لبنان، وارتفاعها بين 450 - 550م عن سطح البحر.

وهي منطقة يتبعها أربع نواح هي: ناحية السعن - وبرّي الشرقي - وصبورة - ناحية عقيريات.

ومدينة سلمية، تقع على هضبة في حوضه سلمية، التي هي جزء من السهول الداخلية التي تعرف باسم أراضي الشنبل.

وبما أن حوضه سلمية من الناحية الجغرافية هي موضوع دراستنا، والتي يحدها من الشرق البلعاس ومن الجنوب الشومرية ومن الغرب السطحيات ومن الشمال العلاه، فإننا سنتبع المحاور كما يلي:

التضاريس

الجبال الوسطى لسورية: هي وحدة جبلية مستقلة ومنفصلة ومتميزة لوحدها، ويفصلها منخفض (الدو) وحوضه تدمر عن السلسلة التدمرية، صخورها كلسيه تعود إلى الزمن الكريتاسي من الزمن الثاني، وتمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي بطول حوالي 250 كم من أطراف الفرات حتى القلمون، وأقصى عرض لها 45 كم، وتشكل قوساً يحيط

بحوض سلمية من الشرق والجنوب الشرقي والجنوب، وتتألف من عدة وحدات جبلية، أهمها البلعاس وأبو الضهور - شاعر - المراه - أبو رجمين وأعلى قمة في الجبال الوسطى حاوية الرأس 1387م في جبل أبو رجمين، ويمتد القوس إلى الغرب مشكلا الشومرية وهي جنوب سلمية. ويمكن أن يكون مثلها جبل البشري في شمالها الشرقي.

وخطوط تقسيم المياه في الجبال الوسطى - البلعاس توزع المياه بين حوض العاصي عبر حوض سلمية غربا، وحوض (الدو) جنوباً، وأحواض التصريف الداخلي شمالا والبادية وحوض الفرات شرقا وشمال شرق.

البلعاس

ويقع إلى الشرق من حوض سلمية، صخوره كلسية نفوذه من الزمن الكريتاسي، أعلى ارتفاع له 1015م، يتألف من ضهور جبلية متطاولة من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي ونجد فيها مظاهر الحت (الكارستي) الضمني في الصخور الكلسية.

الشومرية: وتقع إلى الجنوب من حوض سلمية، وتؤلف الزاوية المحيطة بها من الجنوب والجنوب الشرقي ثم تندمج مع البلعاس، وأعلى ارتفاع فيها 1016، وصخورها كلسية، وتنحدر منها عدة أودية أهمها التي تنحدر شمالا نحو حوض سلمية.

السطحيات والمزيرة

وهي في الغرب والجنوب الغربي من سلمية وهي استطلاات شمالية غربية للشومرية، ويفصلها نهر العاصي المتجه شمالا، عن هضبة حمص وحماه في الغرب.

وهي هضاب قليلة الارتفاع أعلى ارتفاع فيها السطحيات 505 م، وأهم المناطق فيها المزيرة- وتلّول الحمر- والجمالة وأراضيها خصبة وتجزؤها أودية قادمة من الشرق ومن الجنوب الشرقي العلاء:

وهي في الشمال والشمال الغربي من الحوض، والعلاء وحدة تضاريسية مستقلة قائمة بذاتها، وهي قليلة الارتفاع، وهي بمجموعها هضاب مستوية غطتها صبات بازلتية توضع فوق صخور كلسية وحوارية رخوة، ونتيجة للحت الذي أظهرها وجعلها تضاريس هضابية بارزة،

وهي (الميزا) تسمى محليا بالجبال وأهمها وليس كلها: (جبل علي كاسون - الهاوية وفيه أعلى القم 642 م - جبل الخضر 568م - جبل عين الزرقا 554م)، وضمنها حوضات رسوبية متحللة من الكلس والبازلت لونها أحمر بني، تتحدر إليها أودية تجعلها سهولاً خصبة.

الهضبة الشرقية وسهول سلمية

وهي الجزء الرئيسي من حوض سلمية، والممتدة من غرب البلعاس بارتفاع قدره 700م (تل فخر 704م) وتتدرج في الانحدار غربا (أبو حبيلات 612 م) ثم (عين الزرقا 445 م) غرب سلمية، وتتحد من أودية عديدة تتراقد وتجتمع مكونة أودية كبيرة تتجه غربا، تجمع مياه أمطار هضبة وحوض سلمية، عبر وادٍ كبير إلى (تل الدرة - الكافات - ثم العاصي)، وهذه الأودية جزأت الهضبة إلى هضبات عديدة، تختلف في ارتفاعها واتساعها وتسمياتها، حتى إن كل قرية في الحوض، تقع على هضبة أو مكان مرتفع نسبيا قريبه موقع أثري، وسهول لحقيه رباعية يجتمع فيها الطمي، أثناء السيول في فصل الشتاء وهي شديدة الخصوبة، وهي المجال لممارسة الزراعة منذ القديم، والتي تعتمد على مصدر للمياه (أقنية - آبار). ومن الصعوبة ذكر هذه السهول لأن هناك أسماء محلية جداً، ثم وكأننا نعدد أسماء كل القرى.

كما وتوجد في الهضبة تلال ومرتفعات منفردة (تلول صيادة - صبورة - مكيمن الشمالي - أبو حبيلات - أم ميل).

وسنكتفي بتعداد السهول الواسعة والهامة والمحيطه بمدينة سلمية، أهمها سهل الشيخ علي- تل عرك - غزيلة، في جنوب شرق سلمية، وسهول السبيل - القراجة - بركان - سمنون - في شرقها، أما سهول المنطار - الشادوف - - سهول الصيادة (توجد أكثر من صيادة) بور باح - الروم - الخصيمية - المخريط في شمالها، وسهول بوحار - الكريم - الميلحة - المزيرة - في غربها، وعرييد - الفرعونية - سعن القبلي - البهدلية، في جنوبها.

الفيضات الداخلية

وفي شمال شرق سلمية، توجد فيضات كثيرة، وتقريبا الواحدة امتدادا للأخرى ويبلغ عرضها من الغرب إلى الشرق 100 كم وتكون سهول تلاقى أفقية، تشكلت في نهاية الأودية الكثيرة المنحدرة من البلعاس وأهمها وادي حسيّة - العُمور - حسو الرمل - القسطل - وادي العزيز، ومن شرق العلاه وادي الغدير - عيزه - الزّرفاة، وأهم هذه الفيضات الرّهجان - الشّاكوسية - أم الميال، لكن أهمها وأوسعها الفيضة المركزية: فيضة الأندرين.

فيضات العلاه

وهي ضمنها، وتنتهي إليها أودية طويلة وهامة مثل وادي السّليّة الشرقي والأوسط والغربي حتى إن الأوسط (وادي حَوَيس ابن هديب) كان دائم الجريان إلى عهد قريب وكان يسمى نهراً، بالإضافة إلى أودية عديدة أخرى مثل جب الصفا - الأبيض - العلي - شطيب، وكلها تشكل سهولاً رسوبية تراكمية تربتها متحللة عن الكلس والبازلت وخصبة جداً، ومعظم زراعاتها بعليّة.

حوضات التصريف الداخلي

هذه المنطقة ليست من حوض العاصي، لكن لا تكتمل الدراسة دونها، وتقع شمال شرق حوضه سلمية يحدها من الشمال هضبة حلب ومن الغرب جبال العلاه، ومن الجنوب امتدادات جبال العلاه.

المياه: هناك شكلان للمياه من حيث تجمعها، عدا البحار والبحيرات والمستنقعات...الخ

1 - المياه الجوفية

2 - المياه السطحية

بالنسبة للأولى فالمياه الجوفية الجيولوجية في حوضه سلمية لم تكتمل الدراسات عنها بشكل كامل بعد (رغم ذلك). فان المعلومات الأولية تؤكد على أن حوضه سلمية تشكل

(جيوسانكلينال) تغذيته بعيدة من حيث المكان والزمان، وبالتالي إن سلمية تعوم على بحيرة من المياه العذبة تحت عمق 450 م تقريباً الزمن الثاني (الكريتاسي).

أما السطحية فهي على نوعين:

أ - دائمة الجريان

ب - فصلية الجريان

وفي حوضه سلمية لا يوجد أي شكل من المياه الدائمة الجريان. ونميز في السطحية شكلين:

1- مياه ضمنية سطحية وهي في سلمية مستنفذة في معظمها، لأن وجودها مرتبط بالتغذية المطرية غير الثابتة، وكذلك العشوائية في استثمارها، وبالتالي هي مضطربة وليست مستقرة وغير مضمونة.

2- فصلية الجريان: والشبكة المائية في حوضه سلمية شجرية وكثيفة ومستقرة وميلها الطبوغرافي نحو الغرب، وتمثلها الأودية التي تعتمد في جريانها على هطول الأمطار وكميته، فلا تجري سوى مرات قليلة في العام لكن فيضاناتها عنيفة وتشكل سيولاً جارفة.

3- وتعتبر حوضه سلمية الأوسع والأكثر توغلاً لحوض العاصي نحو الشرق.

والأودية تصرف مياه أمطار مناطق جغرافية (جهوية) رئيسية ثلاث إلى حوض العاصي.

1 - الأولى، الشمالية الشرقية: والممتدة من سبخة زنوبا إلى سبخة سلمية ولا توجد السباخ في الحوض إلا هنا.

2- الثانية، الشرقية والجنوبية الشرقية: وتوجد إلى الغرب من خط تقسيم المياه.

3 - الثالثة، الجنوبية: وتمتد إلى الشمال من امتدادات جبال الشومرية الشمالية الغربية، ومستوى الأساس هنا يمتد من مرج مطر إلى سعن القبلي.

العوامل المؤثرة في قلة المياه السطحية في الحوض:

1 - قلة تعامد المرتفعات مع اتجاه الرياح الماطرة.

2 - قاربتها وبعدها عن البحر.

3 - قربها من المؤثرات الصحراوية.

4 - العشوائية، والتمادي الجائر في استنزاف مياهها السطحية.

5- الموقع الجغرافي بالنسبة لخطوط العرض.

6 - عوامل أخرى موقع سلمية المبتعد شمالا نسييا عن فتحة حمص.

وبما أننا نتحدث عن المياه لا بد من التعرض لظاهرة مهمة في سلمية وهي الأقينية وتعرف باسم (الكواظم - الفجارات)، وتتفاخر حماه بالنواعير التي ابتكرها الآراميون، وكذلك ابتكر الآراميون الأقينية وأيضاً نقلوا المياه إلى السهول الزراعية التي لا ماء فيها لممارسة الزراعة المروية. وكل الأقينية ينطبق عليها أوصاف واحدة كيفما كانت وأينما وجدت هذه الأقينية داخل المدينة أو حولها أوفي القرى المجاورة.

1- كلها تتطلب معرفة وإتقان (للهندولوجيا) (قانون الأواني المستطرقة).

2- جميعها لها بداية وتأمين مياه عذبة للسقاية.

3- تتصل بآبار بينها سرداب محفور له ميل ويساعد الضغط الجوي فيها على حركة وانتقال المياه عبر السرداب.

4- كل قناة تسابير واديا طبيعيا مجاور لها للحفاظ على الميل وبخاصة القسم الأخير من الوادي.

5- كلها تقوم بنقل المياه إلى السهول اللحيقة الخصبة التي لا ماء فيها. ولا تختلف هذه الأقينية إلا بالاسم والاتجاه. وسأعدد الأقينية التي تدخل الى سلمية أو حولها.

6- أقينية داخل سلمية، ومنها: 1 - قناة المكتب. 2- الغندورية. 3 - عين القصب. 4 - قناة الباسطية. 5 - عين الشياحي.

- 7- أقينية حول سلمية، ومنها: 1- قناة سعن القبلي الغربية. 2 - سعن القبلي الشرقية.
 3- غزيلة. 4 - تل عرك. 5 - السبيل. 6 - القراجة. 7 - عين خزام. 8- بيت
 القطريب. 9- بركان. 10 - بيت الحموي. 11- الشادوف. 12 - القطلبية. 13-
 الحلبة. 14- بوحار.

وفي كل قرية عدة أقينية يصل بعضها حتى خمس أو سبع.

مناخ الحوضه متوسطي داخلي شبه جاف، يتميز بطول فصليه الانقلابين (الشتاء والصيف) وقسوتهما، ويقصر فصليه الانتقاليين (الربيع - والخريف)، ولأن موقع الحوضه الجغرافي داخلي قاري قريب من البادية، فان المؤثرات البحرية ضعيفة، وبالتالي فالمؤثرات الصحراوية هي المسيطرة، والتي تساعد على التصحر، وهناك الفتحة جنوب مصياف - تلكلخ، تأتي منها غيوم تحمل قليلاً من الأمطار، وفتحة اللاذقية - كلس في الشمال الغربي لسلمية غير مهمة، وتلعب فتحة حمص دوراً بالغ الأهمية في زيادة الأمطار أو نقصها، لذلك يعقد الفلاحون الرجاء والأمل على الخير الذي سيأتي منها، ويعتمدون عليها في حياتهم الزراعية وسموها (قرنة المربعين) لأنهم شركاء الفلاح في سلمية.

الأمطار

بالعموم الأمطار قليلة، وحسب تأثير فتحة حمص فخط المطر 300 مم يتغير موقعه ففي سنوات الجفاف يمر الخط من غرب سلمية، وفي السنوات المطيرة من شرقها متقدماً نحو الشرق، وخلال 60 عاماً السابقة حُسب متوسط المعدل السنوي للأمطار 301 مم، ولكن في السنوات الأخيرة بعد أن ازداد الجفاف. حُسب المعدل من جديد وأصبح 285 مم، وخط المطر 200 مم يمر على مستوى قرية الشيخ هلال، وامتداده إلى الجنوب وهو الذي يفصل بين المناطق التي لا يسمح بالزراعة أو تترك كمراعٍ في البادية.

الحرارة

كما قلنا أن الصيف طويل وحار، فمتوسط الحرارة في تموز 35° وقد تصل في بعض السنوات إلى أكثر من 45° في شهري تموز وآب، والشتاء بارد قليل المطر بشكل عام ومعدل

الحرارة في كانون الثاني 6° وتنخفض في السنوات الباردة إلى أقل من - 5° وعلى هذا فان المدى الحراري السنوي وحتى اليومي كبير بالإضافة إلى عوامل أخرى، مما يؤدي إلى التهديد بزحف الصحراء.

الرياح

من تتبعنا لزهرة الرياح في المنطقة، فإن الرياح الجنوبية الغربية هي السائدة من تأثير فتحة حمص، أما الرياح الشرقية والجنوبية الشرقية يزداد تأثيرها في الفصلين الانتقاليين وتكون عادة محملة بالغبار والرمال، وتسمى رياح السموم - الخماسين، وهي نفسها تعرف باسم (الشرافي) وفي أمريكا (الشينوك) وهناك الرياح الشمالية الباردة الجافة شتاء والتي تضر كثيراً بالمزروعات ومزعجة للناس.

الترب

توجد في حوضه سلمية معظم أنواع الترب أهمها:

- التربة الصفراء: هي الأكثر اتساعاً وتكون في معظم السهول الزراعية
- التربة الحمراء: وتتكون من تحلل الكلس الغني بفلزات الحديد وهي بشكل عام ليست كاملة التحلل لنقص الأمطار، وتختلط مع البحص والحجارة الصوانية وتوجد في جنوب وجنوب غرب سلمية.
- التربة الحمراء البنية: وهي من اختلاط تحلل الكلس والبازلت الغني بالمعادن والأملاح المعدنية، تشبه تربة تقريباً، وتوجد في العلاه شمال غرب سلمية.
- التربة اللحية الرسوبية: هي نتيجة ترسيب السيول للطمي الغني العناصر المغذية للتربة الزراعية ويغلب عليها اللون الرمادي والكستأوي ومن أهم سهولها المبعوجة - الخصيمية - الشيخ علي.
- التربة الخفيفة: وهي تربة صفراء خفيفة فوق المرتفعات التي تعرضت لانجراف تربتها عبر الزمن وتسمى (القراج) وتغطي كل الهضاب والمرتفعات، وتترك كمراعٍ.

- التربة الملحية: في المنخفضات التي تتجمع فيها الأودية والسيول وتشكل سباحاً وذلك لمروورها وغسلها للصخور المجاورة والغنية بالحص والمالح وتتشكل فيها السباح الملحية.
- ويجب ذكر خط الري الذي حفر في العهد الفرنسي، في شمال سلمية ويبلغ طوله حوالي 60 كم، وهو قناة صرف للمياه الملحية يصل بين السباح المذكورة إلى عين الزرقا.
- التربة الكلسية البيضاء: تربة فقيرة لفقدان العناصر القابلة للتحلل فيها وتوجد في، الميliche- وشمال تل الدرة وشمال الكافات.

النبات

يتأثر النبات بالمناخ، وباتجاهنا شرقاً تزداد القارية، وتتغلب المؤثرات الصحراوية فنقل الأمطار ويزاد الجفاف، وبالتالي يتقهقر الغطاء النباتي حتى يكاد ينقرض، ورغم ذلك نميز مناطق ذات نباتات خاصة، ففي الجبال الوسطى (البلعاس) نجد أشكالاً من الحراج والشجيرات القزمة وماهي إلا التدهور الحقيقي للغابة المتوسطة (الماكي) المتراجعة فنجد (البطم - والسويد - وغيرها).

وعند الابتعاد عن البلعاس نجد نباتات حولية مثل (الشيخ - الروثة - الصر) وتوجد نباتات شوكية أو ذات أوراق كثيفة وكلها متلائمة مع الجفاف مثل (العاقول - والقيصوم - والدعجة) وإلى الشرق حيث يزداد الجفاف نجد (الشان - الصريصيرة)، أما في المنخفضات الملحية والسباح نجد نباتات أخرى متلائمة مع الجفاف والملوحة مثل (العكرش - الخزراف- الطرطير).

الحيوانات والطيور

كغيرها من المناطق الجافة توجد فيها الحيوانات اللاحمة المفترسة مثل الضبع - الذئب - الثعلب وغيرها، والتي قلّ عددها بسبب الصيد وانتشار الكهرباء وتوسع شبكة المواصلات وكثرة السيارات وزيادة الكثافة البشرية، وهناك الحيوانات العشبية كالغزال - الأرنب، وقد

انقرض الغزال لأن الصيد كان جائراً حتى وصل حتى الإبادة، طبعاً لا أريد أن أذكر الحيوانات المُدجّنة بالإضافة إلى الزواحف مثل (البرؤل - الأفاعي - الضب). والحشرات السامة مثل (العقارب - الرتيلاء) وهناك الطيور المستوطنة والمقيمة المتنوعة في أسمائها وأشكالها، ويأتي في مقدمتها (العصفور الدوري - عصفور التين - الحجل - الحمام البري - المطواق) وأخرى مثل: (البومة - الزاغ - الشوكة) إلا أن بعضها مهدد بالزوال والبعض الآخر أصبح نادراً لكثرة الصيد واستعمال المبيدات الحشرية وقلة المناطق الزراعية، ومن الطيور هناك الطيور الزائرة الفصلية مثل (القطا - الدرغل - الزر زور - الدرّج - البط البري) والموسمية مثل: (السنونو - الخطاف)، ومن العابرة للقلق - (أبو سعد)، كما نجد الطيور الجارحة مثل (الشاهين - الباشق - النسر - الصقر - العقاب).

السكان والنشاط البشري الاقتصادي

سُكنت سلمية من القديم، ففيها وحولها وجدت الأدوات الصوانية (الظران) وتلك أدوات الإنسان في العصر الحجري، في مرحلة الصيد وجمع الثمار، ومورست الزراعة فيها منذ بداية عصر البرونز القديم 3000 ق.م، وكانت الزراعة مهمة في العصرين (اليوناني - السلوقي)، واستمر ذلك في عصر الرومان، حيث ازدهرت زراعة القمح وكانت المنطقة تساهم في تأمين حاجة روما منه، وبعد إيجاد الأقفية القديمة وتنظيفها، تطورت الزراعات المروية اعتماداً على هذه الأقفية، في العصر البيزنطي وانتشرت زراعة الكروم وتعددت صناعات العنب، لكن سلمية في تلك الفترة اهتمت بالجانب الديني فكانت أبرشية تتبعها عدة كنائس حوالي 40 كنيسة، ومنها كنيسة حماه، وكانت كاتدرائية كبيرة تشرف على عشرات الأديرة، وفيها مقر هام للكرادلة، الذين يُنتخب أحدهم لمنصب البابا.

أقام فيها أي سلمية المسلمون، وازدهرت في العصر العباسي وكانت الأسرة الحاكمة فيها من آل صالح عبدالله العباسي، وكانت مقراً سرياً هاماً للدعوة الإسماعيلية وفيها كان الإمام المستتر، وفي تلك الفترة ولخلاف - لا يعيننا، غزا القرامطة سلمية وارتكبوا المجازر، وبعد أن أعمرت، تعرضت للهزة الأرضية الكبيرة التي دمرت معظم مدن بلاد الشام، أواخر القرن السادس الهجري 552 هـ - 1157م، وأيضاً أعمرت من جديد لكن في بداية القرن التاسع الهجري اجتاحتها (تيمور لنك) عام 1400 م، وبعدها تركها أهلها وابتعدوا عنها حوالي أربعة

قرون، وآخر إعمار لها عام 1848م، وعاد قسم كبير من أهلها إليها، بعد تسهيلات كبيرة قدمها العثمانيون للأمير (إسماعيل)، لتشجيع الأعمار والسكن، وذلك لحماية الحضر في المدن؛ وصد هجمات البدو عنها.

الزراعة وتربية المواشي

كان معظم السكان يعملون بالزراعة، بأساليب وأدوات قديمة تقليدية، وذلك منذ إعمار سلمية الحديث 1848م وحتى عام 1955م تقريباً، فالأراضي واسعة تربتها شديدة الخصوبة إذ لم تستثمر زراعياً لعدة قرون، وإنما عبارة عن مراعي يكثر فيها (الروث والبعر) مما شجّع على زراعة كل أنواع الحبوب بعلاً، وبخاصة القمح والشعير والكمون واليانسون... الخ، وكذلك بقية البقول، بالإضافة لزراعة الكروم، ومعظم أنواع العنب، والأشجار المثمرة.

ويربي السكان الماشية؛ وبخاصة الأغنام، ومن الصعب أن تجد أسرة ليس لديها عدد من الشياه في بيتها لتلبية حاجاتها الغذائية، وكان في كل جهة أو حارة - (الحويش)، بالإضافة لتربية الأبقار والماعز وغيرها، لكن الآن قلّ كثيراً عدد العاملين بالزراعة وتربية الماشية وغيرها لعدم توفر الإحصائية الدقيقة لذلك

نمو السكان الديموغرافي

منذ نصف قرن وفي الستينيات كان العدد قليلاً في مدينة سلمية للأسباب التالية:

- 1- الجفاف وقلة الأمطار.
- 2- أزمة القطن وقلع الكروم والأشجار المثمرة وكانت مساحة الكروم 100 دونم فأصبحت 10 دونومات وحفر الآبار التي وصل عددها حتى عشرة آلاف بئر.
- 3- مكننة الزراعة.

هذه العوامل ساهمت في هجرة واسعة، داخل القطر إلى دمشق كعمال وموظفين وأعمال أخرى، وإلى الجزيرة للعمل في الزراعة، وكذلك إلى خارج القطر (الخليج والدول الأجنبية). فمثلاً كان العدد في سلمية عام 1960 وصل حتى 15284 نسمة، لكن بعد ذلك أصبح عدد السكان كبيراً ففي عام 2000 أصبح العدد 100 ألف نسمة لأسباب عديدة منها:

- الزيادة الطبيعية الكبيرة إذ تبلغ 0,043
- عودة كثير من الأسر التي كانت تعيش خارج سلمية.
- هجرة كبيرة من الريف والبدو إلى مدينة سلمية وترك الزراعة لقلة المياه.
- تغير النشاط الاقتصادي من زراعي إلى خدمي، وكثرت الوظائف وبالتالي الرواتب، وتحسن مستوى المعيشة، إذ لا يمكن أن تجد أسرة بلا راتب على الأقل.
- توفر الخدمات المتنوعة: الإدارية - التخصصية - الخيرية - المدنية.

ولا نريد أن نغفل الحركة اليومية من سلمية وإليها إذ يخرج منها عدد كبير يوميا لمراجعة دوائر الدولة والوظائف والعمل وأشياء أخرى في محافظات القطر، كما يأتي إليها في الوقت نفسه أعداد كثيرة من الريف حوالي 10 آلاف نسمة تقريبا وبالتالي إن عدد سكان سلمية يختلف بين الساعة الرابعة عنه في الليل. من الملحوظ أن تحديد النسل في سلمية قد مارسه السكان من منتصف الثمانينات وحتى الآن.

الصناعة

كانت حرفاً يدوية بسيطة، تلبي ضرورات الحياة الزراعية والرعية، لكن الآن أصبحت صناعة أكثر تطوراً وتعددًا، وألية تعتمد على الكهرباء بالدرجة الأولى، ويغلب عليها التنوع حسب متطلبات الحياة العصرية.

التجارة

لم تكن التجارة في سلمية متطورة بالمفهوم الكامل، وكانت تقتصر على تصدير المنتجات الزراعية والحيوانية، أما اليوم صارت أكثر ازدهارًا، لأن سلمية أخذت تلعب دور الوسيط بين المدن والبدو (وسيط بيني)، كما تعددت وتنوعت الحاجيات في محلاتها، حسب التطور العصري، وكذلك تأمين حاجات الجوار.

المواصلات

تطورت طرق المواصلات جدا، فانتشرت شبكة كثيفة من الطرق المزقّنة بينها مع كل قراها، وبين القرى مع بعضها، و(أوتوستراد) الرقة يمر قريبا وحولها.

المواقع الأثرية:

لن أتطرق للمراحل التاريخية المهمة لمنطقة سلمية وسأكتفي بتعداد أهم المواقع:

آ - داخل مدينة سلمية، ومنها:

1 - الحمام الأثري. 2- مسجد السبعة محاريب. 3- الباسطية. 4- الأبنية القديمة والرومانية. 5- أبنية صرف.

ب - حول سلمية، ومنها:

1- قلعة شميميس. 2- لوحات الفسيفساء البيزنطية (ضهرة المنطار). 3- تل الشيخ علي. 4- تل الغزالة. 5- وادي العوينة. 6 - تل الصيادة. 7- تل سمنون.

ج- في حوضه سلمية، ومنها:

1- قصر ابن وردان. 2- الأندرين. 3 - اصطبل عنتر. 4- خربة زبودة. 5- لوحة فسيفساء أم حاريتين. 6- الشيخ هلال. 7- الروضة وهناك عشرات المواقع الأثرية الأخرى.

المراجع

1. المدخل إلى علم الجغرافيا: الأستاذ عمر الحكيم.
2. المصورات: د. صلاح الدين عمر باشا - د. أديب باغ.
3. سوريا الطبيعية د. عادل عبد السلام.
4. الحيوية والترب د. عماد الدين موصللي.
5. استعمال الأراضي في المناطق الهامشية الجافة شمال سوريا، د. محمد الديّات.
6. محافظة حماة، د. محمد حرية - د. علي موسى.
7. أخبار القرامطة: د. سهيل زكار.
8. الألفية الرومانية: رسالة ماجستير للأستاذ ضياء موسى.
9. رسائل تخرج، لبعض الزملاء.

الفصل الثاني

سلمية رحلة على جناحي الزمن

أ . أمين محمد قداحة

طُرحت تساؤلات عديدة حول أصل تسمية مدينة سلمية بهذا الاسم، وهل كان هذا الاسم هو نفسه منذ نشأة مدينة سلمية الأولى؟ أم أنه تغير عدة مرات على مر العصور، حتى وصل إلينا بصيغته الحالية؟ وبمعنى آخر هل كانت هذه التسمية ثابتة خلال تعاقب العصور القديمة، من عمورية وآشورية وأرامية وفارسية وهلنستية وإسلامية، وصولاً إلى يومنا هذا؟ وكان أول رأي في تسميتها: (سلم مئة) وأطلقه عليها ياقوت الحموي، أما الرأي الثاني: (سلاميس) أطلقه عليها الأستاذ محمود أمين في كتابه (سلمية في خمسين قرناً). والرأي الثالث: (سلمياس) كما ورد في كتاب الدكتور عبدالله الحلو في كتابه تحقيقات لغوية تاريخية في الأسماء الجغرافية السورية.

ورابع الآراء (سيل ماء) أطلق عليها لكثرة السيول المنحدرة من الشرق فيها. أما آخر تلك الآراء فهو ما يفيد بأن اسم سلمية كان قد اشتق من (السلم والسلام)، نظراً لما شهدته مدينة سلمية عبر تاريخها من عهود أمن وسلام، حيث إنه لم يكن لها صفة حربية كما هو حال تدمر والأندرين على سبيل المثال لا الحصر، فلم تشيد فيها الأسوار والتكنات العسكرية لذلك سُميت قديماً (إيرينو بوليس) أي مدينة السلام¹، وهذا يعطي لهذه التسمية بُعداً تاريخياً يمكن أن نفترض أنه يعود للقرن الخامس قبل الميلاد على أقل تقدير، على اعتبار أن التسمية أُطلقت لأن مدينة سلمية لم تكن ذات أسوار وتحصينات عسكرية كما أسلفنا، وأن من بنى أسوارها وشرع في بناء قلعتها الداخلية هم اليونان الذين قدموا إلى الشرق في النصف الثاني من القرن الرابع قبل الميلاد وتحديداً عام (333 ق.م).

وربما يؤكد ما أتينا عليه ذلك التقارب $\simeq$ اللفظي التام بين تسمية سلمية وكلمة سلام في اللغة الآرامية القديمة شلم وتعني السلم والسلام والسكينة والاطمئنان، وهي بهذه

¹ - أثناسيو، الأب متري هاجي: سورية الوسطى «محافظات حم، حماه»، المجلد الثالث، ط 1، 1997م،

الصيغة تأتي في حالة المطلق، وبإضافة حرف الألف $\aleph \ \eta \ \iota \ \omega$ تصبح شلميا والألف تأتي هنا للتعريف². هذا في الآرامية القديمة. أما إذا أتينا على ما اصطلح عليه آرامية الحرف المربع فإن الكلمة تأتي على هذا الشكل (שלם سلام) بمعنى سلام، اطمئنان، وازدهار أيضاً، وفي حال التوكيد نضيف لها حرف الألف فتصبح שלם $\aleph \iota \omega$ سلامياً مع إضافة حركة القماص (T) قبل الحرف الأخير وذلك للتوكيد³. مع الأخذ بعين الاعتبار أن حرف الشين هو من أكثر الحروف الآرامية قابلية للإبدال ليصبح سيناً، والعكس صحيح.

هذا وقد بقيت هذه التسمية مستعملة مدة طويلة وبخاصة في عصر الرومان الذين اقتبسوا التسمية من اليونانيين ومن سبقهم، بنفس المعنى ولكن بالصيغة الرومانية اليونانية (ايرينو بولي).

ويثبت ذلك أن اسم سلمية كتب بصيغته الرومية على السكة الرومية اليونانية بشكلين

هما: ΕΙΡΗΝΟΠΟΛΕΙΤΩΝ

أو على هذا الشكل: $\epsilon \iota \rho \eta \nu \circ \pi \circ \lambda \iota \iota \omega \nu$ ⁴

كما يبدو أن الاسم كان قد استخدم في العصر السرياني المسيحي بنفس المعنى أيضاً ولكن بالصيغة السريانية، وهذا ما أكده الدكتور إبراهيم بهيج ورده* حيث يقول: «وسلمية عرفت باللغة السريانية على شكلين (شيلوموتو) بمعنى منطقة العبور⁵ كصفة لمدينة سلمية، حيث يرد اسمها مشكولاً على هذا الشكل:

² - اسماعيل، فاروق: اللغة الآرامية القديمة، منشورات جامعة حلب، 1997 م، ص 94، 349.

³ - محفل، محمد: المدخل إلى اللغة الآرامية، منشورات جامعة دمشق، 2001، ص 74، 113.

⁴ - ابن الشحنة، أبي الفضل محمد: الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، تقديم عبد الله محمد الدرويش، دار الكتاب العربي، دمشق 1984، حاشية رقم (1)، ص 158.

* - طبيب من مدينة حمص وهو سرياني الأصل، مهتم وباحث بتاريخ وآثار سوريا...

⁵ - ورده، إبراهيم بهيج: التقارب بين اللغة الآرامية والعربية، محاضرة أُلقيت في المركز الثقافي العربي بسلمية بتاريخ 27 / 2 / 2006 م.

ضبطية⁶

أو(شلموتو) بمعنى المدينة المسالمة⁷، وبهذا يكتب الاسم بالسريانية مهماً على الشكل التالي: «صلح»⁸.

إذاً وبعد ذلك العرض، يمكننا باعتقادي أن نميل إلى الرأي الأخير المدعم بقرائن أثرية، هي تلك السكة التي تحدث عنها ابن الشحنة، ويمكننا أن نضيف شيئاً مهماً هو أنه يوجد حتى اليوم مدينة في تركيا قرب طروادة المشهورة تحمل نفس الاسم (إيرينوبولي) أي مدينة السلام.

وبرأيي أن هذه الرواية تحمل في طياتها الكثير من الحقيقة والصواب وخاصة إذا عرفنا بأنه كان يوجد في سلمية كنيسة بسم القديس (كريكوس) كانت تتمتع بحق اللجوء والحماية، سنورد لها وصفاً أكبر في العصر المسيحي ولكن ومع ذلك يجب أن ننتظر التقيب الأثري الجاد في بطون أراض سلمية، التي ربما تخرج لنا بأدلة تدعم هذا الرأي، وتعطيه امتداداً تاريخياً أعمق من عصر اليونان والرومان أو ربما تكشف عن الاسم الذي سبق اسم سلمية الحالي، أو حتى صيغه المختلفة المتغيرة إن فرضنا ذلك.

سلمية خلال العصور التاريخية

لقد أثبتت الدراسات الأثرية - التاريخية على قلتها وندرتها وجود سلمية وما حولها كمراكز سكنية عمرانية منذ القرون الأولى للألف الثالثة ق.م، فما الآثار القديمة والتي تعود إلى ذلك العصر إلا دليلاً واضحاً على صدق هذه الدراسات فنموذج البيت السلموني المكتشف في سلمية (موقع تل حانا) قرب قرية (دنيبة) والذي يعود إلى عصر السلالات الملكية (2900 - 2690 ق.م) والمصنوع من الفخار⁹. هو نموذج من البيوت أو المذابح هومن مخلفات الألف الثالثة ق.م. كما إنه ليس الدليل الوحيد على تلك الفترة بل إن هنالك دلائل أخرى منها التلال الأثرية

⁶ - الحلو: تحقیقات لغویة، مرجع سابق، ص 332.

⁷ - وردة: التقارب...، مرجع سابق.

⁸ - الحلو: عبد الله: تحقیقات تاریخی لغویة فی الأسماء الجغرافیة السوریة بیروت، 1999.

، ص 322.

⁹ - بهنسي عفيف. وآخرون: الآثار السوریة. ترجمة نايف بللو، أثينا، د. ت، ص 115.

المشابهة لتلال هذه الفترة في مناطق أخرى من سورية، إضافة إلى موقع مدينة الروضة الأثري، الواقع إلى الشمال الشرقي من مدينة سلمية.

خلال الألف الثانية ق.م: إذ إن أهم الطرق التجارية القديمة والتي كانت تستخدم كطرق عسكرية لعبور الجيوش في معظم الأوقات، كانت تمر عبر سلمية، وهي إحدى الطرق الهامة من مجموع ثلاثة طرق لم تتبدل حتى يومنا هذا. فكان الطريق الأول يمر عبر البادية بمدينة تدمر الواقعة في منتصف المسافة تقريباً بين ماري على الفرات ومملكة قطنة جنوبي سلمية. والطريق الثانية وهي الأطول: فهي تسير وادي الفرات صعوداً من ماري إلى إيمار القديمة (مسكنة) حالياً وبعدها إلى يحاض (حلب) حالياً، ومن ثم تنعطف جنوباً إلى قطنة مروراً بحماه والطريق المركزية.

أما الطريق الثالثة وهي تقع بين الطريقين السابقين، إذ تخترق البادية اعتباراً من توتول (تل البيعة) عند ملتقى البليخ بالفرات، ثم تتوجه جنوباً نحو الرصافة لتجتازها وتصل إلى سلمية وأخيراً تحط في قطنة¹⁰. وقد تم تحقيق عدة رحلات مؤكدة بين مدينة ماري ومدينة قطنة عبر البادية في بدايات الألف الثانية ق.م، ليس عن طريق تدمر وحسب ولكن عبر الطريق الأخيرة المناسبة للذين يهبطون من جهة البليخ عبر سلمية إلى قطنة¹¹.

خلال الألف الأولى ق.م: ولقد كانت مملكة حماة الآرامية من أهم تلك الممالك والإمارات، وأكثرها قوة ونفوذاً واتساعاً، حيث بلغت ذروة مجدها فيما بين القرنين العاشر والسابع ق.م وخاصة في عهد ملكها (زكور) أو (زاكير)، إذ امتد نفوذها على مساحات واسعة من وسط سوريا، وذلك حسب ما جاء في نصوص الملكين الآشوريين (شلمنصر الثالث 858-824 ق.م) و(تجلات بلاصر الثالث 744-727 ق.م). وهذه النصوص إن لم تذكر سلمية

¹⁰ - عبد الله، فيصل: تدمر في الوسط الاقتصادي والسياسي في القرن الثامن عشر ق.م، الحوليات الأثرية السورية المجلد 42، دمشق 1996، ص 105.

¹¹ - عبد الله، فيصل: تاريخ الوطن العربي القديم (بلاد الشام) سوريا ولبنان وفلسطين والأردن، منشورات جامعة دمشق، 2004 م، ص 123.

صراحة إلا أنها ذكرت (أرزقي) (أبو حنايا) في شمال شرق سلمية من ضمن المدن التابعة للمملكة حماة الآرامية¹².

وفي سياق متصل دلت التنقيبات الأثرية المنهجية التي جرت منذ وقت قريب في موقع تل الحمصي غرب سلمية قرب جبل عين الزرقاء، على وجود مركز إداري تابع لمملكة حماة الآرامية يعود للفترة الممتدة ما بين (1000 - 700 ق. م) ويؤكد ذلك اللقى الأثرية من ذلك الموقع والتي تعود إلى تلك الفترة.

ومن الأهمية بمكان أن ننوه هنا ونشير إلى أن السوية الثانية في تل الحمصي الذي جرى التنقيب فيه غرب سلمية، تمثل الفترة الآشورية الحديثة والبابلية الحديثة أيضاً القرنين السابع والسادس ق. م¹³ من تاريخ مدينة سلمية.

لقد ترك لنا ذلك العصر ابتداءً بالآلاف الثالثة ومروراً بالآلاف الثانية وصولاً إلى الألف الأول ق. م، بصمات واضحة متمثلةً بالعدد الكبير من التلال والمواقع الأثرية العديدة التي تتوزع في مدينة سلمية ومحيطها، «كتل خراس وتل المزيرعة وتل الغزالة وتل الشيخ علي... الخ».

من ناحية أخرى كان استمرار الاستيطان في منطقة سلمية بسبب توافر الظروف الطبيعية والمناخية اللازمة، إضافة إلى أن الموقع الجغرافي المتميز كما أسلفنا في وسط بلاد الشام، كان عنصراً جاذباً للقوة السياسية في مختلف الفترات، في محاولة للسيطرة على هذه المنطقة التي تتحكم بطرق التجارة الداخلية في بلاد الشام، وهي لا تزال تلعب نفس الدور حتى يومنا هذا، ذلك الدور الموروث كصلة وصل بين البادية والحاضرة، على الرغم من ذوبان الكثير من الفوارق التقليدية بينهما

وأثناء اجتياح الإسكندر لبلاد الشام سلمت له معظم المدن الشامية دون مقاومة تذكر ما عدا مدينتي صور وغزة، اللتين أغلقنا أبوابهما في وجهه، ورفضتا الخضوع له، فضرب

¹² - حنون، نائل: تاريخ حماة من خلال التنقيبات الأثرية والنصوص المسمارية، دراسة في مجلة عاديات سلمية، العدد الخامس، سلمية 2010، ص 23.

¹³ - الحفيان، وائل: (السلمية وشرق حماة في الألف الأول ق. م في ضوء المكتشفات الأثرية في تل الحمصي) بحث في مجلة عاديات حلب، إصدار معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب وجمعية العاديات في حلب، الكتابان الحادي عشر والثاني عشر 2008، ص 13.

الحصار عليهما، وفتحهما عنوة، ثم أباحهما لجنوده وأحرقهما، ومن ثم تابع طريقه إلى مصر فخضعت له ومكث فيها بعض الوقت، قفل بعدها الإسكندر عائداً من مصر نحو الشرق لملاقاة الفرس، فعبر وسط سوريا¹⁴، ماراً بدمشق وحمص وسلمية*، في هذه الأثناء كانت مدينة سلمية تتابع مسيرة ازدهارها وتقدمها وتألق دورها الريادي . التجاري الهام والمتميز، إضافة لدورها الزراعي المعهود.

وبعد وفاة الاسكندر واقتسام مملكته بين قادته، كانت سلمية في معظم الأحيان تتبع للحكم السلوقي الذي عاش فترات القوة والضعف، إبان الصراعات والعلاقات السياسية المتأرجحة بين السلوقيين في سوريا والبطالمة في مصر.

وعلى الأرجح أن مدينة سلمية تبعت خلال القرن الأول ق. م إلى إمارة آل شمشغرام العربية القوية في حمص والرستن¹⁵، إذ أنه في نهايات الألف الأول ق. م كانت القبائل العربية لا تزال تتجول في جميع أطراف البادية السورية ولم تلبث إحدى السلالات العربية، التي ترجع بأصولها إلى تلك القبائل أن تمكنت من انتزاع حكم مدينة حمص سنة (96 ق. م)، أي في أواخر الحكم السلوقي. وهذه السلالة هي التي عُرفت في التاريخ باسم ثاني أمرائها (سميسغرام) أو (شميشغرام)¹⁶، وهذا الملك هو الذي عاصر دخول القائد الروماني بومبيوس

¹⁴ - الحفيان مرجع سابق، ص 27.

* - من المؤكد أن الإسكندر الكبير كان قد عبر منطقة سلمية متوجهاً نحو الشمال الشرقي ليلقي الملك الفارسي داريوس، وخاصة أنه وصل إلى حمص فكانت الطريق الأقصر أمامه هي طريق حمص . سلمية . الرصافة . الفرات...أوانه اتبع الطريق المتجه بعد سلمية إلى نواحي حلب ومنها انعطف باتجاه الفرات...، كما إن أياً من المصادر لم تذكر أن الإسكندر سلك طريق البادية عبر تدمر، على إن ذلك لا يعني أنه هومن أطلق هذه التسمية عليها، راجع إشكالية التسمية، أمين قداحة: سلمية رسائل من التاريخ.

¹⁵ - زكريا، أحمد وصفي: جولة أثرية في بعض البلاد الشامية، دار الفكر، دمشق 1934، ص 266.

¹⁶ - عبد الحق، سليم عادل: بحث موجز من تاريخ مدينة حمص وآثارها، الحوليات الأثرية السورية، المجلد العاشر، دمشق، ، ص10.

* - أسماء بعض حكام هذه الأسرة: (1- دابل، 2- سميسغرام، 3- جمبليك، 4- الإسكندر، 5- جمبليك الثاني، 6- سميسغرام الثاني، 7- عزيز، 8- سهيم). عبد الحق، المرجع نفسه.

سنة (64 ق. م) إلى سوريا، وهو أيضاً أي شمشغرام من قام بتصفية آخر ملك سلوقي في سوريا وهو أنطيوخوس الثالث عشر¹⁷، ولهذه الأسرة يعود الفضل ببناء قلعة شميميس.

سلمية خلال عصر الرومان

وشهدت في عهد الرومان امتداد عمران ضواحيها إلى جبال البلعاس وفيافي الأندرين. ولربما في هذه الفترة بالتحديد تعود تلك السكة التي ورد ذكرها عند محقق كتاب ابن الشحنة الدر المنتخب في تاريخ حلب، والتي ورد عليها ذكر اسم سلمية بصيغته اليونانية الرومانية (إيرينو بوليس)¹⁸. وهذا يعني أنه كان لسلمية في عصر الرومان حق صك النقود وعلى الأغلب الفضية، حيث إن النقود الفضية كانت تضرب في مدينة أنطاكية لتغطية احتياجات الولايات الشرقية، ولكن بعض المدن الهامة الأخرى كانت تتولى بين الحين والآخر صك هذه النقود الفضية¹⁹.

لقد كانت تلك الحقبة من تاريخ مدينة سلمية فترة ذهبية، فقد شهدت ألقاً كبيراً يدل على ذلك آثارها الباقية من ذلك العصر، والطرق التجارية الهامة التي كانت تخترقها من كل الجهات وهذا ما أدى إلى ازدهار عمرانها آنئذ حيث إن مركزها الجغرافي جعل القوافل التجارية تمر بها وخاصة لمن لم يكن يرغب بالعروج إلى حمص²⁰.

وقد انتضح بالاستكشاف الجوي الذي قام به (بوادبار) وجود طرق عديدة بينهما محوران كبيران يتجه أحدهما من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، يربط الفرات بحمص، وفي هذا

¹⁷ - العابد، مفيد رائف: سورية في عصر السلوقيين من الإسكندر إلى بومبيوس 333 - 64 ق. م، دار شمال، دمشق، 1993 م، ص 153.

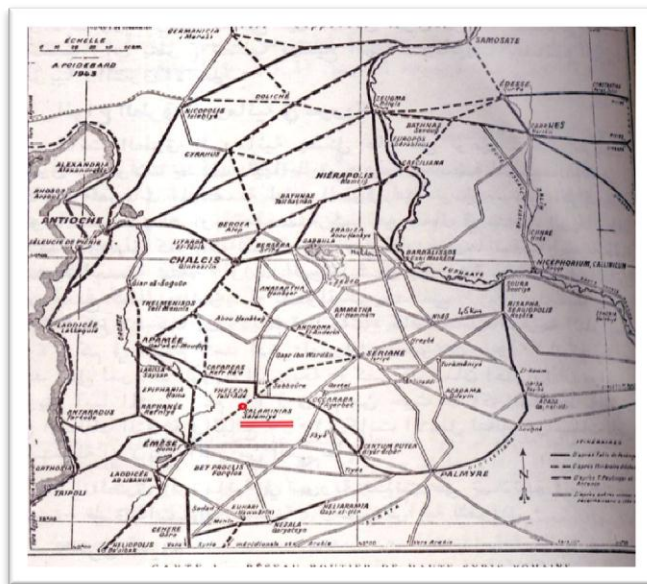
¹⁸ - ابن الشحنة، أبي الفضل محمد: الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، تقديم عبد الله محمد الدرويش، دار الكتاب العربي، دمشق 1984 حاشية رقم (1)، ص 158 مكرر.

¹⁹ - محفل، محمد. د. محمد الزين: دراسات في تاريخ الرومان، ج 2، ط 10، دمشق، 2001، ص 44.

²⁰ - زكريا، أحمد وصفي: جولة أثرية في بعض البلاد الشامية، دار الفكر دمشق، 1934 م. ص 267 -

المحور، طريق بارباليسوس (إيمار . مسكنة) . حمص عن طريق زبد . الأندرين وسلمية، ومن ناحية أخرى طريق الرصافة . حمص مروراً بسريان (إسرية) . سلمية . حمص . والمحور الآخر شمالي غربي . جنوبي شرقي، ويتألف من طريقين: كالسيس (قنسرين) . تدمر، مروراً بسريان...، وهذه الطرق تعود إلى القرن الثاني الميلادي جدها الإمبراطور (ديوقلسيانوس 284 - 305 م)²¹.

وعدا عن تلك الطرق التي كانت تقطع مدينة سلمية، كان هناك طرق هي غاية في الأهمية تتحلق حولها وتتفرع بكل الاتجاهات، وأهمها الطريق القادمة من أقاميا إلى صبورة وتل عدا، والطريق الرومانية بين قريتي تمك وصبورة وهي من الطرق التي أمكن التعرف عليها بسهولة²².



مصور لشبكة الطرق والجسور في العصر الروماني

²¹ - تات، جورج: مسألة الدفاع عن البادية في سوريا الشمالية وإعمارها (بين سقوط تدمر وحكم جوستينيان).

ترجمة عدنان البني، الحوليات الأثرية السورية، المجلد 42، دمشق 1996 م، ص 264.

²² - Mouterde, R – A. Poidebard: LE LIMES DE CHALCIS "organization de lastepp en haute Syrie Romaine, Librairie orientalististe paul Geuthner, Paris 1945, p 42 – 43.

سلمية خلال العصر البيزنطي (العصر المسيحي)

ازدهرت المسيحية وبقي الشرق العربي مبعث الاشعاع المسيحي، فنمت وارتقت الديانة المسيحية، وأصبحت أنطاكية عاصمة دينية يتبعها العديد من الأبرشيات في دمشق وطرابلس والرصافة وسلمية²³. التي أصبحت مدينة مسيحية منذ القرن الرابع الميلادي*، سكانها بسوادهم مسيحيون من روم ملكيين وعلى الأغلب موارنة، ومن ثم أصبحت أبرشية للسريان الأرثوذكس (المنوفيزيين)²⁴، القائلين بوجود طبيعة واحدة إلهية في المسيح، ويؤكد ذلك تلك الكتابة التي اكتشفت في سلمية وهي تمثل صلاة التقديس (الترصاغيون) المنوفيزي، التي أدخلها بطرس الثاني الشهير بالقار منذ سنة (470 م) بصورة مختلفة عن النص الخلقيدوني الأرثوذكسي، أي بإضافة الصلب على التقديسات الثلاث، أي العبارة «الذي تألم (أو صلب) من أجلنا إلى قدّوس القوي، قدّوس الذي لا يموت،..... ارحمنا»²⁵. الملحق رقم (2) الفقرة (5)، وفي نفس السياق كانت هذه الأبرشية تضم أكثر من أربعين كنيسة كبيرة، عدا عن الأديرة العديدة المنتشرة على رؤوس الجبال والتلال. منها ما هو مكتشف ومنها ما هو راقد في غياهب المجهول، يظهر بعضها بين فترة وأخرى خلال أعمال حفر طرقات أو أساسات البيوت أو.. غير ذلك.

كذلك امتد عمران ضاحيتها إلى جبال البلعاس وفيافي الأندرين، وغدت مركزاً للأدب اليونانية، يؤمها الطلاب حتى من مصر²⁶.

وأهم الكنائس المكتشفة حول مدينة سلمية: كنيسة البلعاس على يسار مدخل البلعاس الغربي، وكنيسة الفاية على يمين ذلك المدخل أيضاً، وكنيسة الشيخ هلال وكنيسة القسطل

²³ - أمين، محمود: سلمية في خمسين قرناً، مطبعة كرم . دمشق، 1983، ص 51.

* - أن هذا التاريخ يكشف لنا بما لا يقبل الشك عن حقيقة مهمة، وهي إن مدينة سلمية كانت من المدن السباقة في اعتناق الديانة المسيحية، ومناهضة الوثنية رغم كل حملات الاضطهاد والتطهير الديني، مع العلم أن المسيحية لم تصبح ديانة رسمية للإمبراطورية البيزنطية إلا في نهاية القرن الرابع الميلادي وتحديداً سنة 395 م.

²⁴ - أنثاسيو: سورية الوسطى...، مرجع سابق، ص 147.

²⁵ - أنثاسيو: المرجع نفسه، ص 149.

²⁶ - المرجع نفسه، ص 147.

وكنيسة رسم القنافذ الكبيرة، وكنيسة أم حارتين، قرب قرية العلباوي، (وكانت قد رصفت أرضياتها بفسيفساء كبيرة ورائعة، نقلت إلى متحف المعرة)*، وكنيسة إسريرة وكنيسة ابن وردان (دير الأقواس)²⁷. بالإضافة إلى عدة كنائس اكتشفت مؤخراً في خرائب الأندرين.

أما عن أهم الكنائس داخل مدينة سلمية والتي أمكن الاستدلال عليها من خلال الكتابات المنقوشة على بعض السواكف والتيجان المتناثرة في معظم أنحاء مدينة سلمية، وأولها:

- الكنيسة المحولة إلى مسجد (مسجد المحاريب السبعة) وجدت على أحد أحجارها كتابة يونانية تعريبها: «هذا باب الله من تكلم بالصدق وسار على الحق دخل منه»²⁸. أنظر في قسم الآثار (مسجد المحاريب السبعة).
- وكنيسة بازيلكية للقدّيس سرجيوس: ترتقي إلى سنة (431/430 م).
- كنيسة السيدة العذراء: تعود لمطلع القرن السابع الميلادي أي قبيل الفتح الإسلامي، لا أثر لها اليوم. استُدل عليها من خلال كتابة يونانية مسيحية في عتبة بيت في سلمية جاء فيها ما تعريبه: «أنجز هذا البناء باسم والدّة الإله في شهر حزيران من س (915 لليونان (= 604 م))»²⁹.
- كنيسة القديس كيريكوس: أسست عام (604 م)، وقد تميزت هذه الكنيسة عن غيرها من كنائس المنطقة بتمتعها (بحق اللجوء)، إذ وجدت كتابة يونانية مسيحية يمنح بموجبها الإمبراطور البيزنطي هذه الكنيسة حق اللجوء. فكان يتمتع الملتجئون إليها ولو كانوا مجرمين، بحصانة قانونية تحول دون ملاحقتهم والقبض عليهم ضمن حرم هذه الكنيسة³⁰. انظر الملحق رقم (2) الفقرة (4). وربما هذا ما يضيف لمدينة سلمية دليلاً آخر على أن اسمها هو مدينة السلام.

* - راجع فصل الآثار المنقولة.

27 - شحادة، كامل: قصر ابن وردان، منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق 1982، ص 20.

28 - أنثاسيو: سورية الوسطى...، مرجع سابق، ص 148.

29 - Jalabert ، Louis – Rene Mouterde – Claude Mondesert: INSCRIPTIONS GRECQUES ET LATINES DE LA SYRIE ، Paris 1959 ، P 221.

30 - أنثاسيو: سورية الوسطى...، مرجع سابق، ص 148.

- ويرد عند النيسابوري في كتابه استتار الإمام أنه عند قدوم محمد بن عبد الله بن صالح العباسي إلى سلمية كان يوجد فيها أربعة وعشرون ديراً للنصارى³¹.
- هذا العدد الكبير من الكنائس والأديرة إنما هو دليل على مركزية مدينة سلمية كأحد أهم المراكز المسيحية في سوريا، كما أن قرب هذه الكنائس من بعضها البعض إذ لا تتجاوز المسافة بين بعض الكنائس الكبيرة عشرين كيلومتراً، تزيد أو تنقص قليلاً، إضافة إلى الكثافة في عدد الكنائس في بعض المناطق كما في داخل مدينة سلمية وفي الأندرين، إنما هو إشارة واضحة إلى الكثافة الكبيرة في عدد السكان في ذلك الوقت إضافة إلى التزام أولئك السكان بأمور العبادات وجوانب الدين المختلفة.
- ويؤكد ذلك الدكتور جورج نحاس في كتابه «مكتشفات أثرية جديدة في سورية الوسطى» إذ يقول: المتروبوليتانيات الكبرى هي التي تتبعها أسقفيات وهي (12) متروبوليتانية، ومنها أفاميا، تتبعها أبرشيات لها رؤساء أو أساقفة منها سلمية. وهنا نشير إلى تابعة سلمية إلى الكرسي الأنطاكي مباشرة بعد السبعة الرؤساء، وهي ترسل مبعوثيها إلى المجامع المقدسة³². وقد جاء ترتيب بطريركية أنطاكية في سجل أنسطاسيوس البطريرك الأنطاكي في القرن السادس الميلادي على النحو التالي: الكرسي البطريركي يتبعه (7) رؤساء أساقفة يتلونه بالصف المباشر، ويأتي بعدهم بالتبعية رئيساً أساقفة خاضعان للبطريرك مباشرة يرسلهما في المبعوثيات قصّاداً إلى المجامع والمؤتمرات وما إليهما، وهما رئيس أساقفة سلمية ورئيس أساقفة برقوصة (خناصر)³³.

³¹ - إيفانوف: مذكرات في حركة المهدي الفاطمي (استتار الأمام للنيسابوري وسيرة جعفر الحاجب)، بحث مستخرج من مجلة كلية الآداب، المجلد 4، ج2، القاهرة 1939، ص 94 - 95.

³² - نحاس، جورج: مكتشفات أثرية جديدة في سورية الوسطى . الثانية (حماء عبر التاريخ)، ط1، دمشق 2007، ص 17.

* - كلمة أبرشية: إبيرخية . كلمة يونانية: تعني المقاطعة.

³³ - نحاس: مكتشفات أثرية...، مرجع سابق، ص 27.

■ لقد كان العصر المسيحي من أزهى العصور التي مرت بها مدينة سلمية، فبلغت ذروة أهميتها واتساعها. واستطاع أبناؤها العرب المسيحيون أن يجسدوا إيمانهم وسخاءهم وفنهم، معبرين عن إيمانهم (بالإله الواحد، وبالتالوث الأقدس، وبالمسيح الفادي، وبمريم العذراء، وبالقديسين) من خلال عبارات نقشوها ونحتوها في واجهات كنائسهم وعلى سواكف مداخل دورهم مبدئين إمامهم بأمور الكتاب المقدس، وخبرتهم في طقوس البيعة، ومترجمين عواطفهم ومشاعرهم بعبارات تقوية رائعة تنم عن روحانية بسيطة وعميقة.

سلمية في العصور الإسلامية

سلمية كمدينة مأهولة، وذلك قبيل الفتح الإسلامي لبلاد الشام، على خلاف ما كان متعارفاً عليه في بعض الدراسات، من أنها ظلت خراباً بُعيد اجتياح الملك الفارسي (كسرى أبرويز) لها ضمن حملته على بلاد الشام سنة (611 م).

أما فتحها رسمياً فقد تم إثر الخطة التي رسم معالمها القائد العربي المسلم (أبو عبيدة عامر بن الجراح) مع الخليفة عمر بن الخطاب، حيث تم فتحها وانتزاعها من أيدي البيزنطيين³⁴، فبعد حصار حمص وفتحها ولى عليها أبو عبيدة وعلى ما حولها عبادة بن الصامت، وتابع هو مسيره إلى حماء فصالحه أهلها، وبعدها انتقل إلى شيزر والمعرة متجهاً غرباً إلى اللاذقية التي فتحها عنوة ثم جاء إلى سلمية وفتحها عنوة أيضاً، ومن ثم أرسل خالد بن الوليد إلى قنسرين وحلب³⁵.

³⁴ زيود، محمد: مركزية سلمية في الدعوة الإسماعيلية، دراسة في مجلة دراسات تاريخية العددان 99 - 100، دمشق 2007 ص220.

³⁵ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون: المجلد الثاني، ج2، دار البيان بيروت بلا تاريخ ص 104.

سلمية في العصر الأموي

كان الاعتقاد السائد قديماً وحتى تاريخه حسب ما يرد في العديد من المصادر والمراجع التاريخية، أن مدينة سلمية كانت خراباً مقفراً، حتى قدم إليها أحد الأمراء العباسيين وعمرها، أي أنها لم تشهد أي عمران أو نشاط كان خلال العصر الأموي³⁶.
غير أن هذا الاعتقاد بات خاطئاً اليوم، أمام ما تؤكد به بعض المصادر القديمة والدراسات المعاصرة، على أن مدينة سلمية كانت عامرة ومأهولة طوال العصر الأموي (132 41 هـ - 662. 750 م).

أورد خليفة بن خياط في تاريخه ذكراً لها في معرض حديثه عن أحداث سنة (66 هـ / 686 م) إذ يقول: وضى عامنذ أمير المؤمنين بسلمية³⁷، وهو يقصد عبد الملك بن مروان (65 - 86 هـ / 685 - 705 م).

إن قيام الخليفة عبد الملك بن مروان في السنة الثانية من خلافته بنحر الأضاحي في مدينة سلمية، لهو دليل واضح على وجود جماعات بشرية مهمة كانت تستقر فيها، وكان الخليفة الأموي عبد الملك يحرص على إرضائهم، وكسب تأييدهم في ذروة الاضطرابات، وخروج معظم أقاليم الدولة عن الطاعة الأموية، ومبايعتها لعبد الله بن الزبير³⁸، الذي أعلن ثورته في الحجاز ضد الأمويين عام (61 هـ / 681 م)، وقد استمرت حتى سنة (73 هـ / 692 م)، وقد هددت هذه الثورة بزوال الدولة الأموية³⁹.

³⁶ - زكريا: جولة أثرية... مرجع سابق ص 267.

³⁷ - العصفري: خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط: مراجعة وضبط د. مصطفى نجيب فواز. د. د. حكمت كشلي فواز، ط1، دار الكتب العلمية بيروت 1995، ص 164.

³⁸ - زيود: مركزية سلمية... مرجع سابق، ص 220.

³⁹ - عن هذه الثورة والصراع بين عبد الملك بن مروان وعبد الله بن الزبير راجع كتاب د. يوسف العش (الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداءً من فتنة عثمان)، ط5، دار الفكر، دمشق 1998، ص 200 وما بعد.

سلمية في العصر العباسي

بلغت سلمية في هذا الدور أهمية كبرى جعلت الخليفة العباسي المهدي (158- 169 هـ / 775 - 785 م) يزورها في عام (163 هـ / 779م)، عندما قصد الشام عاملاً على كسب مودة أهلها فزار دمشق وبيت المقدس وحاول تسوية الخلافات القبلية في بلاد الشام، وهو عندما كان في طريقه إلى بيت المقدس نزل ضيفاً عند عبد الله بن صالح العباسي في سلمية، وقد أعجب بما رأى من منزله بسلمية، والجدير أن عبد الله بن صالح هذا كان يحظى بمكانة مميزة ومرموقة لدى أبناء عمه الخلفاء العباسيين لهذا فقد زوجه الخليفة المهدي من أخته وعينه والياً على الجزيرة⁴⁰.

إن اختيار عبد الله بن صالح العباسي الإقامة في سلمية دون غيرها من مدن الشام، لم يكن من باب المصادفة، إذ لا بد أنه سمع عنها الكثير وعرف طيبَ مناخها ومائها، وأهمية موقعها، وهذا ما يمكننا قراءته في كتابات بعض الجغرافيين العرب وغير العرب إذ يقول العريزي: «ومدينة سلمية على ضفة برية كثيرة المياه والشجر رحية خصيبة»⁴¹، كما يمكننا أن نستنتج من وصف ابن خرداذبه لطريق بين الرقة ودمشق، أهمية موقع سلمية كمدينة متوسطة، ومحطة هامة على هذا الطريق حيث يقول: «من الرقة إلى الرصافة أربعة وعشرون ميلاً، ثم إلى الزراعة أربعون ميلاً، ثم إلى القسطل ستة وثلاثون ميلاً، ومنها إلى سلمية ثلاثون ميلاً، ثم إلى حمص أربعة وعشرون ميلاً، وبعدها إلى شمسين ثمانية عشر ميلاً ثم إلى القطيفة عشرون ميلاً، ثم إلى دمشق أربعة وعشرون ميلاً»⁴².

وإن كان لعبد الله بن صالح العباسي الفضل في استصلاح أرض البلدة، وإعادة تأهيل نظام الري فيها الذي يعتمد على القنوات، واستنباط أرضها⁴³، فإن ذلك يقودنا إلى أن أراضي

⁴⁰ - زيود: مركزية سلمية، مرجع سابق، ص 223 / زكريا: جولة أثرية...، مرجع سابق، ص 268.

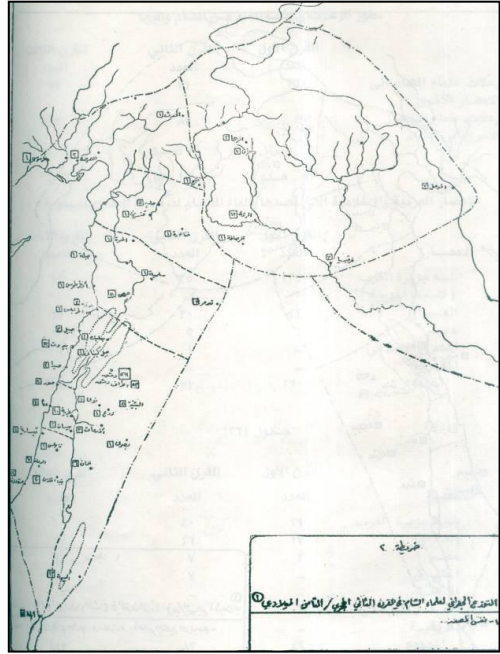
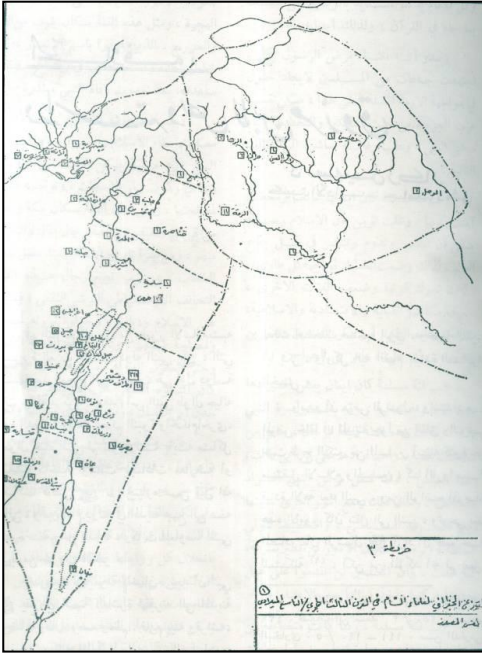
⁴¹ - المهدي، الحسن بن احمد: الكتاب العريزي (المسالك والممالك)، جمع وتحقيق تيسير خلف ط1، دمشق 2006، ص 94.

⁴² - ابن خرداذبه، أبي القاسم بن عبد الله بن عبد الله: المسالك والممالك، إعداد وتقديم خير الدين محمد قبلوي، دمشق 1999، ص 135 - 136.

⁴³ - زكريا: (سلمية) وصف طبوغرافي تاريخي أثري، مجلة الإنسانية، الجزء العاشر، دمشق 1933، ص 605.

سلمية خربت بما في ذلك قنوات الري فيها إبان معركتي مرج الأخرم الأولى والثانية بين العباسيين وقلول الأمويين في الشام. وبهذا يظهر لنا حرص العباسيين في الحفاظ على أقينية الري، وهذا ما أكدته الباحثة (ماري أوديل روسه) في مداخلتها خلال الندوة الدولية تحت عنوان (سورية الوسطى..). حيث تقول: تشير مراجع القرون الوسطى إلى أماكن إقامة الأمويين، والمدن والمحطات الواقعة على طريق دمشق . حلب، ودمشق . الرصافة، وهي سلمية، قسطل، أسريا (سريانا) عين الزرقاء وخناسر، وتضيف روسه: ومع ذلك تزودنا الأعمال الميدانية بمعلومات إضافية حول الإقامة في المنطقة خلال تلك الفترة وتبين جانباً من الاستيطان البيزنطي، فقد أُقيمت هذه المواقع في كامل المنطقة بجوار أماكن مناسبة للزراعة كأطراف السهول أو قرب القنوات، وخلال الفترة الإسلامية حدث انقطاع في الإقامة عدا المواقع الكبيرة أو بعض أحواض القنوات وعلى عكس المواقع الأموية فإن المواقع العباسية كانت قد تركزت غرب المنطقة (المدرسة أي أطراف البادية) في منطقة القنوات، ويبدو أنه بنيت تحصينات صغيرة مع خنادق خلال تلك الفترة بقصد حماية تلك القنوات وهذا يدل على تمسك العباسيين بالحفاظ على أقينية الري⁴⁴، لقد شهدت سلمية خلال العصر العباسي الأول ازدهاراً ملحوظاً أسوة بغيرها من مدن الخلافة العباسية كما شهدت نشاطاً فكرياً كبيراً، وخاصة في القرنين الثاني والثالث الهجريين.

⁴⁴ - روسه، ماري أوديل: مداخلة حول الاستيطان في منطقة سلمية خلال المرحلة الإسلامية، من أعمال الندوة الدولية تحت عنوان (سورية الوسطى من البحر إلى البادية)، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، دمشق، 1999.



مصوران يظهران التوزع الجغرافي للعلماء في القرنين الثاني والثالث الهجريين

ويدعم رأينا السابق وصفها بالمدينة، الذي جاء لها على لسان بعض جغرافي القرن الثالث والرابع الهجريين إذ يقول المقدسي: «وأما حمص فاسم القسبة ومن مدنها: سلمية وتدمر وخصاصر واللاذقية...»⁴⁵، كذلك يصفها ابن خرداذبه بالإقليم فيقول عن تعداد أقاليم حمص فهي: «إقليم حماه وإقليم شيزر وإقليم البلعاس وإقليم سلمية وإقليم أفامية...»⁴⁶. ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل إن أهميتها أخذت تتصاعد أكثر فأكثر وذلك من خلال تأثيرها ودورها الفعال في المآثر التاريخية التي عمت مناطق شاسعة من العالم الإسلامي من مغربه إلى مشرقه، وقيام دول وحواضر كانت نتيجة جهود الإسماعيليين الذين اتخذ أئمتهم من سلمية مقراً ودار هجرة ومركزاً لوضع الخطط والعمل ضد الخلافة العباسية في بغداد للإطاحة بها.

⁴⁵ - المقدسي، محمد بن أحمد: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تعليق وتقديم غازي طليمات، دمشق 1980، ص142.

⁴⁶ - ابن خرداذبه: المسالك والممالك، مصدر سابق، ص110 - 111.

ففي سلمية استقر الأمام عبد الله بن إسماعيل (الوفي أحمد)، ثم اضطر إلى الخروج منها مع ابنه أحمد ولي عهده في الإمامة، أثر تتبع العباسيين له في عهد المأمون (218 - 198 هـ / 813 - 834 م)، ثم عاد بعد مدة إلى سلمية بعد أن غدت دار هجرة الأئمة الإسماعيليين، وغدت المركز الرئيس للدعوة الإسماعيلية، وبدأ خروج الدعاة منها لنشر الدعوة في البلاد الإسلامية، وقد استمر هذا الحال أيام الإمام الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل الذي ولد في سلمية وفيها توفي ودفن (198 . 289 هـ / 814 . 902 م)، وقد ذاعت دعوته في سلمية وغيرها، واستطاعت أن تحقق الدعوة في عهده انتصارات كبيرة في اليمن واليمامة وعُمان والبحرين والسند والهند و... الخ⁴⁷.

وبهذا ستبقى النتائج التي أفرزتها الدعوة الإسماعيلية التي انطلقت من سلمية شاهداً أكيداً على أهمية هذه المدينة، وتتضح مدى فاعلية أولئك القادة والدعاة الموجهين الذين خرجوا منها، وما أدوه من أعمال أدت إلى قيام دول ونشوء مدن وتطور حضارات، وما رافق كل ذلك من أحداث سياسية وعسكرية، وكل ذلك يؤكد أهمية سلمية ومكانتها ودورها التاريخي خلال الفترة العباسية، ومن هنا تأتي مركزية هذه المدينة، باعتبارها أما ومحوراً لنشوء المدن وولادة الدول، فما المهدية الفاطمية والمنصورية في المغرب العربي ومن بعدهما القاهرة المعزية وغيرها من الحواضر المهمة، إلا مدناً مهمة شُيدت بما فيها من معالم لتخدم دعوة انطلقت أساساً من هذه (المدينة الصغيرة)⁴⁸، فمن المعروف تاريخياً أن أول خليفتي فاطميين وهما (عبد الله المهدي) وابنه (القائم بأمر الله) كانا قد ولدا في سلمية، ومنها خرجا متوجهين إلى المغرب العربي، بعد أن كان الدعاة هناك وخاصة أبو عبد الله الشيعي قد هيؤوا الظروف المناسبة للانتقال إليها⁴⁹، وكان هذا الأخير قد أرسله الأمام من سلمية إلى اليمن ومنها إلى المغرب، فحقق نجاحات باهرة في نشر الدعوة الإسماعيلية، ومحافظةً في الوقت نفسه على ولائه المطلق للإمام عبد الله المقيم في سلمية، وقد كُتب لهذا الداعي الإسماعيلي النشط أن تقوم الدولة الفاطمية بجهوده، لذلك قال عنه المقرئزي: «إنه أحد رجال العالم القائمين

⁴⁷ - غالب، مصطفى: تاريخ الدعوة الإسماعيلية، ط3، دار الأندلس بيروت، 1979، ص 148 155 .
157.

⁴⁸ - زيود: مركزية سلمية: مرجع سابق ص 228.227 .

⁴⁹ - غالب: تاريخ الدعوة...، مرجع سابق ص 158 . 170.

بنقض الدول وإقامة الممالك العظام من غير مال ولا رجال»⁵⁰. وبعد أن استتب الأمر له في المغرب أرسل أبو عبد الله الشيعي إلى الأمام في سلمية رجالاً من قبيلة كتامة يخبرونه بما فتح الله عليهم وأنهم ينتظرونه، وكان أمر الأمام قد كُشف عند الناس وطلبه الخليفة العباسي المكتفي، فتوجه الإمام ومعه ابنه أبو القاسم نزار ولي عهد الإمامة من بعده يرافقهما خاصتهما ومواليهما إلى المغرب العربي⁵¹.

وفي العصر العباسي الثاني

لم يمض الوقت طويلاً حتى استعادت سلمية عافيتها وأخذت دورها السياسي والحضاري، وعادت للمساهمة في أحداث الشام المهمة، خلال الصراعات العنيفة التي شهدتها المنطقة الوسطى من الشام بين القوى الطامعة في الشام والمتطلعة إلى النفوذ، من إخشيديين وحمدانيين وغيرهم من القادة المتعطشين للنفوذ والسلطة الذين قادوا المعارك على بطاح سلمية والتي لم ينلها منهم إلا المتاعب⁵².

قد جاءت مكانة سلمية عند الحمدانيين بعد حاضرتهم حلب، وأسهمت في درء الأخطار الاقتصادية وتأمين المستلزمات العسكرية الكبيرة التي احتاج إليها الحمدانيون في صراعاتهم المبررة ضد البيزنطيين، وبقيت معيناً قوياً لهم حتى انهيار دولتهم في حلب سنة (394 هـ/ 1003 م)⁵³.

الفتح الفاطمي لبلاد الشام

عندما عزم الخليفة الفاطمي المعز لدين الله الفاطمي على فتح مصر فجهز جيشاً عظيماً بقيادة (جوهر الصقلي) وسيره إلى مصر (14 ربيع الأول سنة 358 هـ / 969 م)⁵⁴. وقد استطاع جوهر دخول مصر دون مقاومة، وبذلك تمكن الفاطميون من إزالة آخر الدول

⁵⁰ - زيود: مركزية سلمية...، مرجع سابق، ص 228.

⁵¹ - المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي: اتعاض الحنفا في أخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء. تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة 1948، ص 81 / المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج3، ط1، بيروت 1965، ص296.

⁵² - زيود: مركزية سلمية، مرجع سابق، ص224.

⁵³ - زيود: مركزية سلمية.. مرجع سابق، ص224.

⁵⁴ - غالب: تاريخ الدعوة..، مرجع سابق، ص 182.

الإقليمية التي تبعت للعباسيين، وهي دولة الإخشيديين، بعد ذلك قام جوهر واخط مدينة القاهرة، ثم أرسل للخليفة الفاطمي المعز المقيم في المغرب، يعلمه بالفتح فاتجه الخليفة فوراً إلى مصر⁵⁵.

وبدأت معه أنظار الفاطميين تزنوا لتحقيق القسم الثاني من هدفهم الكبير وهو فتح بلاد الشام لتكون جسراً يعبرون من خلاله إلى عاصمة الخلافة العباسية بغداد، إلا أن ذلك لا يعني أنهم أرادوا فتح بلاد الشام لهذا الهدف فقط، بل لجملة من الأسباب كان أهمها حينئذ للمدينة التي خرجوا منها أي (سلمية)، حيث كان الخليفة المعز لدين الله يمني أنصاره بفتح سلمية ودخول كامل بلاد الشام، ويظهر لنا ذلك مما دار بين الخليفة المعز وأنصاره عندما قدم لهم طبقاً من التفاح قائلاً لهم: «هذا التفاح جاءنا من المشرق، من البلد الذي خرج منه المهدي والقائم صلوات الله عليهم، ومن الضياع التي كانت لهما، ثم دفع إلى كل واحد منا شيئاً منه وقال: تبركوا به فإننا نرجو إن شاء الله أن تجنوه من شجره معنا بأيديكم، وقد أنجز الله لنا وعده وأهلك عدونا بفضل»⁵⁶.

إن ذلك القول يبين لنا أن الأئمة الفاطميين رغم خروجهم من سلمية وتوجههم إلى المغرب أولاً ثم إلى مصر ثانياً، لم ينسهم ذلك دار هجرتهم الأولى وأنهم ظلوا على اطلاع على كامل أوضاعها، وعلى سير الأحداث فيها، وعلى أثر التوسع الفاطمي في بلاد الشام (359 هـ / 970 م) أصبحت سلمية من المدن المحببة إليهم فهي مسقط رأس أسلافهم ودار هجرتهم ومنطلقهم إلى المغرب، وعليه فإنهم على الرغم من أن حكمهم لم يكن مستقراً في سوريا إلا أن سلمية لقيت عناية خاصة منهم وشاركت في نشاطاتهم وتأثرت بأحداثهم السياسية

⁵⁵ - لصغير، أجفان: الفكر الإداري عند الفاطميين (التغلب على المجاعات في مصر)، مكتب الدراسات الفاطمية، سوريا. سلمية دار الباحث للنشر والتوزيع، 2007 م، ص 16.

⁵⁶ - بن محمد، القاضي النعمان: المجالس والمسائرات، تحقيق الحبيب الفقي. إبراهيم شيوخ. محمد اليعلاوي، منشورات الجامعة التونسية. كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المطبعة الرسمية، 1978 م، ص 291. 10- بيطار، أمينة: موقف أمراء العرب بالشام والعراق من الفاطميين حتى أواخر القرن الخامس الهجري، ط1، دمشق، 1980 ص32.

والعسكرية⁵⁷، وكثيراً ما كانت تتبع لهم وتوازهم خلال محاولاتهم المتكررة للسيطرة على بلاد الشام عامة وحلب خاصة. لكن فترات تبعيتها لهم كانت في معظم الأحيان قصيرة وقد لا تتعدى العام في بعض المرات، لم ينس الخلفاء الفاطميون في مصر أمر سلمية في خضم هذه الأحداث، حيث أمر الإمام العزيز بالله ببناء مدفن جديهِ الإمامين تقي الدين محمد ورضي الدين عبد الله^{58**}.

أن تلك الحضارة التي خلفها الفاطميون، والنفوذ الذي نعموا به لم يأت من فراغ إنما جاء ثمرة لجهد دؤوب، وعمل مضنٍ بدأ في بلدة كانت مهملة في نظر الكثيرين لوقوعها على أطراف البادية، غير أن الواقع أثبت أنها قادرة على أن تُقيم مدناً وتتشئ دولاً، وتنتهي أخرى، وكادت في إحدى مراحلها أن تظفر نهائياً بعرش الخلافة العباسية في بغداد، وأكدت أنها تنتمي لبقعة جغرافية هي من أهم بقاع العالم قدرة على النهوض الحضاري وتحمل المسؤولية في جميع الأحوال العامة السياسة - العسكرية منها والحضارية⁵⁹.

العصر السلجوقي (الزنكيين)

إن المتنّبع لسير هذه الأحداث يدرك مدى أهمية الدور الذي لعبته سلمية في تلك المرحلة، حيث كانت بمثابة نقطة الارتكاز لمعظم الجيوش الإسلامية الرامية لمحاربة الفرنجة (الصليبيين)، وحتى في محاربة بعضها البعض، وكأن من يمتلك سلمية، كان يملك بذلك برج مراقبة تمتد أفاقه لكل أنحاء الشام والجزيرة، زد على ذلك قدرتها الكبيرة على تزويد هذه الجيوش بالموّن اللازمة لها، وهذا الدور سيتعاظم أكثر فأكثر كما سنرى خلال الأحداث القادمة وخاصة في عصر الزنكيين والأيوبيين.

⁵⁷ - زيود: مركزية سلمية، مرجع سابق، ص224.

⁵⁸ - قدور، غسان: مقبرة الأئمة في سلمية، دراسة تاريخية أثرية جمعية العاديات، ص1.

^{**} - في هذا الصدد تذكر بعض المصادر التاريخية وتؤكد أن الضريح هو للأمام رضي الدين عبد الله فقط في حين أن الإمام تقي الدين محمد توفي في مصياف عام 265هـ وقد دفن على قمة جبل مصياف المعروف بجبل مشهد، غالب: مرجع سابق، ص153.

⁵⁹ - زيود، مركزية سلمية...، مرجع سابق، ص239.

قام نور الدين زنكي خلال تلك الفترة بأعمال عمرانية كثيرة، كان من أهمها إعادة ترميمه لجملة من القلاع والحصون الشامية، وخاصة بعد الزلزال الذي ضرب معظم مناطق بلاد الشام في شهر رجب من عام (552 هـ / 1157 م)، وخلف دماراً رهيباً في حماه وشيزر وكفر طاب وأفامية ومعرة النعمان وحمص وحصن الشميميس عند سلمية⁶⁰، وأتلف ما حول سلمية حتى ناحية الرحبة، وقد نظم أحد الشعراء في ذكر هذا الزلزال قصيدة تبين فظاعة الخراب والدمار الذي خلفه فيقول في مطلعها:

رَوَّعْتَ زَلَزَلِ حَادِثَاتٍ	بقضاء قضاه ربُّ السماء
هدمت حصن شيزرٍ وحماةٍ	وأهلكت أهلها بسوء القضاء
وبلاداً كثيرةً وحصوناً	وثغوراً موثقات البناء ⁶¹

فسارع نور الدين زنكي إلى جمع عساكره، وشرع في إعادة عمارتها حتى أمّن على البلاد من خطر الفرنجة⁶².

بعد الانتصار الذي حققه صلاح الدين في معركة حطين على الفرنجة "الصليبيين" عام 1187م، توفي صلاح الدين سنة (589 هـ / 1193 م)، مخلفاً وراءه مملكة مترامية الأطراف، وفراغاً كبيراً لم يستطع أحد من أبنائه السبعة عشر أو إخوته أن يملأه ويبدو أنه كان قد غرس بيده نبتة الخلاف بين أفراد أسرته، حين عد أراضي السلطنة كالملك الشخصي، يمكن توزيعه بين الأخوة والأبناء والأخوة بحسب الرغبة، فكان يوزع أملاكه بين أخوته وأبنائه

⁶⁰ - ابن العديم، كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله: زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، ج 1. 2. 3، دم، بلا تاريخ، ج 2، ص 306.

⁶¹ - ابن القلانسي مصدر سابق، ص 253 / الخالدي، خالد يونس: الزلزال في بلاد الشام من القرن الأول إلى القرن الثالث عشر الهجري/ القرن السابع. القرن التاسع عشر الميلادي، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد 13، العدد الأول 2005، ص 79.

⁶² ابن العديم: زبدة الحلب، مصدر سابق، ج 2، ص 306.

ويغير التوزيع في كل مرة، وفي التوزيع الأخير الذي أجراه جعل لأبنائه المناطق الكبيرة والحساسة، وجعل لأخوته وأقاربه مناطق الأطراف⁶³

ويموت صلاح الدين بدأت الصراعات والخلافات تطفو على السطح بين أفراد البيت الأيوبي، ويبدو لنا أن الملك المعظم عيسى أدرك تماماً إن فتح حماه يمر عبر سلمية لما كانت تقدمه هذه الأخيرة من دعم اقتصادي لها، إذ كانت بمثابة الظهير الزراعي الغني بالنسبة لحماة، وبفقدانه تلقت الضربة القاضية، وكادت أن تسقط لولا تدخل الملك الكامل وأخيه الأشرف، الذين تضايقا من فعل الملك المعظم عيسى المقيم في سلمية، واتفقا على إجلائه عن سلمية والمعرة وفك الحصار عن حماة، فأرسل له الملك الكامل رسوياً من قبله هو (ناصر الدين الفارسي)، الذي وافى الملك المعظم في سلمية ناقلاً له رغبة السلطان برحيله عن حماة وسلمية والمعرة، فأجابه المعظم لذلك⁶⁴.

وقد بقيت سلمية محور الصراع بين الأمراء الأيوبيين، وباباً لتدخل الأقوياء منهم في شؤون الضعفاء، وفي نفس الوقت كانت سلمية ميداناً لتوحيد كلمة الأمراء الأيوبيين عند وجود خطر خارجي يهدد البيت الأيوبي، كما حدث سنة (629 هـ / 1232م) عندما ارتحل الملك الكامل وأخوه الملك الأشرف من مصر إلى البلاد الشرقية، وبعد مرورهما بدمشق نزلاً في سلمية، حيث اجتمع معهما ملوك أهل بيتهما في جمع عظيم، ومن سلمية اتجهت جموعهم شمالاً قاصدين آمد (ديار بكر) بغية حصارها وانتزاعها من صاحبها الملك المسعود بن أرتق⁶⁵. كذلك خرج الملك الكامل مرة أخرى سنة (631 هـ / 1234م) بعساكره من مصر ونزل شمال سلمية هذه المرة بعد أن اجتمع عنده كل ملوك أهل بيته، ومن هناك انطلق إلى حدود الروم⁶⁶.

⁶³ - زكّار، سهيل . أمينة بيطار: تاريخ الدولة العربية في المشرق من السلاجقة حتى سقوط بغداد، ط5، منشورات جامعة دمشق، 2000، ص243.

⁶⁴ - أبو الفداء أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل: المختصر في أخبار البشر، المجلد الثاني ج3 . 4، القاهرة، بلا تاريخ ، ص132.

⁶⁵ - أبو الفداء: المختصر.. المصدر نفسه، ج 3، ص 152 / زكريا: سلمية..، مرجع سابق، ص17.

⁶⁶ - أبو الفداء: المختصر، المصدر نفسه، ج3، ص154.

سلمية في عصر المماليك

ولم يكد يطل القرن الثالث عشر الميلادي، حتى كان للمماليك كامل النفوذ، والكلمة المسموعة في الأحداث والمنازعات الداخلية بين الأمراء الأيوبيين أنفسهم. ومن الأهمية التي بلغتها مدينة سلمية في ذلك الوقت أنها أصبحت ملجأً آمناً للجماعات النازحة والهارية من وجه همجية التتار، فلما تكررت هجمات التتار على حلب والرصافة، قام الظاهر بيبرس بإجلاء السكان عن الرصافة سنة (668هـ/1270م)، وأسكنهم في سلمية وما حولها⁶⁷.

وفي تطور لاحق حدث شقاق بين المماليك وأمراء العرب، الذين لم يحفظوا الود للمماليك، بل كانوا يتصرفون تبعاً لمصالحهم، مما أوقعهم في خلاف مع سلاطين المماليك في مصر ونوابهم في الديار الشامية.

ففي سلطنة السلطان الناصر محمد بن قلاوون الثالثة، كان أولئك الأمراء قد تخطوا حدودهم كثيراً وبدأوا يغيرون على الجماعات التركمانية والعربية النازلة قرب تدمر، حتى أنهم وصلوا إلى قرب البيضاء بين القريتين وتدمر، منطلقين من منازلهم في سلمية. فأمر السلطان الناصر محمد بملاحقتهم⁶⁸، كما أصدر في العام التالي أي عام (721 هـ/1321م) أمراً بقطع أخبار آل عيسى، وترحيلهم عن سلمية، وأرسل الأمير سيف الدين قجلس لتنفيذ ذلك، وعندما وصل الأمير قجلس إلى سلمية، مكث لبعض الوقت، ثم انطلق لمطاردة آل عيسى بن مهنا، الذين هربوا إلى جهات عانة وحديثة على شاطئ الفرات. في هذه الإثناء أصدر السلطان الناصر محمد أمراً بتولية الأمير محمد بن أبي بكر بن علي بن حديثة بن عسبة أميراً على سلمية بدلاً من الأمير مهنا آل عيسى، ولاحقاً عاد الأمير سيف الدين قجلس إلى

⁶⁷ - يقول أحمد وصفي زكريا في كتابه جولة أثرية ص 272: أن قدوم الملك الكامل إلى سلمية كان في سنة 630 هـ وهو في طريقه لقتال (كيقاباذ السلجوقي).

⁶⁸ - ابن الشحنة، أبي الفضل محمد: الدر المنتخب في تاريخ حلب، تقديم عبد الله محمد الدرويش، دار الكتاب العربي، دمشق 1984، ص 161 / ابن شداد: الأعلام الخطيرة، مصدر سابق، القسم الثاني، ج 1، ص 35.

⁶⁸ - كرد علي، محمد: خطط الشام، دمشق، 1983، ج 2، ص 147.

سلمية عائداً من رحلة المطاردة المذكورة، وبقي مقيماً في سلمية حتى وصله أمر السلطان بالعودة إلى مصر⁶⁹.

وفي سياق متصل يبدو أن السلطان كان مراقباً عن كثب لكل التطورات التي تتفاعل في سلمية وما حولها لما لها من أهمية كبرى استراتيجياً كما أنه وإن أعطى منطقة سلمية لأمرأء العرب، إلا أنه ترك أمر تدبير بعض شؤونها الهامة للأمير حماة أبو الفداء، الذي نزل سنة (726 هـ / 1326م) عند قناة سلمية الواصلة من سلمية إلى حماة، وقسم أمراءه وعساكره، ووزعهم على طولها لتنظيفها⁷⁰، وذلك لما كانت تشكل من أهمية اقتصادية بالنسبة لحماة. ومن المؤكد أن اجتياح جيوش تيمور لنك كانت بمثابة رصاصة الخلاص لمدينة سلمية وما حولها، التي لم تكن بمنأى عن جحافل تلك الجيوش الجرارة⁷¹.

بعد تلك الوقائع بدا اسم سلمية وكأنه بدأ ينجح إلى شواطئ النسيان وأن سلمية خرجت من دائرة الأحداث السياسية.

وآخر ورودٍ لذكرها بعد اجتياح تيمور لنك لها كان ذكر ابن تغري بردي لحدث وفاة قاضي قضاة الديار المصرية، علاء الدين أبو الحسن علي المعروف بابن مغلي السلمي الأصل في سنة (828 هـ / 1425 م)، وهي السنة الرابعة من سلطنة الأشرف برسباي⁷².

سلمية في العصر العثماني

من خلال التقسيمات الإدارية التي قامت بها الحكومة العثمانية لبلاد الشام، جُعلت سلمية إحدى سناجق ولاية دمشق، إلا أنه بعد ثورة الغزالي سنة (926 هـ / 1520م) قُلصت ولاية دمشق، ليصبح امتدادها ما بين دمشق والعريش فقط وضمّت سناجقها التي كانت تابعة لها شمالاً، أي جبلة وتدمر وسلمية وحمص وحماة إلى ولاية طرابلس الشام⁷³.

⁶⁹ - أبو الفداء: المختصر، مصدر سابق، ج 4، ص 88 - 89.

⁷⁰ - المصدر نفسه، ج 4، ص 94.

⁷¹ - زكريا: جولة أثرية، مرجع سابق، ص 275 / كرد علي: خطط الشام، مرجع سابق، ج 2، ص 175.

⁷² - بردي، ابن تغري: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج 3، القاهرة، 1963 ص 199.

⁷³ - حتي، فليب: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة كمال اليازجي، ج 2، ط 2، بيروت 1972، ص 164.

لقد بقيت سلمية طيلة هذه المدة من أعمال الأمراء العرب، الذين حصلوا من الدولة العثمانية، على حق النزول في سلمية وما حولها لقاء إتاوات يؤدونها لها⁷⁴. وفي هذا السياق يقول كرد علي: كان المتغلبون على أكثر البر في أوائل القرن (11هـ) الأمير شديد بن الأمير أحمد حاكم العرب من آل الجبار، وما زال آل عثمان يعطون لواء سلمية للأمراء العرب، وأمرؤهم هم عرب آل جبار وهم قبيلتان آل محمد وآل حمد، ويمتد حكمهم إلى أرجاء حلب والرقعة⁷⁵.

وكان هؤلاء الأمراء يتولون لواء سلمية بطريقة الأوجاق*.

ويبدو أن هؤلاء الأمراء كانوا مستقرين في سلمية، يصرفون أمورها، وهي مسؤوليات ورثوها عن أمراء حماة في العصر المملوكي، فقد كانوا يقومون برعاية بعض المرافق الهامة، كقناة سلمية الواصلة إلى حماة، حيث كان هناك الكثير من الوقفيات التي كان لأصحابها بساتين تروى من ماء قناة سلمية وتذكرها الوثائق كالوثيقة التي تذكر وقفية عفيف الدين آل الكيلاني، والمؤرخة سنة (976 هـ / 1568م)، وأخرى للأمير عبد الوهاب المعروف بابن شيخ الأكراد، المؤرخة في سنة (981 هـ / 1573م)، هذا عدا عن المرسوم الذي وجد منقوشاً على أحد أعمدة قبة الخزنة في صحن جامع حماة الكبير، وهو يعود لعام (901 هـ / 1496م)، وهو يشير إلى استيفاء الحكومة لضريبة كانت تجنيها ممن يستفيد من ماء تلك القناة⁷⁶.

كما تذكر إحدى الوثائق نصاً يتضمن بيع وشراء أرض تقع إلى الغرب من سلمية تحوي على طاحونة راكبة على (ساقية) سلمية تعرف بالفرقانية كائنة بين مرج سلمية ومنفذ الماء، وقد كان عقد البيع بين الأمير حمود وبين حاج محمد من جهة وقدة الأمراء نعمة الله

⁷⁴ - زكريا، أحمد وصفي: رحلة أوليا جلبي في البلاد العربية، مقال في مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق 1932، مجلد 12، العددان 11 - 12، ص 733.

⁷⁵ - كرد علي: خطط الشام، مرجع سابق، ج 2، ص 236.

* - الأوجاق: أي الالتزام.

⁷⁶ - شحادة، كامل: قناة سلمية. أفاميا أو قناة العاشق، الحوليات العربية السورية الأثرية، دمشق 1957م،

المجلد 7، ج 1+2، ص 7.

مير لواء سلمية يومئذ، بثمان قدره عشرون سلطانية وبحضور الشهود. «يؤرخ العقد أواخر ربيع الأول سنة (988 هـ / 1580 م)»⁷⁷.

وفي عام (1620 م) أصبحت سلمية تابعة للأمير الدرزي فخر الدين المعني الثاني، بناءً على فرمان سلطاني، صادر عن السلطان مراد الرابع عام (1624م).

وقد كان الأمير فخر الدين المعني الثاني يسعى لتقوية إمارته، بغية الانفصال عن الدولة العثمانية، وإعلان استقلاله الكامل عنها، لذلك كان بعيد الغور والنظر، فأخذ يعمر ويرممها القلاع والحصون كقلعة صرخد وقلعة شميميس في سلمية وغيرها ويشحنها بالرجال والسلاح⁷⁸.

وفي أواخر القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي، بدأت تغد نحو سلمية وضواحيها قبائل شمر، النازحة من نجد طلباً لبقاع أروع من التي كانوا فيها، محاولة الوصول إلى أرياف حمص وسلمية، والاستقرار فيها، فصدّها فرسان الموالي، وردّوهم على أعقابهم بعد معارك دامت عشرات السنين، ولكن ما أن حطت الحرب أوزارها حتى تلقت سلمية خبر موجة أخرى من القبائل النازحة من نجد، في أواخر القرن الثاني عشر للهجرة، ولكن هذه المرة كانت تلك القبائل هي قبائل عنزة، الهاربة من الوهابيين، وصمدت الموالي لعنزة هذه المرة أيضاً ولكنها اضطرت أمام تدفق جموعها وبعد حرب طويلة إلى مصانعتها وإخلاء قسم من ديار حمص لبطن من بطون عنزة يدعى (الحسنة)، لكن ذلك لم يمهّد للاضطرابات والحروب، بل أن غارات عنزة، ومن ورائهم الوهابيون توالى وكانت تصل أحياناً حتى ربوع سلمية، وأمام هذا الضغط اضطر الموالي في أواخر القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي، إلى إخلاء سلمية والانسحاب نحو الشمال إلى بقاع أكثر وعورة ومنعة في كورة العلا⁷⁹.

وكان من الأمراء الذين تولوا إدارة لواء سلمية شيخ أفندي وابنه كنج محمد وكان ذلك قبل سنة (1736م) وبعد سنة (1737م) على التوالي⁸⁰.

⁷⁷ - علواني، مصطفى: أهمية سجلات المحاكم الشرعية في العصر العثماني، بحث في مجلة العاديات، حلب 2008، عدد خاص عن محافظة حماة، السنة الخامسة، العدد الأول، ص82.

⁷⁸ - كرد: خطط الشام، مرجع سابق، ج 2، ص251.

⁷⁹ - زكريا: جولة أثرية، مرجع سابق، ص 276.

⁸⁰ - المرجع نفسه، ص212.

وبعد انتهاء تلك الأزمة، كانت سلمية قد خلت تقريباً من أعراب الموالي، وبدأت الأوضاع العامة أكثر ميلاً إلى الهدوء مع وجود نسمات الخطر التي تهب على الحواضر من الشرق بين الفينة والأخرى، لذلك أعلنت الدولة العثمانية عن مغريات لمن يسكن منطقة شرقي العاصي ويعمرها، فكانت الفرصة للإسماعيليين القاطنين منطقة الجبال الغربية، الذين كانوا يحنون لمنبت عقيدتهم سلمية، فطلبوا من الدولة العثمانية على لسان أحد أمرائهم القاطن في إحدى ضواحي قلعة الخوابي، واسمه (إسماعيل) والمحكوم بالإعدام من قبل الدولة العثمانية* أن يعمرها سلمية، فسمحت لهم الدولة بذلك وأيدتهم على أن يسموها مجيد أباد تنويهاً بعمرانها الجديد في عهد السلطان عبد المجيد⁸¹، الذي أصدر فرماناً استجابة لطلب الأمير إسماعيل بأعمار سلمية مقابل إعفاء ساكنيها من ضرائب الدولة والخدمة العسكرية الإلزامية والسماح لساكنيها بحمل السلاح للدفاع عن أنفسهم وقد ورد فرمان على الشكل التالي:

«من حضرة السدة السلطانية العليا إلى والي الديار الشامية، يأتي أمرنا جواب المعروض المقدم من إسماعيل الأمير محمد بن سليمان الساكن في جبال الإسماعيلية في ولاية طرابلس الشام، بالسماح له بإسكان من يراه من عشيرته وأبناء قبيلته أراضي الجفتلك** الواقعة شرقي نهر العاصي، وحتى بادية الشام وجبال الشومرية وجبال العلا. يقسمها بينهم بمعرفته طبقاً لرغبتنا في إعمار شرقي نهر العاصي من الديار الشامية، وله الحق في تجنيد أربعين عسكرياً، واقتناء السلاح للدفاع عن كل الأراضي التي بحوزته، وإعفائه من الضرائب الخاصة بالدولة بأنواعها، ولا يؤخذ إلى الخدمة العسكرية إلا من يريد الخدمة بالكيف والقبول

* - راجع كتاب الأستاذ محمود أمين سلمية في خمسين قرناً، ص 114 وما بعد.

⁸¹ - زكريا: جولة أثرية، مرجع سابق، ص 277.

** - الجفتلك: مفرد جفلكات وهي القرية الصغيرة وما يتبعها من أرض، وهذه التسمية تستخدم حتى اليوم في المناطق الشمالية من سوريا القريبة من الحدود التركية. راجع. سركو، ماري دكران: دمشق فترة السلطان عبد الحميد الثاني 1293 - 1325 هـ / 1876 - 1908 م تقديم وإعداد خيرى الذهبي، سلسلة آفاق ثقافية (دمشقية)، تشرين الأول، العدد 67، دمشق 2008، ص 169، بينما جاءت الكلمة عند الأستاذ محمود أمين بمعنى الأرض البور الجرداء.

وعلى والي الديار الشامية إبلاغ متصرف حماة تطبيق نص فرمان السلطاني وتقديم المعونة لإسماعيل الأمير محمد».

حرر في الآستانة 18 شعبان سنة 1260 هـ

التوقيع والخاتم

السلطان شاهنشاهي عبد المجيد⁸²

سلمية في عهد الانتداب الفرنسي

بدأت فرنسا منذ اللحظة الأولى التي اجتاحت فيها أرضنا، تطبيق سياستها الاستعمارية القائمة على التقسيم والملاحقة والاضطهاد ومصادرة الأملاك، هذا فضلاً عن إثارة النزعات الطائفية والمذهبية بين السكان، ففي سلمية مثلاً شكلت مجلس عشائر لفض الخلافات والمنازعات بين أبناء العشائر القاطنة في منطقة سلمية إذ ذاك، في الوقت الذي كانوا هم من يثيرون الخلافات حول المياه ومناطق الرعي⁸³، وقد كان المشرف أو المراقب لبعض عشائر سلمية البدوية وهو بمثابة مفتش (الكابتن باريل) الذي عُين استناداً لقرار وزارة العدل رقم (7670)⁸⁴.

وفي سياق متصل ليس ببعيد، أصدرت فرنسا نفسها على لسان حاكم دولة دمشق وبتكليف من مفوضها السامي في لبنان وسوريا قراراً ينص على إلغاء المحاكم في كل من أفضية الزيداني والزوية (في الجولان) وسلمية وهذا هو نص القرار:

«إن حاكم دولة دمشق بناء على قرار المفوضية العليا للجمهورية الفرنسية في سوريا ولبنان المؤرخ في 2 كانون الأول سنة 1920 م ورقم (588) وبما أن الدعاوي التي ترفع للمحاكم الشرعية في الزوية والزيداني والسليمية عددها قليل لا يستلزم إبقاء المحاكم المذكورة في هذه الأفضية....»

⁸² - أمين: سلمية في خمسين قرناً، مرجع سابق، ص 156 - 157.

⁸³ - المير سليمان، إسماعيل: سلمية تاريخ ومنجزات، ط1، سلمية 2001، ص 131.

⁸⁴ - مجموعة القوانين والقرارات الإدارية لدولة سوريا الجزء الثالث، 1934/7/24، ص 406 - 407.

المادة الأولى: إن المحاكم الشرعية في أفضية الزوية والزبداني والسلمية ملغاة مؤقتاً.
المادة الثانية: الحكام ذوو الصلاحية المحدودة في هذه الأفضية يقومون بالوظائف التي تخولها القوانين والنظمات لقضاة الشرع...

رقم 1325 في 15 حزيران سنة 1922»⁸⁵.

لربما يضيف هذا القرار دليلاً آخر على صدق وصحة تسمية هذه المدينة بمدينة السلام.

واستمراراً في سياستها الاستعمارية عينت حكومة الانتداب الفرنسي مستشاراً فرنسياً جديداً يدعى الكابتن (روب) وقد عمل هذا الأخير منذ اللحظة الأولى لتسلم مهامه على إثارة النعرات والفتن الطائفية والمذهبية في مدينة سلمية، في الوقت الذي كان يراقب عن كثب نمو النزعة الوطنية التي أخذت تنمو وتتطور في مدينة سلمية أكثر فأكثر، ومحدراً كل من يعارض سياسات ومخططات السلطات الفرنسية، من أهالي المنطقة وزعماء العشائر حيث كانت الاتصالات السرية قائمة على قدم وساق بين موظفي المدرسة الزراعية في سلمية وبعض رجالات سلمية المرتبطين بالقادة والوطنيين الذين كانوا يزورون سلمية باستمرار ومنهم: سليمان المعصراني وعبد الله فركوح من حمص وفخري البارودي وصبري العسلي وغيرهم...⁸⁶.

وفي سياق آخر جُعِلت سلمية قائم مقامية من الدرجة الأولى في عام (1932 م)، وذلك بعد صدور قرار حكومة الانتداب الفرنسي في سوريا، القاضي بترقية قوام مقام بعض المدن السورية مثل سلمية والزبداني والمعرّة⁸⁷، بعد أن كانت قد شهدت في تلك الفترة بعض التوسع في عمرانها وانتعاشها.

⁸⁵ - بلاغات مديرية المالية العامة لدولة دمشق سنة 1922، ص 316 - 317.

⁸⁶ - المير سليمان: مصدر سابق، ص 136 - 137 - 138.

⁸⁷ - النشرة الرسمية لدولة سوريا قرار رقم (4063) العدد 17، السنة 14، دمشق نيسان 1932 ص 85، عن مركز الوثائق التاريخية بدمشق.

لقد استمرت سياسة الضابط (روب) حتى تم عزله وتعيين ضابط آخر اسمه (كوزناف)، وذلك بعد تدخل مباشر من الأمير علي خان، مع المفوضية الفرنسية في بيروت⁸⁸.

في عهد كوزناف بدأت الأمور تتحسن في سلمية رغم أنه لم يكن يختلف عن سابقه كثيراً، إلا أن الانفتاح الثقافي بدأ يظهر جلياً في سلمية من خلال افتتاح بعض المدارس وتوسيع بعضها الآخر، عدا عن المدرسة الزراعية الموجودة سابقاً ومن أهم المدارس في تلك الفترة مدرسة البنات⁸⁹، التي كان يعمل بها أكثر من معلمة وذلك حسب ما جاء في نص القرار رقم (804) الذي يمنح السيدة (نعيمية صبحي) إحدى معلمات مدرسة إناث سلمية إجازة صحية مدة شهر كامل⁹⁰. ومدرسة نموذج سلمية التي اشتهر من مدرسيها السيد عبد الكريم زهور وهو معلم ملازم والسيد عبد الجبار الدريعي، والسيد عبد الرزاق جابر والسيد صادق كيلاني، وكلاً من السيدان بهيج السجان ومفيد العظم⁹¹. وقد تمكن القائمون على هذه المدرسة مدعومين من الأهالي في سلمية بعد مطالبات طويلة من استصدار المرسوم رقم (499) بتاريخ (1939/11/29 م) بخصوص الضريبة المفروضة عليها، وهذا نص المرسوم:

1- تعفى الدار العائدة لسمو الآغا خان الكائن في قصبة سلمية المقيدة في صفحة (335/1) بقيمة قدرها ألف قرش ذهب عثماني من الضريبة العقارية لاتخاذها مدرسة أميرية منذ إنشائها بدون بدل إيجار، ويطوى ما هو مُستحق عليها من الضرائب السابقة والحالية من القيود.

2- إن هذا الإعفاء يظل معتبراً ما دامت هذه الدار مشغلة من قبل الحكومة بدون بدل إيجار⁹².

⁸⁸ - المير سليمان: مصدر سابق، ص143.

⁸⁹ - مجموعة البلاغات المالية العامة لدولة سوريا: لعام 1927، ص224 - 225.

⁹⁰ - الجريدة الرسمية: مصدر سابق، العدد 3 لعام 1933، ص 65.

⁹¹ - الجريدة الرسمية للجمهورية السورية، العدد 43، 14/11/1940، ص846 - 847.

⁹² - الجريدة الرسمية للجمهورية السورية . قرارات وزارة المالية . مصدر سابق، العدد 48، لعام 1939،

ص1089 - 1090.

ومن المدارس الهامة أيضاً مدرسة (ماركوسيان) للأرمن الأرثوذكس في سلمية وهي مدرسة ابتدائية والتي كان المسؤول عنها (مشدوش فوسكنشيريان)⁹³، ثم أصبح مديرها الخوري (يغشه)⁹⁴.

من جانب آخر كانت سلمية حتى نهايات عهد الانتداب الفرنسي من المراكز التي عولت عليها حكومة الانتداب في حفظ الأمن في رحاب البادية وذلك من خلال ما يسمى بمخافر حرس العشائر التي كانت قد أنشأتها في سلمية وما حولها ناحية البادية، وهذا ما يؤكدّه أمين أبو عسّاف، مسؤول قوات الهجانة في ذلك الوقت حيث يقول في مذكراته: «وبتاريخ (1945/8/18 م) ذهبْتُ مع دورية إلى حمص لاستلام رواتب حرس العشائر وتسليمها إلى مخافر سلمية وجبل البلعاس»⁹⁵. وكانت قبلاً تعتمد اعتماداً كلياً على ما كان يسمى (الحرس السيار) الذي كان يتبع مراكز الاستخبارات في الأقضية، فكان في سلمية مثلاً مركزاً للاستخبارات يضم 60 عنصراً، 55 منهم درجة ثانية، و 3 درجة أولى، و 1 معاون رئيس قطعة، و 1 رئيس قطعة»⁹⁶.

هذا العدد الكبير من عناصر الاستخبارات إنما يدل على مدى خوف الفرنسيين أمنياً من هذه المنطقة ككل، من حيث ما تستطيع أن تقدمه من دعم بشري لأية ثورة أو تحرك مناهض لهم.

وعلى الصعيد النضالي الوطني المسلح، فقد انطلقت أولى صيحات الثورة والنضال في سلمية مع دخول أول جندي فرنسي إلى أرض سورية، واستمر النضال والكفاح طيلة الوجود الفرنسي في ربوع بلادنا، فقد بدأت الدعوات إلى الاستعداد والتدريب على القتال.. فاستجاب الكثير من شباب سلمية إلى النداء واندفعوا إلى ساحات التدريب التي كانت تقام سراً بالقرب من جبل عين الزرقاء وجبل الخضر والوادي الواقع بينهما⁹⁷.

93 - الجريدة الرسمية للجمهورية السورية، المصدر نفسه، العدد 4، لعام 1938، ص 152.

94 - الجريدة الرسمية المصدر نفسه، العدد 33، 1940/8/29، ص 688.

95 - أبو عسّاف، أمين: ذكرياتي، 1996، ص 94.

96 - مجموعة البلاغات المالية لدولة سوريا: مصدر سابق، القرار رقم 199، دمشق 20 كانون الثاني

1930، ص 29.

97 - المصدر نفسه، ص 152.



مجموعة من شباب سلمية وعلى رأسهم المجاهد اسماعيل عواد.. يتدربون على القتال المكان: سهل قرب جبل الخضر وجبل عين الزرقاء قبل التشجير.

لقد كان لأبناء سلمية دور هام في النضال ضد الاحتلال الفرنسي، وحتى الانكليزي في فلسطين، حيث أرسل رجالات حمص الوطنيين وفداً إلى سلمية طالبين المساعدة من أهل العشائر التي تتعطف مع سلمية وعلى رأسها قبيلة عنزة وذلك لمقاومة الزحف الفرنسي القادم من طرابلس . لبنان قاصداً حمص، وبالفعل فقد تطوع أكثر من (300) فارس من سلمية والعشائر ثم تبعتهم بعض المجموعات المسلحة، ويذكر أن من أبرز قادة تلك المجموعات المتطوعة كل من: سليمان المير علي . داهود محمد داهود . حمودي داهود . ملحم رستم . محمد الجندي . محمود شاهين . طلال ظالم الحاج . خضر عبيدو ورفعت المير حسن...⁹⁸. ولكن القوات الفرنسية كانت أكثر في العدد والعدة فكانت النتيجة لصالحهم. ولم يقتصر الأمر على شباب سلمية فقط، بل إن عشائر منطقة سلمية كان لهم بصمة مجد في هذا الميدان،

⁹⁸ - المير سليمان: سلمية...، مصدر سابق، ص 126-127.

حيث أنجدوا بمساعدة شباب سلمية، مدينة حماة حين قام الفرنسيون بعدوانهم عليها في أواخر شهر أيار سنة (1945 م). وكانت الذروة في يوم الثلاثاء الموافق (1945/5/29 م)، حيث واصلت الأعمال الحربية العدوانية سيرها وغدت مدينة حماه بأكملها ميداناً لها، في هذه الأثناء كانت النجدة القادمة من سلمية والبادية تتابع تدفقها إلى حماه للمشاركة في الجهاد ضد العدوان الفرنسي⁹⁹.

ملاحظة: للتوسع في تاريخ مدينة سلمية وآثارها، نحيل قارئنا الكريم إلى كتاب (سلمية رسائل من التاريخ) تأليف أمين محمد قداحة.

⁹⁹ - الكيلاني، مؤيد: محافظة حماه (سلسلة بلادنا)، دمشق، 1964م، ص 34.

الفصل الثالث

أهم آثار منطقة سلمية

قلعة شميميس

أ. نزار مصطفى كحله



تقع قلعة شميميس إلى الشمال الغربي من مدينة سلمية بحوالي 5 كم وإلى الجنوب الشرقي من مدينة حماه بحوالي 28 كم، وهي جاثمة على قمة جبل منفرد من سلسلة جبال العلاء.

لمحة تاريخية

موقع القلعة هو حلقة من سلسلة المعازل الحصينة التي تعود إلى عصر البرونز الحديث 1600 - 1200 ق.م. لكن من الثابت أن أول من بناها هم أمراء أسرة شمشيغرام العربية في

أواخر العصر الهلنستي وأوائل العصر الروماني ما بين 100 ق.م وحتى ميلاد السيد المسيح، وربما يعود أصل اسم القلعة إلى الملك شميثغرام بانيها الأول، أو إلى الإله الشمس إله مدينة حمص المقر الرسمي لهذه الإمارة العربية في ذلك العصر.

كانت القلعة عامرة طيلة العصر الروماني 64 ق.م - 395 م والبيزنطي 395 - 636 م. وقد كان كسرى أبرويز الملك الفارسي الساساني قد دمرها حوالي 611 م أثناء اجتياحه لبلاد الشام.

بقيت القلعة مهملة زمنًا طويلاً، حتى قيام الدولة المرداسية، حيث ملكها لفترة من الزمن آل منقذ في عهد صالح بن مرداس، وفي عام 1157 م دمرها زلزال ضخم ضرب معظم بلاد الشام، فزاد في خرابها.

وفي عام 1230 م أعاد بناءها الملك المجاهد شيركوه صاحب حمص بإذن من الملك (الأيوبي) الكامل، وقد شهدت القلعة صراعات دامية بين الأمراء الأيوبيين، ما بين أمراء حماه من التقويين* والأسديين* أمراء حمص.

وفي عام 1259 م دمرها هولاكو في طريقه إلى دمشق، ومن ثم دخلت في ممتلكات الدولة المملوكية بعد معركة عين جالوت 1260 م حيث أُعيد ترميمها، لتُدمر ثانية على يد تيمور لنك التتري عام 1400م.

وفي عام 1631 م أعاد بناءها فخر الدين المعني الثاني من ضمن سلسلة القلاع التي سيطر عليها لتوطيد أركان دولته ضد العثمانيين، لكن وبعد القضاء على دولته من قبل العثمانيين دخلت القلعة في غياهب النسيان.

وصف القلعة

تتألف قلعة شميميس من قسمين متصلين بجدار بينهما:

* - أولاد تقي الدين عمر.

* - أولاد أسد الدين شيركوه.

القسم الشرقي: وفيه البوابة المتحركة، والبئر المائية، وبئر أخرى للمؤن، وفي هذا القسم بقايا أبراج للمراقبة والدفاع.

القسم الغربي: وفي الزاوية الجنوبية الغربية منه، تنتصب بقايا من دار الإمارة.

وهناك خمسة أجزاء من سورها مدمرة بالكامل، تمثل شاهداً على وضعها التحصيني المنيع سابقاً. وقد قُدرت أبعاد البناء المركزي لقلعة شميميس بـ 35×35 م، ولا بد أن للقلعة أكثر من طابق، فهي لم تُقَبَّ بشكل جيد حتى الآن، لمعرفة ما تخفيه هذه الكتل الترابية الكبيرة المتكدسة فيها.

يحيط بالقلعة خندق عمقه حوالي 15 م ويزيد عرض فتحته تدريجياً نحو الأعلى. وسيلحظ الدارس، وحتى الزائر لقلعة شميميس، المكانة الحربية الهامة لها، من خلال استراتيجية موقعها الذي جعلها ذات مكانة حربية لا يُستهان بها، فهي تُشرف على كامل السهول الشرقية، وعلى مسافات بعيدة جداً.

القلعة اليوم، مهتمة بشكل شبه كامل، ولا يبدو من معالمها سوى بعض الأسوار الخارجية المتداعية، مع بعض بقايا الأبراج المتهتمة.



قلعة سلمية

أ. نزار مصطفى كحله



ما تبقى من جدار القلعة الجنوبي وهو قائم الآن وسط المدينة

تقع وسط مدينة سلمية، ويشغل مكانها اليوم دار الحكومة، بعد أن تهدمت ولم يبق منها إلا جدارها الجنوبي، وقواعد البرج الشرقي.

لمحة تاريخية

يعود بناء هذه القلعة (بقواعدها) إلى العصر اليوناني وامتداده الروماني، لكنها تعرضت للكثير من الحروب والكوارث والزلازل وخاصة زلزال 1157م الشهير، مما أدى إلى خرابها.

رممها نور الدين الزنكي، واتخذ منها مركزاً لتموين جيشه، ومن ثم خُربت من جديد، إلى أن أعاد بناءها الملك المظفر محمود بن الملك المنصور محمد بن تقي الدين عمر عام 1223 م، وفي عام 1230م خربها الملك المجاهد شيركوه صاحب حمص، في جملة الصراعات بين الأمراء الأيوبيين على السلطة، لكنها رُممت ثانية.

وفي العصر العثماني، هدمها الأتراك، ووضعوا أحجارها في جدران دار الحكومة، كما استعمل سكان المدينة (سلمية) معظم حجارتها في بناء منازلهم أواخر القرن 19م وبداية القرن 20 م، فلم يتبقَ منها سوى سورها الجنوبي وأساس برج واحد فقط.

وصف القلعة

للقلعة شكل رباعي طول ضلعه 150 م وارتفاعه 8 - 10 م، وترتكز القلعة في زواياها على أربعة أبراج، وتتوزع أربعة أبراج أخرى بين كل برجين على الجدران، ليصبح العدد ثمانية أبراج، أبرزها برج القلعة الثامن الذي يشكل باب القلعة، والذي يشبه الباشورة، أي المدخل المنكسر، وذلك زيادة في التحصين وإجراءات الدفاع.

كان قصر القلعة ملاصقاً للجدار الجنوبي بطول حوالي 20 - 25 م وعرض 8 م وهو مؤلف من طابقين، السفلي منهما له بابان يؤديان إلى داخل القلعة، وهو مبني على شكل عقود رباعية. أما الطابق العلوي، فقد كان يتألف من 4 غرف تُفتح أبوابها جميعاً على الشمال ولها نوافذ ومزاغل* دفاعية في الجهة الجنوبية.

ساحة القلعة متسعة ومكشوفة على امتداد جدران القلعة الأربعة، وكان يتوسطها بئر ماء، وقد رُصِفَت تلك الساحة بالحجارة البازلتية المربعة الشكل.

ولم يبق من القلعة في أيامنا سوى قواعد البرج الجنوبي الشرقي، وبقايا جدار القلعة الجنوبي بارتفاع 8 - 9 م وبعرض 1 م وخلفه مدرجات دفاعية، وقد فُتِحَت في الجدار مزاغل لرمي السهام.

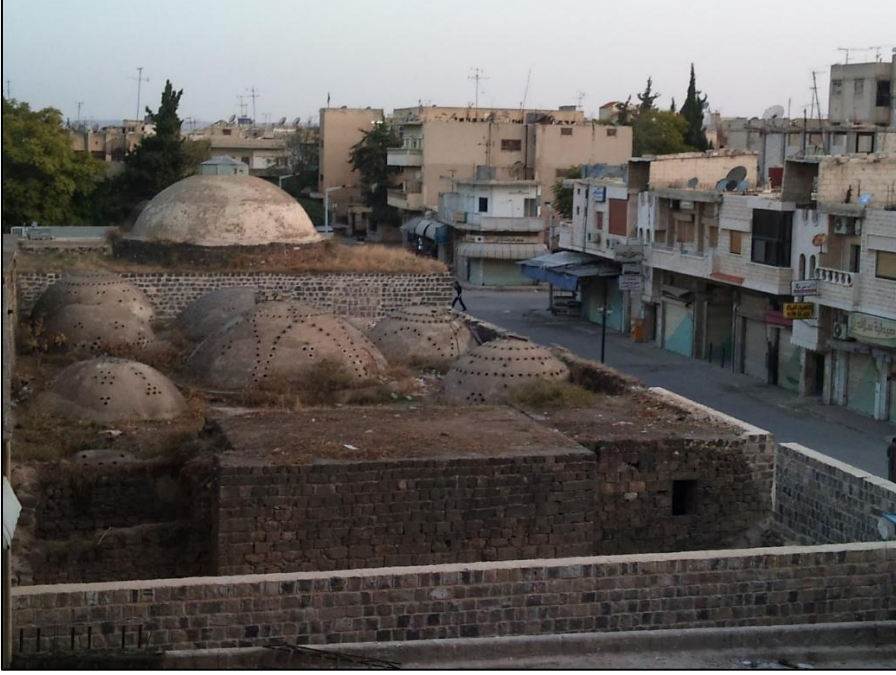
* - وهي فتحات لرمي السهام.



جدار القلعة المتبقي من الداخل

حمام سلمية الأثري

د. غزوان مصطفى ياغي



يقع هذا الحمام وسط مدينة سلمية إلى الجنوب الشرقي من القلعة، ويُعتبر من أكمل الحمامات الأثرية في بلاد الشام. وتُشير أقدم الدلائل الباقية لعودة البناء الأول لهذا الحمام إلى العصر الروماني 64 ق.م - 395م كما يعكس بناء الحمام ذلك الاهتمام التي لقيته سلمية في العصر الزنكي ثم الأيوبي، حيث تعرض هذا الحمام لإعادة بناء كاملة تظهر معالمها في أجزاء الحمام وفي أنواع عقود وأشكال قبابه الآجرية ذات القطاع النصف دائري المدبب والمائل للطول. كما تظهر الدلائل المعمارية بأن هذا الحمام قد تعرض في العصر المملوكي لعملية ترميم واسعة شملت إعادة تأهيل أغلب أقسامه وتطوير أجزائها وعناصرها حتى أخذ الحمام شكله المعماري الحالي بأقسامه الكاملة، التي بلغت قمة اكتمالها في هذا العصر، وليصبح هذا الحمام مطابقاً في تخطيطه وأقسامه مع أشهر الحمامات العائدة للعصر المملوكي، بل أصبح تخطيطه يُمثل قمة تطور الحمامات الإسلامية في بلاد الشام.

ويبدو أن هذا الحمام قد وصل سالماً لأهل سلمية عند وصولهم إليها وسكنها الأخير عام 1848م، فأعادوا تشغيله واستخدامه كحمام وحيد لهذه المدينة، حتى أواسط القرن العشرين، عندما قل عدد مرتاديه، حتى أقفلت وفشلت المحاولات لإعادة فتحه واستثماره كحمام في وسط الثمانينات، لقلة الإقبال عليه، وتذكر بعض الروايات بأنه قد رُمَّ أيام الاستعمار الفرنسي لسورية، وتعتبر أرضية البراني الرخامية والنافورة مُجددة أيام الفرنسيين.

يتألف الحمام من مسقط مستطيل مساحته 32,844م² يُحيط به أربع واجهات خارجية، أهمها الواجهة الشرقية الرئيسية، التي تقع كتلة المدخل الرئيسي للحمام بطرفها الشمالي.

ويتألف الحمام من الأقسام الداخلية، وهي:

1. البراني.
2. الوسطاني.
3. الجواني.
4. الموقد.

وقد زوّد الحمام بالمياه من قناة عين القصب، التي أُستجرت مياهها للحمام، وتوزعت بعد مرورها على المستوقد، عبر أقصاب فخّارية مُغيبية داخل الجدران والأرضية إلى كافة أجزاء الحمام.

مشهد الأئمة في مدينة سلمية

د. غزوان مصطفى ياغي



يقوم مشهد الأئمة على العقار 127 في منطقة الشيخ علي العقارية بمدينة السلمية التابعة لمحافظة حماه، ويُعرف لدى العامة بمقام الإمام إسماعيل، تُشكل عمارة هذا المشهد بالرغم من التعديلات التي داخلته لاحقاً مثلاً فريد لطرز العمائر الجنازية الفاطمية في سورية، ومن المؤكد أن الخليفة الفاطمي الخامس العزيز بالله 365 - 386هـ / 975 - 996م، هو من أمر بإنشاء هذا المشهد فوق قبوري جديه الإمامين أحمد بن عبد الله المُلقب بالتقي محمد، والحسين بن أحمد المُلقب برضي الدين عبد الله، وأراد منه أن يكون مدفناً للأئمة الإسماعيليين في سورية أسوة بجبانة الزعفران التي كانت قد أقيمت للأئمة الخلفاء في القاهرة، وهذا ما يُبرر حمل هذا المشهد لاسم الإمام إسماعيل بالرغم أنه لم يدفن فيه، وقد جاءت عمارة هذا المشهد على طراز المشاهد الفاطمية التي بُنيت في مدينة أسوان جنوب مصر، أوفي مدينة القاهرة.

ويؤكد النقش الأثري الذي يعلو العتب (الساكف) الذي يتوج مدخل المشهد، أن الأمير خلف من ملاعب، صاحب حمص قد أعاد تجديد هذا المشهد سنة 481هـ / 1088م، حيث ظل البناء قائماً حتى سنة 552هـ/1157م عندما تداعت قبته إثر الزلزال الكبير الذي ضرب بلاد الشام في ذلك العام، ويغلب أن هذا المشهد قد ظل بحالة سيئة من الحفظ زمن الأيوبيين الذين لم يجمعهم والدولة الفاطمية وبقاياها طيب الود، ويغلب أن هذا الحال قد استمر في الفترات التي عانت بها سلمية الإهمال وقلة الإعمار في العصر المملوكي والعثماني حتى سنة 1265هـ/1848م، حيث لم يباشر بإجراء أعمال ترميم شاملة لهذا المشهد سوى في عام 1973 بدعم من المجلس الإسماعيلي الوطني لسورية وبإشراف مباشر من المديرية العامة للآثار والمتاحف، فرممت الواجهات وأعيد بناء خوذة القبة بالشكل الذي هي عليه اليوم مع الحفاظ بقدر كبير على أهم السمات المعمارية لطرزها الأصلي.

واليوم يقف المشهد ملاصقاً للجامع القديم "الجامع ذي المحارب السبعة" الذي أقيم في العصر العباسي على بقايا كنيسة بيزنطية كانت قد أقيمت فوق معبدتين وثنيين أولهما كان معبد للإله زيوس اليوناني، والثاني كان معبداً للإله جوبيتر الروماني، بحيث يشكل المشهد مع الجامع الذي أعيد ترميمه سنة 1993م مجمعاً دينياً معمارياً مميزاً.



الوصف المعماري

تشكل الواجهة الشمالية للمشهد أهم واجهاته الخارجية، وهي عبارة عن واجهة مستوية مقسومة لحنيتين جداريتين غائرتين يغطي كل منهما عقد نصف دائري، الحنية الغربية منهما مسمطة يفتح بها للأعلى شباك يطل على داخل المشهد، بينما تشكل الحنية الشرقية كتلة المدخل الرئيسي، حيث يتوسطها للأسفل فتحة باب الدخول التي يوجد على جانبيها جستان حجريتان (مكسلتان)، ويعلوها عتب بازلي بطول 32،2م وارتفاع 36،0م يحمل نص تجديد الأمير خلف بن ملاعب للمشهد، وتاريخ ذلك مكتوباً بالخط الكوفي المزهر كالتالي:

السطر الأول: بسم الله الرحمن الرحيم عمل هذا المشهد على التربة المباركة العابد الأجل أبو الحسن علي بن حرمل

السطر الثاني: رحمه الله صنعه [الأمير] الأجل الملك... سيف الدولة خلف بن ملاعب أدام الله علوه في سنة إحدى وثمانين.

السطر الثالث: وأربعمائة.

ويعلو العتب فتحة مغطاة بعقد نصف دائري تشكل شباك يُدخل الضوء والهواء للدلهيز الذي يلي باب الدخول المتوصل منه مباشرة لداخل المشهد الذي يتألف من مساحة مربعة طول ضلعها حوالي 40،9م مغطاة بقبة ضخمة محمولة على أربعة مثلثات كروية مغشى كل منها بسبعة صفوف من الحنايا المتصاعدة التي تحمل رقبة ذات اثني عشرة ضلعاً يفتح بكل منها شباك مستطيل معقود مغشى كل منها بالجص المعشق بالزجاج الملون.

ويفتح بالجدران الداخلية للمشهد أربع دخلات إيوانية عميقة مغطاة بعقود نصف دائرية معقودة، يشغل الشمالية منها بجانب باب الدخول تركيبة رخامية مجددة سنة 1993م تشير لقبر الإمامين النقي محمد ورضي الدين عبد الله ولجانب التركيبة يوجد فتحة بئر عميق مبنية جدرانه الأربعة بالحجر النحيت، يعتقد أنه كان يؤدي عبر دلهيز لباب سر يتوصل منه لخارج المشهد، أما الدخلة الجنوبية فيتوسطها حنية محراب كبير.

بينما يفتح بصدور الدخلة الإيوانية الغربية "وهي الأكثر عمقاً" ثلاثة شبابيك علوية تفتح بالواجهة الخارجية الغربية، أما الدخلة الشرقية المقابلة فتحتوي على بابين كبيرين يتوصل منهما اليوم لحرم المسجد المجدد.

هذا ويلحق بالمشهد غرفة مستطيلة تتعامد واجهتها مع الطرف الغربي للواجهة الرئيسية للمشهد، تستغل اليوم كمقر لإدارة شؤون المشهد وزواره.



المسجد قبل الترميم الأخير (واجهة رئيسية)

قناة العاشق

أ. نزار مصطفى كحله



وهي عبارة عن قناة أنجزت في فترة تاريخية محددة منذ بدايات التأريخ الميلادي، وقد نقلت المياه الحلوة (الصالحة للشرب غالباً) من مدينة سلمية إلى مدينة أفاميا* عبر مسافة تتجاوز 150 كم، وقد روت عبر مسيرها الطويل الكثير من المساحات الزراعية، وأقيم عليها الكثير من الجسور والطواحين، ناقله المياه إلى مدينة أفاميا لإرواءها في ظاهرة إنسانية، هندسية، معمارية، حضارية فذة قلّ مثيلها في التاريخ، فما قصة هذه الأبدية الأثرية العملاقة كأحد أهم منجزات الإنسان القديم في إرواء أخيه الإنسان ومحبيه له، في ظاهرة فريدة من نوعها من حيث عبقرية العمل وصعوبته ومغزاه؟.

* - تقع أبامية (أفاميا) على بعد حوالي 51 كم شمال غربي حماه، ويمر بالقرب منها وإلى الغرب نهر العاصي على بعد حوالي 3 كم، وتعرف خرائب قلعتها التي دُمرت بفعل الزلازل والغزوات باسم (قلعة المضيق).

أسطورة قناة العاشق

لقد خَلَدَ التاريخ قناة العاشق عبر أسطورة كثيراً ما ترددت على ألسن الناس، ممن عرفوا هذه القناة، وقد حفظوها عن ظهر قلب. تقول الأسطورة: "أنه كان لملك أفاميا ابنة رائعة الجمال، تزاحم على خطبتها أمير سلمية في العصر الروماني*، وكذلك أمير جلميدون*، وكان هواها - أي الأميرة - مع أمير جلميدون، ولا تستطيع رفض الأول، وحسماً لذلك اشترطت: أن من يأتيها بالماء من بلدته لعاصمتها قبل الآخر يكون صاحب الحظ بالزواج منها، فقبلاً هذا الشرط، وباشر كل منهما العمل فعلاً، باذلاً كل جهده لإيصال الماء قبل منافسه، على أن المسافة الشاسعة بين سلمية وأفاميا لم تمنع أمير سلمية من التغلب على كل الصعاب، فقد سبق مزاحمه وأوشك على النهاية"، بينما لاقى أمير جلميدون صعوبات أخرته رغم قرب المسافة بين بلدته وأفاميا، وشعرت الأميرة بتقصيره فأوفدت من يقول له: " عليك بالخام والقيـر - القار - يا قليل التدبير، وعبثاً باعت جميع محاولاته بالفشل" ونجح أمير سلمية بإيصال الماء إلى أفاميا، وراح يفخر أمام الأميرة قائلاً: "ها أنا أوصلت الماء بفضل معبودي وعظمتـه" فأجابته الأميرة قائلة: " إنك أوصلتها بفضل هني... وأشارت !" فصرخ الأمير: "لا..." لكن مُسخت الأميرة وأصبحت حجراً، ويبدو أن أمير سلمية كان على إطلاع بالعلاقة ما بين الأميرة وبين أمير جلميدون، بعد أن أراها نسخ طبق الأصل عن رسائلها، فقد كان المراسلون بينهما من جواسيسه، صُعقت الأميرة بهذا، فندمت وجثت على ركبتيها تطلب منه السماح، فقد بدأ قلبها يخفق بحبه، فأمسكت بيده وأدخلته إلى مملكتها لتطلب من أبيها الإذن بإقامة الزفاف، فصدّم أمير جلميدون بعدم تحقيق انجازه، فآل على نفسه أن يضعها في خدمة أمير سلمية، فقد كان أحق منه بقلب الأميرة، وبسبب هذا الصراع ما بين العاشقين، سُميت هذه القناة بقناة العاشق، لتروي الناس والأرض فترة زمنية وحقة تاريخية هامة، وتبقى أثراً حضارياً تاريخياً لأناس عاشوا وتركوا أعمالاً عظيمة تدل عليهم.

* - أي القائم بأعمالها، أو المُعَيَّن من قبلهم.

* - جلميدون من قضاء مصياف، تقع للغرب من حماه حوالي 45 كم.

حقيقة قناة العاشق

إن ما ورد من نسب هذه القناة إلى أسطورة تاريخية لا ينفي وجودها، فالكثير من بقاياها موجود حتى الآن، والكثير من قطع القساطل الفخارية التي كانت تسير في أسفلها ومنها توزع قساطل طويلة فرعية إلى القرى المجاورة لترويتها، ما زال الكثير منه محفوظاً لدى العديد من سكان المناطق المجاورة لها، ومؤلف هذا الكتاب قد شاهد بأمر عينه قسماً من آثار هذه القناة لحظة خروجها من سلمية، ومكان دخولها إلى أفاميا، إضافة إلى رؤيته لبعض هذه القساطل الفخارية المجلوبة منها عند بعض سكان سلمية.

كما كان الباحث السير كامل شحادة (مراقب آثار حماه) في خمسينات القرن الماضي (القرن العشرين) قد استقصى هذه القناة عبر متابعة آثارها من سلمية إلى أفاميا، سيراً على الأقدام مجتازاً المرتفعات والوديان والمزارع والحقول - لكونها تلازم الطرق - حتى وصل إلى أفاميا، وقد وصف هذا الانجاز بأنه أضخم مشروع إروائي في العصور الغابرة، ولا أدل على وجود هذه القناة حقيقة سوى ما ذكر على قطعة فخارية وجدت بالقرب من قلعة المضيق بين آثار قصر ملك أفاميا، مكتوب عليها: "الآن أشرب من ماء سلمية الأقداح، وأقرر الزواج من أمير قلعة شمس.

تاريخ إنشاء القناة

يقول الدكتور مفيد رائف العابد في كتابه /الآثار الكلاسيكية/: "بيد أنه لا يعرف على وجه اليقين من هو العاهل الذي قام بإنشاء قناة الماء الممتدة من بلدة سلمية حتى أبامية (أفاميا) وإن كان من الجائز أن الاسكندر أو أنتيجونوس أو سلوقس الأول هو صاحب الفضل في ذلك"، أي في النصف الثاني من القرن الرابع قبل الميلاد.

ويمكن أن نحدد تاريخ حفرها في القرن الأول للميلاد، وذلك استقراءً عن طريق الدراسات الميدانية التي أخضعت لها القناة، فقد نُشرت حولها العديد من النصوص والوثائق المكتشفة، مثل النص الذي اكتشف في رواق الشارع المستقيم داخل أفاميا، والموجود حتى الآن، والمؤلف من أربعين سطراً منقوشاً على حجر كلسي نُقِرَ في تكريم (أفاميا) لحبيبها (لوقيوس جوليوس أجريبا بن كايوس) بسبب إهدائه مدينة أفاميا الخالدة أروقة وحمامات، ولتوزيعه

القمح والزيت على أهلها، وذلك في عهد الإمبراطور (نيرفا تراجان قيصر أوغست) سنة 116 - 117 م، هذا وقد تم إصلاح القناة مرات عديدة في عهد (جوستينيانوس)، ويذكر الأستاذ أمين قداحة في كتابه /سلمية رسائل من التاريخ/ أن هذه القناة تعود إلى القرن الأول الميلادي أي عصر الاحتلال الروماني لسوريا، ومع ذلك فهو يعتبر أن هذه القناة قد بنيت بأيدي عربية سورية محلية، وقد استند في تحديد تاريخ بنائها إلى بعض النقوش التي وجدت في أفاميا وهي منقوشة على حجر جيري، وهو نفس النقش السابق، لكن أوردته بشكل مفصل أكثر، وترجمته: "لأجل صحة الإمبراطور تراجان قيصر أوغست، غالب الجرمانيين، غالب الداكيين، فإن لوقيوس جوليوس أجريبا بن كايوس من عشيرة فابيا، صاحب الألقاب الشرفية الملكية، ومن أجداد مسجلين، في الكابيتول على الألواح البرونزية كحلفاء للرومان، وله أيضاً براءة طقوس، وقام بكل جود بتمامه، وبنفس الوقت اشترى على نفقته الخاصة المكان، وأسس الحمامات والبالزيليك التي ضمنه، والرواق في مقدمة هذه المباني مع كل زخرفتها، ومجموعة من الأعمال البرونزية الموجودة فيها... أهداها إلى وطنه في عهد جوليوس باسوس النائب الإمبراطوري الحاكم"، كما يورد الأستاذ قداحة نصاً آخر، يبدو أنه تنمة للسابق، ويعدد بعض أعماله - أي أعمال النائب الإمبراطوري - ويقول فيه: "واشرف خلال ستة أشهر على توزيع القمح بدفع مبلغ... وقام بعمل القناة مسافة عدة أميال..." أي أن صاحب النقش أهدى أعماله لوطنه، وهو يعدد ألقابه الشرفية ويصف نفسه كحليف للرومان وليس منهم، أي أنه من سوريا.

منبع قناة العاشق

يقول الأستاذ محمود أمين في كتابه /سلمية في خمسين قرناً/ أن القناة تبدأ من عين الزرقاء غربي سلمية، وهي على شكل ساقيتين لقناة واحدة ممتدة نحو الغرب، حيث تلتقي الساقيتان بعد حوالي 5،1 كم، فتشكلان ساقية واحدة، وبعد 5 كم توجد آثار طاحونة مائية متهدمة، وإلى جانبها طاحونة أخرى تسمى طاحونة المعبد (الفرقانية)*، ثم تتجه القناة بشكل شقة مفتوحة ومكشوفة حتى تل بوعقيرب ومزرعة (أحمد شاهين)، حيث تقوم آثار سدود قديمة، وبعدها تأخذ القناة طريقاً منفصلاً نحو الغرب...، ويبدو أن الأستاذ محمود أمين قد استقى معلوماته من مجلة الحوليات الأثرية السورية (بحث قناة العاشق للسير كامل شحادة -

* - نسبة للمعبد وثني قديم كان بجانبها وقد تهدم.

المجلد السابع لعام 1957م) فيما يورد الدكتور أجفان الصغير غير ذلك فيقول: "بأنها تتبع من شمالي سلمية وتحديداً من مواضع تعرف بالتسميات المحلية باسم (أبي رياح) و(زغرين) وتتجه صوب (جبل الخضر) القريب جداً من قلعة شميميس الأثرية، ثم تأخذ جهة الغرب فتتمر في جوار جبل عين الزرقاء، ثم تسير قرب تل الدرة... إلخ".

مسار القناة إلى أفاميا

بعد أن تمر قناة العاشق بجانب تل بوعقريب بطريق شقت لها في الصخر بعرض 60 سم وعمق 1 م تتجه غرباً وهي مسقوفة، وتقطع طريق سلمية حماه في الكيلومتر التاسع، ثم تمر بأراضي تل الدرة مُشكلة فيها عدة الثقافات حول أخاديد حتى تغدو للجنوب من قرية الشّحلة، ومن شمال الشّحلة تتخذ قناة العاشق طريقها إلى سفح جبل كاسون الجبل مارة بأراضي القرى: أبوطويقية... إلخ^٤. وهكذا تسير هذه القناة مسايرة التضاريس الوعرة حتى تمر على طريق الصهرية - قلعة المضيق حتى تنتهي نحو الجنوب مجتازة كروم أهالي قلعة المضيق، حتى تغدو أمام القنطرة الشمالية لمدينة أفاميا، فتدخل إلى وسط المدينة من جانبها الشرقي واضحة على قنطرة ممتدة للجنوب، وفي قلب أفاميا أقيم لها خزانات تتفرع منها عدة فروع يصل أحدها إلى خزان كبير مبني من الآجر ذي الأبعاد 25 × 15 م ويقع خلف البناء المعروف بدار السعادة أمام القلعة من الشرق، ومن غير المستبعد وصول الماء لما تحت القلعة ليرتوي السكان منه قديماً، إذ يُرى داخل القلعة صهريج عميق جداً قُدر بعمق سطح القناة الممتد لأول القلعة وانصبابها في الخزان القريب من الخندق، ومن اليسير إسالة الماء من هذا الخزان إلى مجرى آخر يتصل بهذا البئر.

٤ - لمزيد من المعلومات حول سير القناة وصولاً إلى أفاميا، يمكن مراجعة كتاب الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلد السابع، لعام 1957م، للسير كامل شحادة. أو كتاب عاديّات حلب الكتابان (11 - 12) عام 2008 م، للمهندس اسماعيل نوفل.



وفي ذكر هذه القناة يذكر أحمد وصفي زكريا الذي رآها في جولته الشهيرة حوالي عام 1933م: "إن هذه القناة كانت تمتد من سلمية إلى حماه، وتسقي ما كان في شمال حاضرها، من البساتين والأرضين، التي استُبعِلت بعد دثورها، ولم يبق من آثار هذه القناة، إلا قليل من الآبار الجسمية، تُرى في طريق حماه، بين سلمية وقرية تل الدرة، ويظن أنها تخص القناة المذكورة، ويزعم آخرون أنها تخص قناة العاشق" وفي مكان آخر اعتبر زكريا أن: "هذه القناة كانت من أكبر دواعي عمران حماه في عهد ملوكها النقيبين الأيوبيين".

يقول الأستاذ محمود أمين أن المسافة بين سلمية وأفاميا حوالي 85 كم، يضاف إليها التعاريج والتلافيف وهي حوالي 65 كم، فيصبح مجموع طول القناة 150 كم، أم عرض مجراها الداخلي من بدايتها إلى نهايتها 60 سم، وأما العمق فيتراوح بين 1م إلى 3م. ويختلف طراز بنائها حسب المناطق التي تمر فيها، فهي في السهول مبنية من القرميد ورقيق الحجارة بالبلاط القوي، أما في المرتفعات الصخرية، فقد شقت فيها نفراً بصورة متناسقة منتظمة، وهي مسقوفة بنفس الطريقة التي أنشئت عليها، وتعبّر القناة من خلال مسارها من سلمية وحتى أفاميا على اثني عشر جسراً، تعبر بواسطتها جميع الأودية، ولذلك كان بين هذه الجسور جسور طويلة، هذه الجسور من الحجارة الكلسية الضخمة على شكل قناطر كبيرة يتراوح

طولها بين 20 - 100 م وعرضها لا يتجاوز 2م، أما ارتفاعها فيتراوح بين 4 - 12م، وهناك بعض الجسور تبنى من الحجر والقرميد معاً.

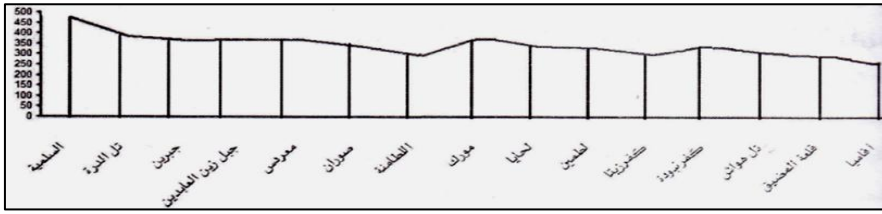
ويوجد في القناة بعض المنافذ المائية الصغيرة المربعة، وبعضها بُني بالحجر الدبش الممزوج بالكلس والحجر الثقيل المدعوم بجوانبه على شكل تصويئة مكونة من الحجر الدبش والكلس، ويبلغ عرض التصويئة بين 6 - 8 م والقناة بأكملها على شكل (سيفون) تحت الأرض، وأحكمت بالجانبين بالبناء ومُدت على ظهورها الأحجار المستطيلة الكبيرة بشكل أصبح ما فوقها طريقاً مرصوفاً مساوياً لسطح الأرض حوله، مما يسهّل مرور السيول فوقها بسهولة، وهكذا يكون ماء القناة معزولاً من الاختلاط بمياه السيول النافذة، ويكون سقف القناة متيناً يتحمل الضغوط مهما بلغت. أما مجرى القناة من الداخل فهو مطلي بمادة الكلس والقصرمل، وهذا ما يجعلها غير نفوذة.

وتروي قناة العاشق في طريقها أفاميا بشكل رئيسي، كما تدير بعض الطواحين المائية المقامة عليها، كما أن لها فتحات لإرواء السكان كما في قرية الشّحلة بمأخذ مائي، ولها منافذ أخرى لسقي الأراضي الزراعية.

المبادئ الهندسية في شق واختيار مسار القناة

من يتتبع مسار مجرى قناة العاشق من بدايتها في عين الزرقاء في مدينة سلمية، إلى نهايتها ومصبها في مدينة أفاميا، يقف مشدوهاً لوعورة المسالك واجتياز المرتفعات والوديان والمزارع والحقول، لكون مسار القناة لا يلزم الطرق المسلوكة عادة. وهنا نطرح السؤال التالي: على أي نظرية علمية أو فكرة هندسية اعتمد بناء القناة عند بنائها؟؟.

وللإجابة على هذا السؤال لا بد من دراسة مسرى مجرى القناة انطلاقاً من ارتفاع نقاط المسار المختلفة بالنسبة لسطح البحر، وعليه يمكن اعتماد الشكل التالي:

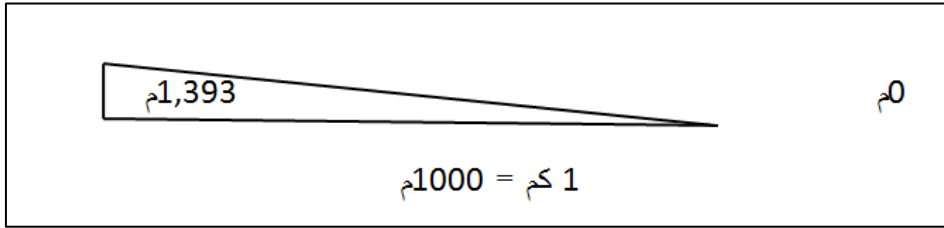


شكل يبين فرق الارتفاعات ما بين سلمية وأفاميا على طول مسار قناة العاشق

ففي سلمية نجد أن ارتفاع المنطقة على سطح البحر هو 475 م، في حين أنه في أفاميا عند وصول القناة هو 266 م، علماً أن هذا التسلسل في الانحدار له شواذ عدة في بعض المناطق كما في مورك وكفر نبودة، حيث لا يتماشى مع الانحدار العام، وقد تم تدارك ذلك عبر بناء الجسور أو إدخال القناة عبر بعض المرتفعات البسيطة، ومما تقدم تم استنتاج المبدأ العلمي الهندسي الأول: وهو فرق الارتفاع عن سطح البحر، بين بداية مسار مجرى قناة العاشق ونهاية مسار مجرى القناة، وهذا الفرق يؤدي طبعاً إلى جريان الماء بسهولة ويسر.

وبعد أن تم تعيين مختلف نقاط المسار لمجرى القناة والوصل بينها كما رأينا في الشكل السابق، ودراسة المسار دراسة متأنية يتبين لنا المبدأ العلمي والهندسي الثاني: وهو مبدأ الأواني المستطرقة، الذي استخدم بشكل صحيح في مسار مجرى قناة العاشق.

إضافة إلى ذلك كان لا بد من دراسة ميلان مسار مجرى القناة ما بين بدايتها ونهايتها، وتوزيع هذا الميلان على طول مسار القناة الذي وصل حتى 150 كم. فإذا كان الارتفاع عند البداية 475 م وعند النهاية هو 266 م فيكون الفارق بينهما هو $475 - 266 = 209$ م وهو فرق الارتفاع الواجب توزيعه على طول مسار القناة، وعندما يكون طول القناة 150,000 م $(150 \times 1000 = 150,000 \text{ م})$ ففي هذه الحال يكون الميلان $(209 \text{ م} / 150 \text{ كم})$ نجد وبعمل حسابي بسيط أن نسبة الميلان يجب أن لا تتجاوز الـ 393,1 م لكل 1000 م أي كل 1 كم، أي أن فرق الارتفاع ما بين بداية كل كيلومتر ونهايته يجب أن لا تتجاوز 393,1 م، وهذا ميلان طفيف جداً ويحتاج لدراسة علمية دقيقة ولمعرفة ببعض القضايا الرياضية، منها مفاهيم حديثة كمفهوم (ظل، تظل، جيب، تجيب) وهي قضايا رياضية هامة تدرس في مجال دراسة المثلثات القائمة الزاوية، مما يدل على معرفة علمية كبيرة بمفاهيم الهندسة لدى سكان المنطقة.



شكل يبين مستوى الانحدار في قعر القناة على مسير 1000م

تاريخ انقطاع مياه القناة وأسبابه

تعذر معرفة تاريخ انقطاع ماء قناة العاشق عن مدينة أفاميا بالضبط، ويرجح أنه وقع منذ خراب المدينة بالزلازل الكبير الذي أصاب بلاد الشام عامة، وسمي في المنطقة بالزلزلة الحموية الكبيرة، والذي حدث سنة 552هـ - 1157 م. إلا أن هذا الانقطاع لم يقع عليها بأجمعها بل كان مقتصرًا على القسم ما بعد حماه إلى أفاميا، ولم تقطع عن حماه بعد أن حولت إليها إلا بمنتصف القرن 11 هـ - 17م، والسبب يعود للإهمال الناتج عن هجرة الكثير من سكان حماه إلى دمشق وغيرها فرارًا بأنفسهم من اضطهاد وعسف الحكام، حيث كانوا يفعلون بهم وبأموالهم وأموالهم ما يشاؤون، وكذلك بسبب فقدان الأمن الناتج عن عبث أعراب البادية وتخريبهم قرى حماه وبساتينها جرّاء ضعف الحكومة آنذاك.

وفي هذه الأيام غابت قناة العاشق عن الأنظار، فلم يعد يرى منها سوى مناطق محدودة جداً وبأعين أناس خبيرة بالآثار، فقد أنتت عليها عوادي الزمن، إضافة إلى عبث العابثين ممن لا يدركون أهميتها وعبقريّة بناتها الأوائل، والتي كانت في عصر قلّ أن تجد لها مثيلاً، فقناة العاشق تعتبر من أطول مشاريع الإرواء والري القديمة، إن لم تكن هي الأطول على الإطلاق، وقد بنيت بأيدي عربية سورية، وإن كانت في عصر السيطرة الرومانية، وهي ما زالت تنتظر معاول المنقبين والباحثين، لكي يعيدوا لها ألقها المٌصادر، ولكي يسطروا من خلال معرفتهم بكيفية بنائها عظمة جديدة، ومدماكاً جديداً في جدار عظمة حضارة العرب قبل الإسلام.

مزار الخضر ... مار جورجيوس

أ. أمين محمد قداحة



بقايا مزار الخضر

يقع جامع (مزار) الخضر إلى الشمال الغربي من مدينة سلمية، على بعد ثلاثة كيلومترات، فوق آخر جبل من سلسلة جبال العلا من جهة الشرق، والمسمى باسمه، والذي لا يتعدى ارتفاعه (600 م) أسوة بغيره من جبال هذه السلسلة.

يقول أحمد وصفي زكريا في كتابه جولة أثرية أن الزائر لهذا الجامع لا يسعه إلا الاستغراب من الحكمة في بنائه فوق هذا العلو المقفر. إلا أن بناءه البازلتي الذي يؤكد أنه بني بأحجار المباني المسيحية البيزنطية، يدفعنا إلى الاعتقاد بأنه بدأ كخلوة لناسك أو متعبد، وهو أمر مألوف في الديانة المسيحية وخاصة في الشرق العربي، وسرعان ما اتسعت هذه الخلوة وأصبحت ديراً في العصر المسيحي، ثم حول إلى جامع في العصر الإسلامي.

وهنا لا بد لنا أن الإشارة إلى أن إحدى النقوش المسيحية التي تم العثور عليها في مدينة سلمية تذكر اسم القديس جورجيوس، وتعريبها: «باسم الثالث الأقدس رُفِعَ هذا البناء والمصلّى للقديس جورجيوس المظفر». وربما تم نقل هذا النقش من ذلك الموقع إبان أعمار سلمية الأخير.

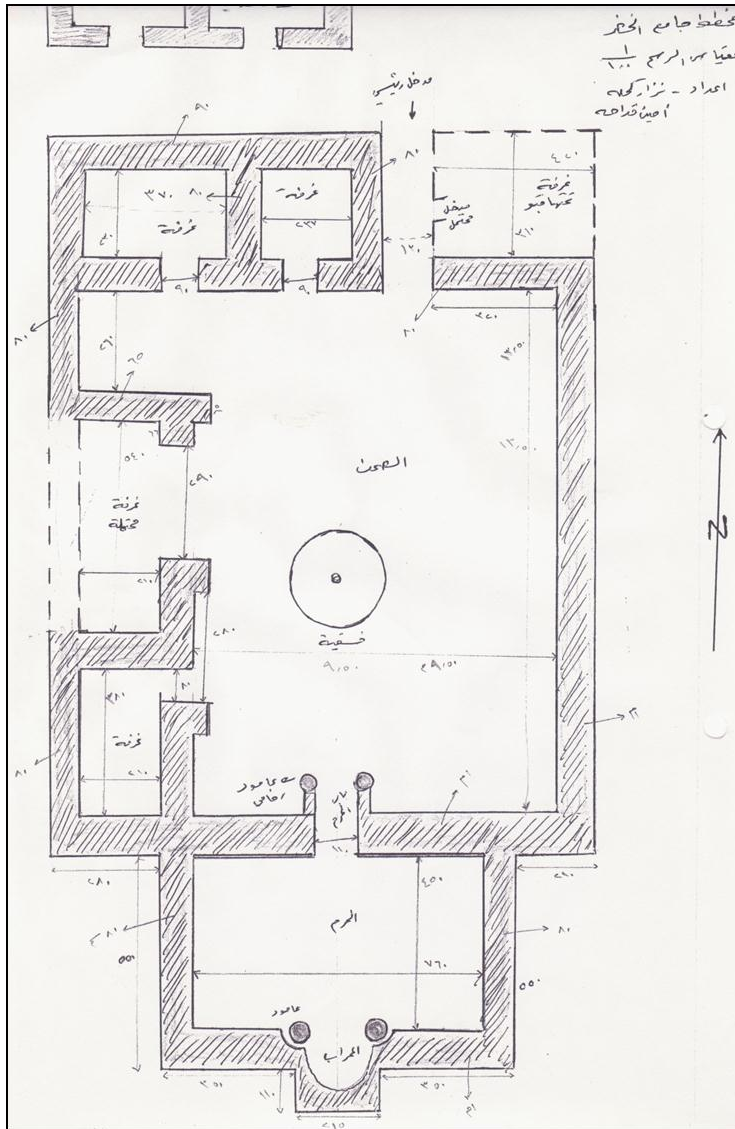
الوصف

يمتد هذا البناء على مساحة (25 × 15.14 م = 378.5 م²)، بشكل مستطيل شمالي - جنوبي، كان الدخول إليه يتم من خلال مدخل في الجهة الشمالية الشرقية يوصل مباشرة إلى رواق ممتد من الشرق إلى الغرب يُفتح عليه بابان من جهته الشمالية بعرض (90 سم)، كما يُمكننا ملاحظة أساسات لغرفة محتملة على يسار المدخل يبدو أنها كانت ترتفع فوق قبو ظهرت بعض أجزائه خلال عمليات حفر عشوائية. كما أن ذلك الرواق يتصل بصحن الجامع بمسافة كبيرة، وفي وسط الصحن كانت توجد فسقية صغيرة لا أثر لها اليوم، وفي الزاوية الشمالية الشرقية كانت توجد بئر ماء تعتمد على الجمع من مياه الأمطار، وقبل الوصول إلى باب الحرم يمكن ملاحظة أساسات لباب صغير وأساسات لغرفة على يمين الصحن، استُخدمت في السنوات الأخيرة كغرفة للطبخ وإعداد الأضاحي التي كانت تقدم للمقام، وقبل الدخول إلى الحرم كان ينتصب عامودان رخاميان خاليان من أية زخرفة أو كتابة يشكّلان بداية لمدخل بطول (1.5 م) تقريباً، لنصل مباشرة إلى الحرم الذي توسط جداره الجنوبي محراب انتصب على جانبيه عامودان آخرين على شكل حلزوني، والأعمدة كلها بطول حوالي مترين ونصف المتر، أما عن أبعاد الحرم من الداخل فهي (4.5 × 7.60 م = 34.2 م²)، وقد شُغل قسمه الشرقي بقبر كان يرمز لصاحب المقام، ومن الجدير بالذكر أن الحرم كان يستند على صخرتين في زاويتيهِ الجنوبية الغربية والجنوبية الشرقية. كما أنه يمكننا أن نرجح أن الحرم كان مسقوفاً بقبنتين بطريقة العقود، وذلك حسبما يؤكد بعض المعمرين من أبناء مدينة سلمية.

إلى الشمال قليلاً بمسافة لا تزيد عن المترين يمكن ملاحظة بعض الأساسات لغرفتين، وربما كانتا تقومان بوظيفة الملحقات الخدمية قديمة (قبل أن تنتقل تلك الوظيفة للغرفة الغربية المجاورة لباب الحرم كما أسلفنا)، ويؤكد ذلك وجود كميات كبيرة من الكسر الفخارية ذات الاستخدام المنزلي، وبقايا عظام حيوانية.

أما مواد البناء المستخدمة هنا فهي من الحجر البازلتي المشغول في كامل البناء (الجدران والأرضيات) أما السقف فكان من القرميد، وقد غطي البناء من الداخل بمادة القصرمل التي يمكن أن نشاهد بعضاً من بقاياها على بقايا الجدران التي تتراوح سماكتها بين (80 سم - 1 م).

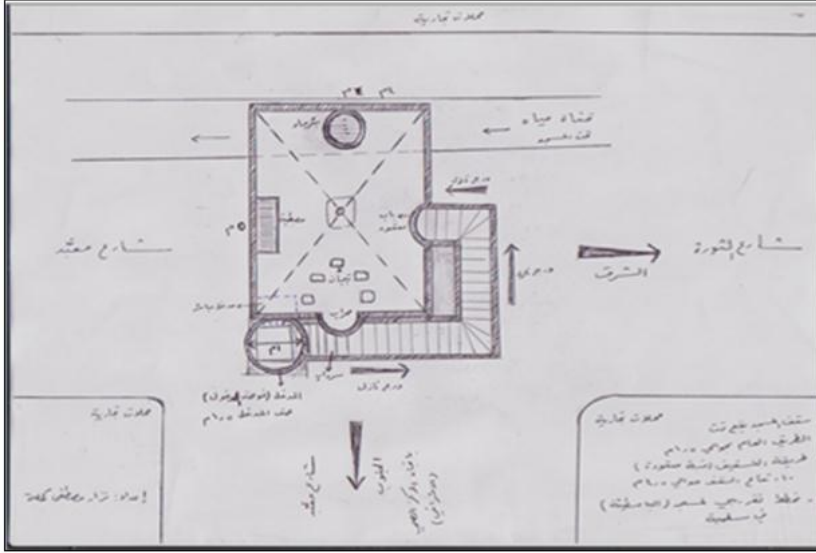
لم يبق من هذا الجامع سوى بقايا جدران سويت اليوم بالأرض بسبب العبث والحفر العشوائي من قبل لصوص الآثار، وما بقي من ركامه يستصرخ ويستغيث من ينجده من العبث، ويعيد إليه شيء من رونقه ويعيد لم شمل حجارته التي مازال معظمها مبعثراً على أكتاف جبل الخضر، الذي طرزت سفوحه بالمغارو التي ربما كانت مرتبطة بهذا الدير أو الجامع، واليوم لم يبق منها سوى اثنتين في الجهة الجنوبية والشرقية.



مخطط جامع الخضر

الباسطية

أ . نزار مصطفى كحله



مخطط تقريبي لمسجد الباسطية إعداد نزار مصطفى كحله

الباسطيّة، مسجد إسلامي صغير الحجم، إذا ما قيس بمقاييس المساجد الإسلامية عامة، والباسطيّة لغة، من الباسط، والباسط: " من أسمائه عزَّ وجلَّ، وهو الذي يبسط الرِّزْق لعباده، ويوسِّعه عليهم بجُوده ورحمته، ويبسط الأرواح في الأجساد عند الحياة " وهذا ما يتفق مع الوظيفة الدينية لهذا المكان.

والباسطيّة، عبارة عن بناء أثري في قلب مدينة سلمية القديمة، إلى الجنوب الشرقي من مدينة حماه بحوالي 33 كم، ويقع تحت شارع الثورة، عند التقائه بالطريق المتجه جنوباً نحو المركز الصحي (الإشرافي). وهو الآن مدفون تحت مستوى الطريق المعبّد بحوالي 1.5م، عن مستوى سقف هذا المسجد، وكل ما نعرفه عنه، جاء من خلال شهود عيان من كبار السن.

ويبدو من خلال وصف المسجد، أنه كان يستخدم للصلاة والعبادة بشكل سري، في حقبة زمنية من تاريخ سلمية، والذي يبدو للباحثين في تاريخ هذه المدينة، أنه يعود إلى القرن الثالث

الهجري التاسع الميلادي، حينما كانت سلمية، مركزاً سرياً للدعوة الإسماعيلية الشيعية الإسلامية، ومكان إقامة لإمامها المتصل بنسبه إلى الإمام جعفر الصادق، والتي انتهى تواجدهم فيها حوالي 291 هـ . 904م، مع خروج آخر أئمتهم عبدالله المهدي منها، متجهاً نحو المغرب العربي، ليشكل نواة الدولة الفاطمية، ويبدو أن الإسماعيليين، قد مارسوا طقوسهم الدينية بشكل سري، بعيداً عن أعين أمير سلمية العباسي، المعادي والمخالف لهم مذهباً.

والذي يثبت الهوية الإسلامية (المسجد) لهذا البناء، إضافة إلى تسميته (الباسطية)، هو وجود المحراب، في الجدار الجنوبي للبناء، لكننا لا نستطيع حتى الآن إثبات قيام هذا البناء على أنقاض بناء بيزنطي مسيحي، بسبب غياب التتقيات المنهجية، على الرغم من وجود بعض التيجان في داخله، فقد كانت سلمية مركز أبرشية كبرى، ولها شهرة كبيرة في العصر البيزنطي.

الوصف المعماري

المسجد

وهو عبارة عن بناء مستطيل الشكل، أبعاده حوالي 5م شمال جنوب، و4م شرق غرب، وهو مسقوف بواسطة قبة معقودة (إقباء معقود)، ارتفاع السقف حوالي 4.5/م، وقد حُفِرَ في منتصف الجدار الجنوبي محراب كبير، ويذكر أن أرض المسجد، كانت مبلطة بالكامل بأحجار بازلتية مشغولة بشكل جيد، كما انتشر حول المحراب، عدد من التيجان البازلتية المختلفة الأشكال والطرز، والتي كانت تستخدم للجلوس من قبل المريدين، لتلقي دروسهم الدينية، فيما كان شيخهم (إمامهم) أو معلمهم، يجلس على مصطبة صغيرة ملاصقة للجدار الغربي. وفي جوار الجدار الشمالي، توجد فوهة بئر، تتصل بقناة ماء عذبة، تسري من تحت أرضية المسجد باتجاه /شرق . غرب/، بغية تأمين مياه الشرب والضوء والنظافة، للمصلين.

وكان يمكن الدخول إلى المسجد، وبشكل مباشر، عبر فوهة بئر موجودة في أحد المنازل سابقاً، قبل شق الطريق الحالي، وهو، أي البئر، على شكل سرداب، بعاده (1 × 1م)، وارتفاعه 1.5م، ومحاذي للجدار الجنوبي للمسجد، والذي ربما استخدم أيضاً للتهوية، كما يمكن الدخول إلى المسجد، عبر دهليز يبدأ من هذا السرداب، وهو عبارة عن درج نازل،

باتجاه الشرق، وبشكل محاذي للجدار الجنوبي للمسجد، ومن ثم ينعطف شمالاً، لينعطف من جديد غرباً، حيث يفضي إلى حرم المسجد، عبر باب معقود في منتصف الجدار الشرقي للمسجد تقريباً.

وقد تعرّض المدخل للتخريب سابقاً، بعد إجراء حفريات للصرف الصحي في القرن الماضي، وقد رُدمَ القسم الظاهر منه بواسطة التراب والإسمنت. وما زال هذا المسجد يقبع تحت الطريق المعبد بانتظار الإفراج عنه.

طاحونة المعبد

أ . أمين محمد قداحة



صورة قديمة لبقايا طاحونة المعبد نقلاً عن كامل شحادة

من المحتمل أن سكان المشرق العربي هم أول من ابتدع الطاحون المائية مستفيدين من قوة الماء المنحدر من المرتفعات والأنهار والمجاري المائية الأخرى، فقد استخدم القدماء أنواعاً مختلفة من الطواحين المائية، أساسها أن تدار عجلة أو دولاب خشبي بقوة الماء المندفعة نحو مسنناتها الخارجية، محركة بدورها أحجار الطاحون بدون أي جهد إنساني أو حيواني. وتختلف هذه الطواحين بشكل أساسي حسب ضخامتها وشكل دولابها المتحرك بقوة الماء، وكيفية تركيبه في الطاحون أفقياً أو عمودياً، لكن أهم ميزة لهذه الطواحين هي إمكانية إنتاج كميات ضخمة من الطحين تصل إلى عدة أطنان للطاحون الواحدة في اليوم. وهذا يدلنا على أهمية المنطقة التي تُخدمها الطاحون المائية وعلى كثافة السكان في هذه المنطقة.

هذا النموذج من الطواحين ينطبق على طاحونة المعبد المعروفة (بالفرقانية)، تقع هذه الطاحون إلى الغرب من سلمية على طريق المساكن الغربية، زارها الآثاري الألماني (هارتمان) في بدايات القرن العشرين، وقد أعطاها وصفاً سريعاً ومقتضباً قائلاً: هناك حجارة كبيرة نقشت عليها كتابات تشبه الطلاسم، وعمودين من البازلت، مؤلفين من عدة قطع ولهما تيجان كورنثية الطراز، وعلى عامودين آخرين نقشت كتابات يونانية وعربية كوفية غير

واضحة. رغم أن هناك بعض الآراء التي ترى أن هذه الطاحون كانت مركبة على قناة تدعى باسمها، إلا أن معظم الدراسات تؤكد أنها كانت تعمل بقوة مياه قناة العاشق (قناة سلمية) ويؤكد ذلك العقد الذي يوثق لبيع قطعة أرض قرب هذه الطاحون وهو يعود لعام (988 هـ / 1580 م).

المدفن السلموني

2000 . 1800 ق. م

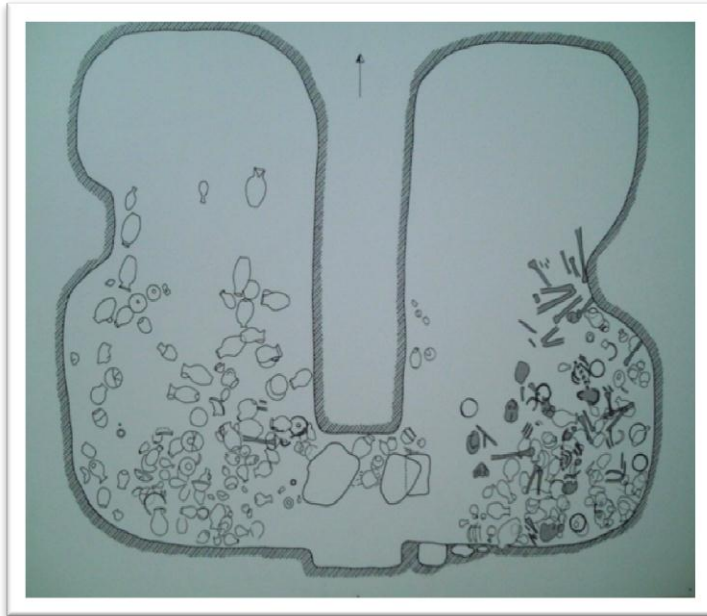
أ. أمين محمد قداحة

يشكل مدفن سلمية أحد نماذج المدافن القديمة التي عرفت في سوريا قديماً، فلهذا المدفن شكل البئر وهو يعود بتاريخه إلى عصر البرونز الأوسط (2000 - 1800 ق. م). وقد وجد المدفن على بعد خمسة كيلومترات غرب سلمية، وهو يشكل نموذجاً للمدافن المنقورة في الصخر. يمكن الدخول إليه عبر بئر مركزية، مع مدخلين إلى حجرتي دفن، وقد أُعيد بناء إحدى حجرتي الدفن، وحُفظت في متحف حماة تحت الرقم (240). كان مدخل الحجرة في الأصل مغلقاً بكتل من الحجر الجيري. وقد دُفن ما لا يقل عن أحد عشر شخصاً في هذا المدفن، الذي من المحتمل أنه كان مخصصاً لعائلة معينة. وعندما كان يحدث دفن جديد، كان يتم جمع رفات المدفونين الأقدم جانباً مع أثارهم الجنائزي المكون بشكل رئيسي من أوعية فخارية، وتحف برونزية، مثل فأس على شكل منقار البطة ودبابيس وأساور وخواتم.

والجدير بالذكر أن فخار هذا المدفن له مواصفات العصر البرونزي الأوسط في غرب ووسط سوريا، وهو مصنوع على دولا ب سريع وله شفاة ذات حواف حادة، وتتألف التزيينات على هذه الفخاريات من الشرائط الممشطة أو المحززة على الأكتاف، ونادراً ما تكون هذه الشرائط ملونة باللون الأحمر. أخيراً يمكننا مقارنة هذا المدفن بمدفن أخرى وجدت في حماة وفي إبلا، التي كشف فيها عن عدة مدافن منها المدفن البئر أو الضريح المكتشف تحت القصر الغربي، وهو عبارة عن كهف أو مغارة، حُفرت في الطبقة الصخرية الكلسية الطرية، تحت أرضية القصر، وكان يُنزل إليه بواسطة أربع درجات، يتم بعدها الوصول إلى ممر يتجه نحو الشمال، وينتهي إلى حجرتين واحدة في الغرب والأخرى في الشرق...



حجرة الدفن التي أُعيد بناءها، وحُفظت في متحف حماة . القاعة الأولى
تظهر في الصورة مجموعة كبيرة من الفخاريات كانت تستخدم كأثاث جنائزي



مخطط المدفن السلموني

قصر ابن وردان

أ. أمين محمد قداحة



يقع قصر ابن وردان إلى الشرق من سلمية على بعد 46 كم، وبنائه فريد ويتميز باختلاط الأحجار وألواح الآجر وطرازه بيزنطي ويشابه طراز المباني الملكية في القسطنطينية المشيدة في عصر جستنيان الأول 527 - 565 م ١. ويتألف هذا القصر من ثلاثة أبنية تشمل على كنيسة كبيرة وقصر عظيم وثكنة عسكرية ضخمة. مصمم البناء والمشرف على تنفيذها المهندس "أيسدور الصغير" ..

الكنيسة

فلها رواق علوي ذو ثلاث قناطر وقد علتها قبة كبيرة ترتكز على قناطر داخلية وصرن الكنيسة مستطيل ينتهي من الشرق بهيكل مستدير، وفي الجانبين من الصحن رواقان مفصولان بصفين من الأعمدة فُقد الجانب الجنوبي منها، وهناك كتابة أثرية على مدخلها الجنوبي وهي يونانية تؤرخ البناء في سنة 564م.



القصر

وهو أجملها وأوسعها ويتجلى الطابع الديني في تخطيطه ويتألف من طابقين بني بالأحجار السوداء وألواح الآجر الكبيرة ويحتوي في طابقه الأول على صفين من الغرف ممتدة من الشرق إلى الغرب وأخرى من الشمال إلى الجنوب ويلتقيان في فناء كبير. والطابق الثاني ويطابق الطابق الأول في وصفه وثمة كتابة يونانية نافرة على أحجار مدخل القصر المتجهة للجنوب وتعود إلى سنة 561م في أيام الإمبراطور جستنيان.

مدينة الأندرين

أ. أمين محمد قداحة



إنها المدينة الخربة اليوم التي تشير أطلالها إلى ما كانت عليه من رقي وازدهار والتي اشتهرت بخمورها التي كانت تنتجها من بساتين كروم عنبها.

إنها مدينة تقع على الحدود بين محافظتي حماه وحلب إلى الشمال الشرقي من مدينة حماه بنحو 80 كم وتعود المدينة إلى العصر البيزنطي وما تزال آثارها شاهدة على معالمها وعظمتها ومن تلك الآثار نذكر: قواعد سورها وبعض الأبراج المبنية من الحجارة البازلتية وثكنة في وسطها وشارعان كبيران متقاطعان مع بعضهما في وسط المدينة وكنيسة في جنوبه، وفي الخارج سورها يمكن مشاهدة خزانات المياه والأقنية التي كانت توصل المياه إلى المدينة، ومن الجدير بالذكر أنه تم الكشف فيها مؤخراً عن 11 كنيسة و 200 منزل.

إسرية

أ. أمين محمد قداحة



تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة سلمية بمسافة (80 كم)، وهي تتبع لقرية إسرية التابعة لمدينة سلمية، وتسمى اليوم بخربة إسرية. ويعود أقدم ذكر لهذا المعبد باسم سريان أو سريانا وذلك كمحطة تجارية هامة إلى عامي (194 و197 م)، ولكن ربما تكون أقدم من ذلك. ويُرجح أن إسرية تبعت في بداية تاريخها، ولفترة طويلة من الزمن لمملكة تدمر حيث شكلت أهمية كبيرة لتدمر نفسها، التي بلغت ذروة قوتها في عهد ملكتها العربية زينب (زنوبيا) التي استطاعت أن تضع تحت سلطتها كل منافذ وطرق المواصلات البرية والبحرية مع المشرق الأقصى والمصادر الرئيسية لتموين روما في الوقت نفسه.

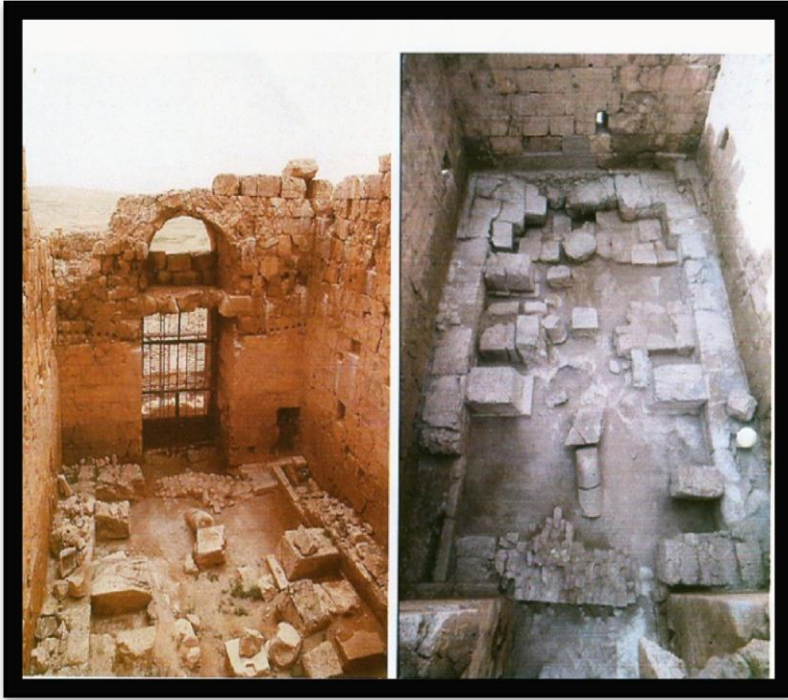
وصف البناء

يتألف هذا المعبد من ثلاثة طوابق، سقف الطابق الأول منها، بالحجارة الطويلة الكلسية تحملها قوسان بالوسط. أما الطابق الثاني فكان سقفه بالأخشاب التي تستند على بروز للجسور الخشبية من تحتها وكوى محدثة في الجدران على المحيط، وفي هذا الطابق على طرفي المدخل من الداخل يوجد برجان للحراسة يحوي الشمالي منهما على درج لولبي يؤدي إلى أعلى البناء، يتألف من (40) درجة، بينما كان الطابق الثالث في الغالب مسقوفاً بشكل سنامي بالأخشاب المغطاة بالقرميد.

وللمعبد مدخلان أحدهما صغير يقع في الجهة الجنوبية، والآخر وهو الرئيسي في الجهة الشرقية للهيكل، وهو يمثل الصفة المعمارية المحكمة في المبنى كله والتي لا تزال موجودة، وقد ازدان المدخل حتى أعلاه بنقوش نافرة، وزخارف متنوعة، غنية وبديعة جداً، تتوزع على مساحات كبيرة، على شكل أشطرة، تمثل ورق الخرشوف (أرض شوكة) بالإضافة لسلاسل من حبيبات صغيرة وعروق نباتية منحنية، ودوائر ومسننات دقيقة.

ولا يوجد الكثير من القاعات داخل المعبد حيث أنه في الأوقات الأخيرة من تلك الفترة كانت القاعات تستخدم للنشاطات الإسلامية في البناء، والتي خربت المستويات الرومانية نزولاً حتى الحافة العليا من الأساسات.

أما الديانة التي كان مكرساً لها هذا المعبد، فهي غير معروفة جيداً، وذلك بسبب قلة نقوش الدلالات الدينية، ولكن في عام (1993 م) وجد تمثال برونزي طويل يمثل الإله أبولو شمالي الهيكل الروماني تماماً، وهو يمثل الدليل الوحيد بالنسبة للديانة السائدة هناك، ولكن هذا ليس دليلاً نهائياً، لأنه من المتوقع وجود عدد مختلف من الآلهة في معبد واحد، ومن ناحية أخرى لا يوجد دليل مناقض، ولذلك يجب أن نفترض بأن أبولو هو إله المعبد وذلك يعود لقلة المعلومات التاريخية والأثرية¹⁰⁰، وأن المحراب الكبير المحدث في الجدار الشمالي لربما كان موضع تمثال أبولو كبير آلهة المعبد.



المعبد من الداخل

الفصل الرابع

تطور العمارة السكنية في سلمية

أ . غالب المير غالب

العمارة نتيجة لكل محاولة قام بها الإنسان، وهدف من وراء إقامتها توفي الراحة والأمن والجمال سواء كان مستوى العمل بدائياً أو متكاملأ فهو يُعد من أسس العمارة.

عُرفت العمارة السورية منذ القدم، وظهرت خصائصها ومميزاتها التي تشكلت من خلال التطور التاريخي والفكري للإنسان السوري الذي عاش على هذه الأرض وتفاعل معها، وأقام عليها حضارات عديدة متتالية أعطت العمارة السورية خصائص هامة منها التقرد في الشكل والمضمون، وغناء المفردات والعلاقة السهلة والمريحة بين الوحدات المعمارية المشكلة للبناء الواحد، وهذه الخصائص المعمارية ليست متطابقة على الأرض السورية كافة، بل نراها تختلف من منطقة لأخرى حسب الجغرافيا وحسب المذاهب العقائدية، وحسب الانتماء العشائري والقبلي، غير أن هذه الاختلافات بسيطة لا تغير من طبيعة وتفرد العمارة السورية المتكاملة، فالعناصر المستخدمة معظمها واحدة وإن اختلفت التفاصيل من منطقة لأخرى للضرورة، غير أن المحتوى والشكل العام للمبنى يبقى واحداً، ولهذا تبوأَت العمارة السورية (القديم منها وحتى نهاية الفترة العثمانية) مكاناً رفيعاً، ونالت التقدير والإعجاب من أغلب المراكز العلمية التي تهتم بالتراث المعماري، وقد شددت خصائص العمارة السورية انتباه المختصين بالعمارة القديمة، بعد دراستهم لدقة التفاصيل وروعة وتكامل الوحدات المعمارية، ومن الضروري أن نتذكر أن هذه العمارة الراقية قد صنعت بأيدي مهندسين ومعلمي بناء سوريين مهرة ومميزين بصناعتهم، ومنذ القدم وصلت أفكار المهندس السوري إلى عواصم الدول الكبرى (الإمبراطورية الرومانية) فقد أقام المعماري السوري فيها الكثير من المنشآت الهندسية العظيمة (حمامات كاركلا حوالي عام 110 م) وقد بنى المعماري السوري " أبولودور الدمشقي " مسرحاً كبيراً احتفاءً بانتصار الإمبراطور الروماني " تراجان "، وقد نال إعجاب الإمبراطور وذكره أحد المؤرخين قائلاً إنه قمة من قمم الفن العالية، وإن " مايكل أنجلو " قلده

في بناء قصر " فارنيزه"، وكذلك أقام " أبولودور الدمشقي " جسراً على نهر الدانوب يعتبر أكبر جسر في ذلك الوقت " جسر دوبروجا" فكان معجزة هندسية رائعة.

وحيث أن العمارة السورية بسيطة لا تعقيد فيها، والعلاقة بين عناصرها ووحداتها علاقة مرنة، لذلك يمكن إعادة استخدام الكثير من عناصرها اليوم لما فيها من حلول بيئية نحن بأمس الحاجة إليها، ويمكننا الاستفادة منها بعد تطويرها لتناسب العصر الحالي والمستقبل القريب، والأخذ بعين الاعتبار وجود مواد بناء متنوعة ومختلفة عن تلك المواد المستخدمة قديماً.

من الطبيعي أن يختلف البيت السكني في المدينة عنه في الريف، وهذا الاختلاف يأتي نتيجة الظروف الاجتماعية المختلفة بين الريف والمدينة، ففي المدينة يوجد ضوابط وقوانين ومساحات محددة تفرض على المعماري التقيد بها وعدم تجاوزها، بينما في الريف فالمساحات مفتوحة، والضوابط والقوانين غير ملزمة، وضرورة بناء وحدات سكنية تناسب حاجات ساكن البيت الريفي وما يملك من آلات زراعية وحيوانات وطيور.

عرفت العمارة السكنية في سلمية منذ آلاف السنين، وقد وجدت آثار قديمة تؤكد ذلك، منها نموذج لبيت مؤلف من طابقين (مصنوع من حوالي ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد)، وقد وجد هذا النموذج أحد علماء الآثار في إحدى جولاته التنقيبية في منطقة سلمية أوائل القرن الماضي، ولا يزال هذا النموذج موجوداً في متحف حلب ومنذ ذلك التاريخ سكنت سلمية، وازدهرت عمرانياً لمرات عديدة تخللها فترات خلت سلمية من أهلها ومن بيوتها نتيجة أفعال الإنسان، أو أفعال الطبيعة وكوارثها المتنوعة والمتتابعة على المنطقة كلها.

كان لموقع سلمية الدور الأهم في جذب الناس إليه، مناخها معتدل طيلة العام، ومياهها متوفرة بكثرة وسهولها خصبة وملائمة للزراعة وتربية الحيوانات، وقد اكتشف الكثير من الآثار المهمة والدالة على حضارات سابقة كانت بيوتها السكنية مبنية فوق تراب سلمية، ومن النادر أن يحفر أي مكان في سلمية لعمق خمسة أمتار ويخلو من آثار (رومانية، أو بيزنطية أو إسلامية) ناهيك عن وجود بعض الدلائل على فترات أقدم مما ذكرنا بكثير، وهذا إن دل على

شيء فإنه يدل على أن الإنسان القديم قد أحب هذه المنطقة وعاش فيها وبنى معالمه المعمارية عليها.

عرفت سلمية الحديثة منذ عام 1848 م، يوم وصلت إليها أول قافلة من العائلات المهاجرة وسكنت القلعة (أعيد بناء هذه القلعة عام 350 هجري بعد تدمير سلمية عام 290 هـ من قبل القرامطة)، وكذلك سكنت بعض العائلات في الحمام الأثري (الذي أعيد ترميمه في الفترة الأيوبية) ووجد المقرن صالحين للسكن مع قليل من الصيانة والتنظيف، ولما تتالي قدوم العائلات إلى سلمية ضاقت الأمكنة بهم، فعمد قسم منهم للبناء خارج القلعة ومن حجارة القلعة بنوا بعض المساكن وسقفوها بجذوع الأشجار التي وجدوها في سلمية، والقسم الآخر من العائلات القادمة بنى القباب ونوعوا في نماذجها، حسب الأمكنة القادمين منها، كانت هذه الأبنية مبعثرة حول القلعة بشكل عشوائي ومتناثر، ولم تمض سنوات قليلة حتى زاد عدد سكان سلمية كثيراً وقدم إليها العديد من أصحاب الصناعات المتنوعة، ومنها صناعة بيت السكن، وانتشر السكان إلى بناء القرى والمزارع حول الأراضي الخصبة والينابيع في منطقة سلمية، فتشكلت تجمعات من القباب في كل مكان مناسب، وكانت كل من هذه التجمعات أساساً لقرية نمت وكبرت وانفردت عن سلمية وعن غيرها من القرى، أغلب البناء كان بناء القباب، تلك القباب التي بنيت على الأرض السورية منذ آلاف السنين، ولم يتغير شكلها كثيراً ولم تتغير طريقة بنائها ولا المواد الأولية المشكلة لها، وبناء القبة سهل إذا ما قورن بالبناء ذي الشكل الرباعي، وكذلك تكلفته تلك الأيام شبه معدومة، فالتعاون بين السكان كان ضرورة حتمية أدت إلى صمود أهالي سلمية الأوائل في وجه الأخطار، والتعاون في الريف ضرورة معيشية لا يستطيع أحد أن يرفضها وهي قائمة في جميع المجالات، ومنها بناء القباب وخلال فترات زمنية قليلة كان يتم إنجاز القباب وتجهيزها للسكن، وكما هو معروف عن الإنسان الريفي شدة تعلقه والتصاقه بالأرض وانسجامه مع الطبيعة، لذلك تأثر أسلوبه في إقامة مسكنه الريفي بهذا الالتصاق، فمن الضروري أن يحتوي المنزل على وحدات سكنية مفتوحة لا أسوار حولها تعزلها عن الجوار، وتقلل من تأثير أواصر القرى بين معظم الجوار، وأغلب الأوقات يكون السكان من نفس العائلة الواحدة، والأسوار تعتبر حواجز طبيعية ونفسية لا يرغبها ولا يميل إليها أهل الريف، بينما في المدينة هناك ضرورة للاستقلالية في البيوت، نظراً لأن المدينة

تحتوي الغريب والقريب، ووجود الأسوار أكثر أماناً لساكني البيوت، وأهل المدينة الغالب على مهنتهم (الصناعة والتجارة) أي الأمور المادية المحسوسة، بينما في الريف الزراعة وتربية الحيوانات والطيور هي المهن الغالبة على السكان، لذلك تكونت العمارة الريفية على أسس وقواعد زراعية فرضت نفسها على التكوين المعماري للبيت الريفي، فهناك وحدات داخل البيت مخصصة للحيوانات وأخرى للطيور، وأخرى للعلف والبذار ومؤونة الشتاء مكان ثابت محمي من تأثير الطقس والإنسان عليه، وهذه الأماكن ليست ضرورية في بيت المدينة.

لقد تطور البيت الريفي بشكل بسيط، فالمبنى المشيد في القرن الثامن عشر، لا يختلف كثيراً عن البيت المشيد أواخر القرن الماضي، ولا تزال الأمثلة موجودة بكثرة في قرى منطقة سلمية وحتى داخل سلمية، بينما في المدينة تطور البيت تطوراً سريعاً وخاصة بعد دخول البيوت المسلح إلى ميدان البناء، فأصبح هو المستخدم الوحيد وانتشر وتوعدت تصاميمه بسرعة، صحيح أنه تنوعت تصاميم البيوت في المدينة غير أن الاختلافات بين البيوت بالتفاصيل وليس بالشكل العام، والغالب على هذا الشكل استقلالية كل بيت أو شقة عن غيرها تماماً، وفي هذه الأيام نرى أن الريف لم يبتعد عن عمارة البيوت المسلح بل أصبحت هذه العمارة هي الغالبة على البناء الريفي، غير أنها بناء غير مكتمل العناصر، فمن النادر أن ترى في قرى منطقة سلمية بيتاً مبنياً من البيوت المسلح وقد كسيت جدرانه الخارجية بالتلييس أو بالحجر، ومعنى هذا أن البيت الريفي اليوم هو نسخة مشوهة عن البيت في المدينة، والأسباب أغلبها مادي.

تطور عناصر المبنى الريفي

التوزيع الداخلي

في البدء كانت الحاجة قليلة ووحدة بناء واحدة تكفي العائلة، فعدد أفراد العائلة قليل، والمطلوب الأمان أولاً (لأن أرض سلمية كانت غريبة عن طبيعة أهلها الأوائل) وكذلك العامل الاقتصادي وتوفير حطب التدفئة للشتاء مهم جداً، ثم تعددت الحاجات ولم تعد تكفي غرفة أو قبة واحدة، أصبحت الحاجة لغرفة نوم وغرفة معيشة وأخرى للضيوف، وأمكنة مخصصة للطبخ والخبز للمؤونة، ولحماية الحيوانات، ولم تقف حاجة الإنسان عند رقم ثابت من

الأماكن السكنية، والذي يحدد الحاجة الإمكانية المادية لصاحب البيت، فالبعض يبني أكثر من حاجته وآخر يبني أقل مما يلزمه، (وجود أفراد أسرة كبيرة يحتاج لبيت واسع يضمها)، كان التوزيع الداخلي في البداية بناء غرف أو قباب للنوم والمعيشة متلاصقة على نسق واحد يقابلها في الناحية الثانية الأماكن الثانوية، والمسافة بين الصفيين تعتبر ضرورية للتهوية ودخول أشعة الشمس إلى كل الغرف، وبقي هذا الحال حتى أوائل خمسينات القرن الماضي حين دخل نظام الشقق إلى العمارة في سلمية وبالتدريج اختفى فناء البيت الواسع وحل محله الأماكن المغلقة في الشقق السكنية، حتى صار سمة رئيسية لبيوت السكن في سلمية، ومنذ ذلك التاريخ صار من الصعب التفريق بين بيوت سكن سلمية وبيوت أية مدينة أخرى.

الأساسات

عرف الإنسان أهمية الأساس وضرورته لإقامة أي عمارة منذ القدم، لذلك عمد إلى وضع أساسات متينة وقوية بالصورة التي يراها، وقد توصل إلى الحفر تحت الأرض تمهيداً للوصول لطبقة متجانسة قادرة على تحمل وزن البناء، وكان الأساس يعمل من المواد المتوفرة لمعلم العمار، وعلى الأغلب كان الأساس يعمل من الحصى المتماسك بواسطة الخلطة الطينية، وقد استخدمت هذه الطريقة تحت القباب والغرف ذات الشكل الرباعي، وبعدها تبين أن هذه الطريقة غير قادرة على الصمود أمام الأمطار الشديدة والسيول الجارفة، لذلك عملوا ستاراً واقياً حول المبنى المعرض للأمطار والسيول، هذا الستار ملاصق للجدار بسماكة لا تتجاوز 10 سم وبارتفاع لا يتجاوز المتر الواحد، وهذا الستار قاعدته أسمك من رأسه حتى تسيل المياه عليه دون أن تخرب الجدار، وبعدها صار البيت يبنى مرتفعاً عن الأرض ليكون بمأمن من المياه، ولما كثر استخدام الحجارة في البناء صارت الأساسات الحاملة للغرف عبارة عن قناطر مبنية من الأحجار وبمادة لاصقة طينية ممزوجة مع الكلس المطفأ ليزيد من متانة تلك الخلطة الطينية، ثم صارت الأساسات مستمرة تحت كامل جدران البناء وبسماكات مختلفة حسب التربة الحاملة، وعرض الأساس يتراوح بين 40 سم و60 سم، وهذه الطريقة لا زالت تستخدم حتى تحت الأبنية البيتونية المسلحة حيث يستعاض بها عن الأعمدة والقواعد والشناجات المسلحة توفيراً للكلفة المالية، ولكن الأساسات البيتونية المسلحة أصبحت هي الأفضل والأقدر على مواكبة تطور البناء في سلمية، واستخدمت الأساسات المسلحة بكل

أنواعها في البناء في سلمية ومنذ أوائل سبعينات القرن الماضي وذلك لقدرة هذه الأساسات على تحمل أوزان كبيرة جداً، ولذلك كثرت الأبنية ذات الطوابق العديدة والتي وصلت إلى سبعة طوابق، واليوم صار من المفضل حساب الإنشاءات في أي مبنى متعدد الطوابق على مقاومته بشكل عام للزلازل والأعاصير.

الجدران

الجدار هو العنصر الرئيسي في أي عمارة، فهو الستار الحامي والواقى لساكن البيت، وهو حامل للأسقف المكونة من الأخشاب والقصب، وأحياناً المعمولة من البيتون المسلح، والجدار يبنى بطريقة المداميك المستقيمة والمتراصة فوق بعضها البعض بواسطة طينة لاصقة، في البدء كان البناء من اللبن الطيني، وهو المؤلف من تراب ناعم يضاف إليه التبن والماء، ويخمر لعدة أيام حتى يشتد التمازج بين التبن والطين، ثم يوضع في قوالب خشبية بمقاس شبه موحد وهو عرض 10سم وطول 25سم وارتفاع 8سم، ويعرض للتجفيف تحت أشعة الشمس لعدة أيام حتى يصبح صالحاً للبناء، وطينة اللصق هي من نفس مونة اللبن، وفي بناء الحجر استخدمت المونة الطينة نفسها كلاصق للأحجار، ثم أضيف لهذه الطينة مادة الكلس لتزداد قدرتها على لصق الأحجار فيما بينها، كانت الجدران في البيوت القديمة ذات ارتفاع عال لا يتجاوز 5م من أرضية الغرف، وبعرض لا يتجاوز 60سم، وما إن دخل البلوك الإسمنتي (بمقاساته المختلفة) إلى سلمية أواخر الأربعينات من القرن الماضي حتى تحولت معظم الجدران إلى هذا البلوك، وسبب سرعة انتشاره، مقاساته المناسبة ومتانته الجيدة، ونظافته ومنظره الجيد، ولا ننسى استخدام الطوب المصنوع من الفخار، وحتى الآن لم يدخل إلى سلمية بناء الجدران المسبقة للصنع، ولم ينس معلم العمار إضافة عتب ربط عندما يتجاوز الجدار ارتفاع أربعة أمتار، لما لهذا العتب من دور كبير في وقاية الجدار من عزوم كثيرة تؤدي إلى تشقق الجدار وربما إلى سقوطه.

السقوف

كانت معالجة التسقيف في البدء صعبة، لعدم وجود المواد اللازمة لتغطية السقوف كجذوع الأشجار أو الأخشاب أو الحديد، لذا استعاض عنها بالقباب الطينة ذات الرأس

المخروطي، ولما صارت القبة الواحدة لا تلبي الحاجة إلى أمكنة واسعة، أزالوا بعض الجدران بين القباب حتى تتسع المساحات، وحينما تحول البناء إلى الغرف ذات الشكل الرباعي، وتوفرت المواد اللازمة للتسقيف، صار استخدام جذوع الأشجار المستندة على الجدران المتقابلة وعلى مسافات قريبة من بعضها (لا تتجاوز 40 سم)، ثم وضع أغصان من القصب الأجوف عليها بطريقة معاكسة لجذوع الأشجار والقصب يجب أن تكون غصونه متلاصقة لمنع سقوط الأتربة الموضوعة فوق القصب وتحت الخلطة الطينية المسواة بشكل جيد وبميول مناسب إلى مزاريب مياه الأمطار، واستبدلت جذوع الأشجار والقصب والخلطة الطينية (عند دخول الإسمنت إلى سلمية) بقدد خشبية ذات مقاسات مناسبة (العرض 8 سم والارتفاع 12 سم والطول مختلف قد يصل إلى خمسة أمتار، يستند منه على طرفي الجدار حوالي الثمانين سنتيمتر ويبقى في مجاز الغرفة الباقي، ويوضع فوق هذه القدد (السطامات) شرائح خشبية بمقاس لا يقل عن عرض 25 سم وبسماكة لا تقل عن 2 سم، وفوق هذه الشرائح توضع طبقة من البحص بسماكة حوالي 5 سم ثم يصب عليها خلطة من البحص والرمل والإسمنت بشكل ملائم يسهل تصريف مياه الأمطار من المزاريب، وإذا كانت المجازات كبيرة بين الجدران كان يستعاض عن السطامات الحاملة بمقاطع من الحديد المصمت تقسم الغرفة ويركب عليها القدد الخشبية حتى تناسب أوزان السقف ولا يتعرض سكان البيت للخطر، وبقيت الحال كما هي حتى توسع استخدام حديد التسليح مع البيتون فصار أسقف المباني في سلمية من البيتون المسلح منذ أواخر أربعينات القرن الماضي، وبدأ صب السقوف على طريقة البلاطات بسماكة 12 سم، وفي بعض الأحيان 15 سم لا أكثر، والبلاطات مستندة على جسور ساقطة عن البلاطة بمقدار يحدده المهندس المصمم وهو بالتأكيد يتعلق بالحمولات الواقعة على هذا الجسر وبطوله وبعرضه، وبعدد قضبان التسليح داخله، وانتشر في هذه الفترة استخدام الأعمدة الحاملة للجسور مع بقاء القليل من الأبنية التي تعتمد على الجدران الحجرية فتحمل الجسور وبالتالي الأسقف، ومع دخول البيتون المسلح توسعت أبعاد الغرف السكنية وتعددت طرق بناء الأسقف، وصارت طريقة الهوردي هي السائدة، ولكن بسماكات مختلفة حسب المجازات بين الأعمدة، وتعددت طرق صب الخلطة البيتونية من يدوية إلى جبالات صغيرة إلى البيتون الجاهز الذي يضح بواسطة مضخات كبيرة تصل إلى الطوابق العالية

بسهولة ويسر، وهذا مما سهل عمل السقوف وأدخل إليها الكثير من فن الديكور ليعطي المبنى جمالية كان من الصعب تحقيقها في القديم.

الأرضيات

في البدء لم يكن للأرضيات أي دور فعال في التكوين المعماري للمنزل، وكان يكفي رص تربة أرضية الغرف بالماء وتنظيفها من البحص، حتى تصبح صالحة للاستخدام، إلا أن سرعة خراب هذه الطريقة جعل الإنسان في سلمية يستخدم البحص المجبول مع الخلطة الطينية لتزداد متانتها ويتم فرشها على طبقة من البحص المتساوي في الحجم، وما أن دخل الإسمنت إلى سلمية حتى استخدم أول ما استخدم في الأرضيات حيث حل محل الخلطة الطينية مما أكسب الأرضية قوة ومتانة وجمالية لم تكن متوفرة من قبل، وصارت الأرضية ملساء كالمرآة، وسريعاً دخل بلاط الموزايكو إلى ميدان العمارة في سلمية قادماً من حمص وحماه ليستخدم في الأرضيات، وذلك أواخر أربعينات القرن الماضي، وقد استخدم بلاط الموزايكو على نطاق واسع وأصبحت أرضيات معظم المباني مغطاة ببلاط الموزايكو وألوانه المتعددة ومقاسه 20 سم x 20 سم بسماكة 2.5 سم، مع بعض الخطوط المستخدمة من نفس البلاط بعرض 5 سم وطول 20 سم، ولذلك غطت أرضيات الصالون الواسع الأشكال الزخرفية، التي أضفت على أرضية الغرف التكامل في الصورة الجميلة التي تناسب الأسقف والجدران وذوق مالك البيت، ثم دخل بلاط السيراميك والبورسلان ليستخدم في تغطية أرضيات وجدران المطابخ والحمامات، وقد استخدم بلاط الرخام الطبيعي في تغطية أرضيات بعض البيوت والفلل.

تغطية الجدران والأسقف

منذ بداية العمران في سلمية كانت الضرورة تقضي بتغطية الجدران الداخلية والخارجية بطبقة قليلة السماكة من المونة الطينية ترش بعدها بالكلس المطفأ ليساهم في قتل الحشرات الصغيرة التي تتواجد عادة في شقوق الجدران، وليعطي منظرًا جميلاً للبيت، وكانت هذه التغطية ترمم كل بداية ربيع ونهاية خريف حتى تقي الحاجة التي من أجلها ركب، وحين دخل الإسمنت إلى سلمية بدأ يحل محل الخلطة الطينية، فأول ما استخدم لتغطية الجدران

الطينية من الداخل والخارج بارتفاع متر واحد حماية للجدران من الماء وتأثيره، ثم صار يغطى به كامل الجدران، وقد غطى الجدران الحجرية وتلك التي بنيت من البلوك الإسمنتي، ثم غطى الأسقف ومونته هي من الرمل والإسمنت والماء، وهذه الطريقة من التغطية لا تزال قائمة حتى اليوم، رغم أن البعض قد عمد إلى تغطية الجدران بالحجر المنحوت والسيراميك والرخام، وأظن أن التلييس بالإسمنت سيبقى هو الأكثر انتشاراً لأنه يدوم طويلاً، وقدرته على مقاومة أحوال الطقس كبيرة ومناسبة لجميع الأبنية، وهذا السيراميك الذي غطى الكثير من الجدران الخارجية له منظر جميل وألوان مختلفة غير أن طرق تركيبه ليست مناسبة لتبدل درجات الحرارة في سلمية، حيث أن الفروق في درجات الحرارة تكون كبيرة وفي بعض الأوقات وخاصة في فصل الصيف تتجاوز العشرين درجة، وهذا يؤثر بالطبع على قدرة الخلطة اللاصقة في الاستمرار كما هي، وبالتأكيد لن تستمر في المقاومة لأكثر من سنوات قليلة ثم يبدأ بلاط السيراميك في السقوط.

-: عقود وأعتاب الأبواب والشبابيك: هي ضرورية فوق الأبواب والشبابيك، وكانت تعمل من الحجر البازلتي أو الأبيض تأخذ أشكالاً مختلفة فهي على شكل أقواس أحياناً وأخرى مجرد قاطع من الحجر البازلتي الأسود، وعند الحاجة لعقود كبيرة تحمل السقف أحياناً يعمدون إلى بناء قناطر من الحجر البازلتي الأسود أو الحجر الأبيض ويعرض لا يقل عن 40سم، وما أن دخل الإسمنت إلى سلمية حتى حلت معظم المشاكل الإنشائية، وصار تنفيذ الأقواس والعقود أسهل من السابق وأقل كلفة.

ومن خلال هذا العرض نرى أن فترة الأربعينات من القرن الماضي هي فترة مفصلية في سلمية من الناحية المعمارية، فقد دخلت إليها الوسائل الحديثة للبناء (إسمنت، حديد، بلوك) وخلال فترة وجيزة أخذت سلمية الطابع الحديث للبناء واختفت بالتدريج المظاهر المعمارية القديمة (الطين والحجر والأسقف البسيطة).

أهمية دخول البيتون المسلح إلى العمارة في سلمية

إن البيتون وكما أثبتت التجارب هو مادة جيدة المقاومة للضغط، ومقاومتها للشد بسيطة، وأي جائر مسلح ومحمول على مسندين يعتبر مقاوماً للشد والضغط أكثر بعشرين مرة إذا لم يكن مسلحاً، والتلاصق بين البيتون وحديد التسليح يعطي قابلية للمقاومة كبيرة، وكلما كانت كمية الإسمنت في الخلطة البيتونية جيدة ومناسبة زادت فترة حماية قضبان التسليح من التآكل والتخريب، وسبب توسع استخدام البيتون المسلح يعود إلى خواص البيتون المسلح الإيجابية والمتنوعة مثل (قوة التحمل، ومقاومة النيران، مقاومة العوامل الجوية المتغيرة، قلة الكلفة، سهولة التنفيذ، وتوفير المواد المستخدمة في الخلطة البيتونية، زمن تماسك حديد التسليح مع البيتون غير محدد. صحيح إن المنشآت السكنية المقامة في سلمية صغيرة إذا ما قورنت بالمنشآت السكنية في المدن الكبيرة، غير أن استخدام البيتون في سلمية (رغم الفوائد التي ذكرناها) قد حول عمارتها إلى عمارة مصمتة متشابهة تفتقد الإحساس بالترابط مع الأرض وطبيعة سلمية الريفية، ومن يتأمل هذه الكتل الإسمنتية المنتشرة في كل سلمية، لا بد من أن يشعر بغربة هذه الأبنية عن الطابع السلموني، وبعدها عن الفكر الثقافي العام فيها، هذا الفكر المنفتح على جميع ثقافات العالم، وهو متحرر من الانغلاق والقيود والأسوار التي يمثلها البيت البيتوني.

مراحل تطور البيت السلموني

المرحلة الأولى

من عام 1848م إلى عام 1865م، هذه المرحلة كانت عبارة عن وجود قباب وبعض البيوت الحجرية متناثرة بشكل عشوائي حول القلعة والحمام الأثري، هذه الأبنية متداخلة مع بعضها لا يفصلها شوارع أو طرقات واسعة، يلاحظ ندرة وجود شبابيك واسعة، وذلك بسبب أمن السكان، لا توجد أهمية معمارية واضحة لهذه الفترة.

المرحلة الثانية

من عام 1865م إلى عام 1920م، يلاحظ وجود غرف ذات شكل رباعي على نسق واحد وصف وحيد ومقاسات شبه واحدة.

- عرض الغرف المقامة يناسب أطوال جذوع الأشجار المتوفرة.
- وجود تجاويف ذات شكل رباعي في الجدران، تستخدم كأمكنة لوضع أدوات النوم.
- الأسقف مبنية من جذوع الأشجار والقصب المفرغ المتعامد على جذوع الأشجار.
- الجدران من اللبن الطيني، وبعضها من الأحجار الكلسية، والجدران مليسة من الداخل والخارج ومرشوشة بالكلس المطفأ.
- خصصت غرف لإقامة أهل البيت، والقباب صارت مستودعات للعلف، ومقام للحيوانات والطيور.
- ظهور مرحاض بسيط وصغير بعيد عن غرف السكن.
- وجود بئر مياه في بعض البيوت، وباقي البيوت لا تزال تعتمد على مياه الأقنية.
- الارتفاع الداخلي للغرف لا يقل عن أربعة أمتار ولا يزيد عن خمسة.
- الأساسات حجرية غائر قسم منها في الأرض وقسم ظاهر فوق الأرض، وأرضيات الغرف ترابية مسواة.
- عدم وجود غرفة مخصصة للطبخ أو الغسيل، الطبخ بعيد عن الغرف وفوق مواقد ترابية، والخطب وروث الأبقار المجفف هوما يستخدم في النار المشتعلة.
- الإضاءة بواسطة مصابيح زيت زيتون وفتيل، وشموع مصنوعة محلياً من دهن الحيوان مضاف إليها فتيل.
- لا يوجد سور للبيت يفصله عن غيره من البيوت، والاتجاهات كلها مفتوحة.
- وجود التتور المخصص للخبز في معظم البيوت.

المرحلة الثالثة

من عام 1920م إلى عام 1948م. في هذه المرحلة ظهرت احتياجات جديدة، منها غرف خاصة للضيوف، وهذه الفترة كانت جيدة على أهالي سلمية، فقد انتعش الوضع الاقتصادي، وظهرت القوة المالية بشكل واضح، وانعكس هذا على عمارة البيوت حين توسع البيت ليضم وحدات جديدة لم تكن ضرورية في المراحل السابقة، وفي هذه المرحلة تداخلت بيوت الحجر مع بيوت الطين والقباب، فقد ترى الكل في البيت الواحد.

- ظهرت أول خلطة إسمنتية واستخدمت في أرضيات الغرف والمصاطب المخصصة لسهر أبناء العائلة.

- تحسنت نوعية الأخشاب المستخدمة في التسقيف (سطام خشب مقاوم للرطوبة).

- كثرت الحاجة للخزائن في الجدران.

- الأبواب والشبابيك الخشبية صارت أوسع، وتعددت في الغرفة الواحدة، ودخول قضبان حديد حماية للشبابيك.

- لا يزال الطبخ على مواقد طينية أو حجرية تستخدم الحطب.

- ظهرت للبيوت أسوار، وصار كل بيت منفصلاً عن غيره.

- حمامات الغسيل غير متوفرة في هذه المرحلة، يتم الغسيل داخل الغرف.

- تحسن وضع التنور وصار ضمن جدران عالية مسقوفة بالقصب.

- الأماكن المخصصة للحيوانات والطيور وأعلافها موجودة داخل البيت.

-:خصص قسم مستقل عن البيت للضيوف وإقامتهم.

- ظهرت الطرمبة لاستخراج الماء من البئر.

المرحلة الرابعة

- أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات من القرن الماضي. ففي هذه المرحلة:
- صار البيت مرفوعاً عن الأرض زيادة في الحماية.
- لا تزال أماكن الحيوانات والطيور والأعلاف موجودة ضمن البيت.
- ظهور غرف بسيطة خاصة بالطبخ وصنع القهوة.
- البئر والتنور متواجدان في البيت.
- كثر تلوين خزائن الجدران وأخشاب الأسقف وزجاج الشبابيك.
- ظهر الإيوان بين الغرف بدل المصطبة.
- تغطية السطوح بالخلطة الإسمنتية.
- كثر وجود الأشجار والورود والخضروات في البيت.
- اكتمل بناء السور حول البيت، وميزه عن غيره من بيوت الجوار.

المرحلة الخامسة

- حتى نهاية السبعينات من القرن الماضي.
- أصبحت الخلطة الإسمنتية هي المادة اللاصقة الوحيدة.
- كثرت البيوت المغلقة (شقق).
- الغرف واسعة المساحة.
- ارتفاع سقف الغرف لا يزال عالياً.
- تعددت المداخل للبيت.
- ظهور الأدراج المؤدية للسطوح.

- يلاحظ وجود المطبخ داخل البيت غرفته صغيرة إذا ما قورن مع عدد الغرف.
- وجود حمام صغير ومرحاض واحد صغير قد لا يكفيان سكان البيت.
- البيت صار في المنتصف وحوله من جميع الجهات فضاء واسع يضمه السور.
- البوابة الكبيرة لا تزال موجودة وضرورية.
- البئر لا يزال موجوداً في فضاء البيت.-: يلاحظ وجود الأبواب بكثرة بين الغرف والموزعات.
- صارت الأسقف من البيتون المسلح محمولة على جسور ساقطة.
- الشبابيك خشبية واسعة محمية بقضبان من الحديد وأباجورات من الخشب.
- وجود فرندات في البيت.
- تصريف المجاري إلى حفرة تصريف في فضاء البيت.
- درج السطوح يتألف من درجات مفردة مصنوعة من الموزايكو المسلح، غائر قسم منها في الجدار والباقي ظاهر للاستخدام، والدرجات متراسة بحيث تشكل وحدة متكاملة قادرة على تحمل الأوزان.
- دخول بلاط الأرضيات من الموزايكو، وبلاط البورسلان لجدران المطبخ والحمام ودورة المياه.
- دخلت تمديدات المياه (الخفيفة والثقيلة) وتمديدات الكهرباء إلى البيت.
- الأسقف والجدران الداخلية والخارجية مليسة بالإسمنت.
- الدهان عم البيت كله (أبواب وشبابيك، جدران وأسقف).
- اختفاء الأماكن المخصصة للحيوانات والطيور ومستودعات العلف.
- ظهور المهندس الأكاديمي (خريج الجامعة) أول مهندس مدني المرحوم " شاهين عطفة" وأول مهندس معماري "محمد تاج الدين المير أحمد".

مميزات البيت الريفي

للبيت الريفي القديم مميزات بيئية كثيرة، فجدرانه المبنية من اللبن الطيني، أو الحجر بعرض لا يقل عن أربعين سنتمتر، ولا يزيد عن ستين سنتمتر، هذه الجدران تعتبر عازلة للحرارة وللصوت بشكل ممتاز، فهي تؤمن الدفء في الشتاء والبرودة في الصيف، وهذا ما نفتقده في بيوت البيوتون، وبالإضافة إلى الجدران هناك السقوف المصنوعة من الخشب وعليه القصب المفرغ، أيضاً يحقق عزل الحرارة والصوت، ووجود الأسقف المرتفعة عن الأرضية يعطي حجم هواء ضروري للتنفس وخاصة في الشتاء والأبواب والشبابيك مغلقة أغلب الأحيان، التهوية في البيوت الريفية أفضل من الشقق وخاصة بوجود شبابيك واسعة تسمح بمرور الهواء وأشعة الشمس إلى كل ركن في البيت، وهذا صعب توفره في بناء الشقق، إن زراعة الورود والأشجار بكثرة داخل البيت الريفي، يزيد الإحساس بالراحة والهدوء، وبالإضافة إلى الفوائد البيئية للبيوت الخضراء، وجود التتور داخل البيت الريفي يقدم دائماً خبزاً صحياً نظيفاً طازجاً قد لا نستطيع تأمينه في البيوت البيوتونية.

مراجع البحث

- قرى الطين: أّزاد أّحمد علي.
- جولة أثرية: أّحمد وصفي ذكريا.
- البيتون المسلّح: ب سيتويين .
- مجلة عالم الفكر: مجلد 34 - تاريخ 2006/4/4 م.
- غدير المعرفة: غالب المير غالب .
- تطور البيت الريفي: غالب المير غالب

الفصل الخامس

الحركة العلمية والأدبية في سلمية

أ . غالب المير غالب

إن التفكير الأدبي في أصوله ومضامينه، تفكير عقلي وجهد إبداعي له قيمه الثابتة والمتطورة، ويمكن تحديد معنى الأدب وما نقصده بكلامنا بقولنا: إن الأدب هو التعبير الفني عما يوحي إلى النفس من الخارج، أو ينشأ من أعماقها نتيجة جملة من عوامل الحياة وتأثيراتها، وبكلمة أدق معنى وأوضح مضموناً نقول: أن الأدب هو شعور الإنسان العاقل بالجمال حوله، وجعله يحس بهذا الجمال عن طريق التعبير اللفظي الذي ينتجه عقله المتفاعل مع ذاك الجمال حين يشعر بحاجته الماسة إلى التعبير وإخراج ما يتفاعل داخل عقله وصياغته كنصوص يقدر على الاطلاع عليها والتفاعل معها كل من يراها، وحركة الأدب حركة دائمة ومستمرة، تخبو أحياناً وتبرز أحياناً أخرى وذلك حسب الظروف المواتية لها، وحسب الأرضية المحيطة بأنشطتها، والأدب هو صورة واضحة أفاضها العقل المنتج لها، ودراسة نشوء وتطور أي حركة أدبية دراسة ممتعة وشيقة وتحتاج لصفاء فكري ورؤية جلية ثابتة غير منحازة وغير ملتزمة بإصدار الأحكام المجردة والخيالية حولها، بل يقضي الواجب بالحكم على تلك الحركة بإنصاف ومنحها ما تستحق من أحكام، ومراقبتها مراقبة غيوم الشتاء، ووصفها بقدر حملها من المطر الذي يحيي الأرض العطشى ويهبها الخضرة والرزق الوفير، لذلك تكون مراقبة تطور الحركة الأدبية والنظر إليها بمنظار الحياد المحض، لكي نحصل على الأحكام التاريخية المهمة والقريبة جداً من الحقيقة والواقع، والمجتمع الناهض يحتاج إلى جميع أصناف الأدب (الشعر، القصة، الرواية، التأريخ، والتأليف الفكري، والفلسفة، والغناء والموسيقى، والمسرح، وباقي أنواع الفنون المعروفة، فهي كلها تشكل شجرة الأدب الزاهية، صاحبة الجذور الموعلة في الأرض والتراث، وفي الحاضر والمستقبل أغصانها ترتفع إلى السماء، وتمطر الفكر بثمارها اللبنة والفريدة بطعمها وفائدتها)، ومع التجدد الدائم للحياة ورغد تلك الحياة بعناصر هامة في كل لحظة من لحظاتها، مع ذلك التطور يتجدد الأدب وتتنوع شعبه، ويتبنى كل يوم ومضات عقلية جديدة تعكس تفاعل النفس

الإنسانية وتوقها الدائم للرفعة والسمو، حيث أن الأدب في جوهره هو مرآة لروح المجتمع الموجود فيه، والمجتمع لا يستطيع المحافظة على تراثه وكيانه وحضارته ما لم يجدد مفاهيمه الفكرية، والثقافة السائدة فيه، ولكون الأدب من أهم نتاج الفكر الإنساني مثله مثل باقي فروع المعرفة، وهو أحد الأدلة على وجود الحضارات ونموها ووصولها للقمة، ولكون الأدب بأشكاله المتعددة (شعر، قصة، مسرح، ترجمة) ضرورة عقلية لأي مجتمع يسعى للنهوض والتقدم إلى مصاف سام رفيع، والعقل العامل المنتج فكرياً يختلف في العطاء والابداع عن العقل الجامد المتوقف عند مرحلة فكرية أو تاريخية معينة، فالأول يبدع معارف جديدة تفيد وتفيد العلم والثقافة والمجتمع المتواجد فيه، وأما الثاني فيكون عرضة للتسلط وسهلاً للقيادة من قبل أية شريحة ذات دوافع مريبة، والأدب دائماً يتأثر في تكوينه بالبيئة المحيطة به، وبالمستوى العقلي لرواده، وبالوسائل المتاحة بين أيدي طالبيه، وإذا أمعنا النظر في إنتاج منطقة سلمية من فنون الأدب والثقافة المهمة خلال مسيرة التطور منذ بداية إعمار سلمية الأخير عام 1848م، ومروراً بفترة الخمسينات (الذهبية) من القرن الماضي حتى يومنا هذا، يمكن وصف تلك الرحلة الفكرية العجيبة بأنها كانت رحلة إبداعية هادفة لرفع مكانة البوح الذاتي والإنتاج العقلي وطرحه على ميادين البحث والتنقيب لنيل الأحكام التي يستحقها، وكما قلنا بدأت الحركة الأدبية الأخيرة في عمر سلمية الذي يمتد منذ آلاف الأعوام حتى الآن، وقد تبلورت بشكل واضح وجلي منذ خمسينات القرن الماضي، مع العلم أن الأرضية التي شكلتها كانت تتحضر وتحترق العقول وتنتثر البذور الأدبية الرفيعة والفلسفية الخاصة منذ بداية ذاك القرن، وكانت مراكز الفكر والأدب منتشرة ومتعددة في منطقة سلمية، تنتوع كحلقات أدبية شعرية فلسفية تراها في الشوارع والحارات والبيوت والمضافات، وكل تجمع للرجال كان منتدى فكري عقلي يثار فيه النقاش والجدال في كل الأمور الأدبية وتداخلها مع المعيشة والطقس وإعادة حكايا التراث وتقديمها كأدلة وبراهين على آراء المتناقشين، وعادة يكون المتكلم الرئيسي واحد أو اثنين والحضور يأخذون جانب من يوافق قناعاتهم، ويتدخلوا في الأحاديث ليصوبوا خطأ رأوه، أو لدعم فكرة وافقت عقولهم، وكثيراً ما يعتمد أحد الحضور لتسجيل النقاش كما يرغب ويهوى، وهذه الحلقات كانت البداية لإنتاج العديد من الأدب الخاص بسلمية وحدها، سلمية ذات الطابع الثقافي المميز، ونادراً ما تجد بيتاً في منطقة سلمية خالياً من مكتبة صغيرة فيها كتب مهمة، وأكثر الكتب التي حرص عليها أهالي سلمية واقتنوها وحفظوا محتواها هي (القرآن

الكريم والذي يعتبرونه المصدر الرئيسي لأي معرفة يتكلمون بها، موسوعة إخوان الصفاء وخلان الوفاء وهي التي تعد أهم وأول موسوعة علمية متكاملة تبحت في معظم العلوم المعروفة في زمن كتابتها، ألف ليلة وليلة كتاب الأساطير الأول وهو الكتاب الذي تذكر قصصه يومياً في جميع أنحاء المدينة، كتاب عنتره، وأبو زيد الهلالي، وتغريبة بني هلال، وكليلة ودمنة... إلخ)، ولوجود كم كبير من الكتب المتداولة من قبل الأهالي، ولوجود لفيف من الشباب المحب للعلم والثقافة والناهد إلى تكثيف التعليم لنشر المعرفة بين شباب وشابات المنطقة، وفي هذا المنتدى المهم تشكلت الأفكار المتطورة، كمعارف سامية هدفها تشجيع الشباب بشكل خاص على الدراسة والتعليم وبناء عقول مفكرة نقية صافية قادرة على التحليل والبحث والتتقيب، وكان أهم روادها من الذين صاروا شيوخاً فيما بعد (علي عيدو، علي حسينو، شهاب الحموي، علي زهرة، حسين العيزوقي، محمد الحلو..) وخارج هذا المنتدى كان هناك منتدى آخر ضم إليه محمد الجندي والشيخ علي زينو، وكان لهذا المجلس الثقافي دور مهم في توسع الثقافة وانتشارها بين الأهالي، وبسبب كل هؤلاء بدأت النهضة الأدبية في منطقة سلمية تتبلور شيئاً فشيئاً، حيث تحولت جلسات الحوار الثقافية إلى مراكز تعليم ومنتديات فكرية بسيطة، تقام في بيوت رجال عرفوا العلم والمعرفة، وكان أهم وأول واحد منهم هو الشيخ "محمد المير أحمد" حفيد الأمير إسماعيل باني سلمية الحديثة، وكان مجلسه يضم نخبة من طالبي العلم والمعرفة، والذين قادوا فيما بعد الحركة التعليمية عن طريق "الكتاتيب" التي افتتحوها في منازلهم لتعليم الأطفال القرآن الكريم أولاً، ومن ثم أصول اللغة العربية، ومع الأيام أدخلوا في مناهجهم التعليمية أصول الحساب والهندسة، حيث صار الطالب يتخرج من عندهم وهو عارف بالحساب وبعض مفردات الفلسفة، والفلك والعلوم، مع العلم الأساسي وهو حفظ القرآن الكريم وتفسيره، وأصول اللغة العربية، وأما المدارس في منطقة سلمية فقد عرفت مع بداية القرن الماضي حين افتتحت المدرسة الزراعية عام 1910م، كأول مدرسة زراعية في سورية، والمدرسة بنيت من أموال أهل سلمية المصادرة من قبل الدولة العثمانية، وقد تخرج في هذه المدرسة العديد من الشخصيات السورية والعربية التي عرفت في منتصف القرن الماضي، (لتفاصيل أكثر ممكن مراجعة كتاب وصفي زكريا "رحلة أثرية" وقد كان مدرساً فيها.. وكتاب "سلمية في خمسين قرناً" لمؤلفه محمود أمين.. وكتاب أمين محمد قداحة "سلمية رسائل من التاريخ"..) وفي عام 1922م تم بناء أول مدرسة ابتدائية في سلمية من نفقة

الصندوق الإسماعيلي، وكان قد بدأ التعليم في هذه المدرسة منذ عام 1920م في بناء سكني خاص، وفي فترة الثلاثينات من القرن الماضي وعلى نفقة الصندوق الإسماعيلي بنيت عدة مدارس ابتدائية داخل المدينة وفي بعض القرى، ومع توالي السنين وتزايد عدد الطلاب، افتتحت المدارس الإعدادية ومن بعدها المدارس الثانوية، وهكذا صارت منطقة سلمية حديقة علم وثقافة متنوعة الأزهار ومتعددة الثمار، وفي تلك الحديقة تعلم العشرات بل المئات من شباب وبنات سلمية، وبعضهم أصر على إكمال تعليمه فكان له ذلك في جامعة دمشق، ومن بعدها جامعة حلب، وبدأت بشائر الاختصاص الرفيع تظهر في سلمية أواخر أربعينيات القرن الماضي، خاصة بعد ظهور الأحزاب السياسية في سلمية مما أغنى التنافس الثقافي وزاد عدد طلاب الأدب والعلم وامتزجت الثقافة مع السياسة.

في خمسينيات القرن الماضي قامت في سلمية حركة ثقافية مهمة وواسعة امتدت آثارها حتى اليوم، ورجال تلك الحركة من مختلف المذاهب الدينية والانتماءات السياسية، وبعضهم علماني لا يؤمن بالدين ككل، لقد أبدع هؤلاء في مجالات أدبية متنوعة، منها الشعر وكتابة القصص والروايات والمسرح والبحث في التاريخ وتحقيق مخطوطاته، وقد وصلت شهرة بعضهم للعالمية بعد أن أثروا الأدب العربي وفكره الأصيل بإنتاج مهم وواسع ومميز.

بداية في سلمية عانى الأديب المثقف كثيراً من نشر إنتاجه وتوزيعه خارج المدينة بسبب صعوبة التواصل مع المؤسسات الثقافية والمجلات ودور النشر، ومع الإصرار والمحاولات الجادة استطاع الوصول والسير في مواكب المعرفة مثله مثل أدباء المدن الكبرى، وتلك الأيام كان المثقف والأديب يعيش حياة فكرية وثقافية لها جذور عميقة في عقله وفي تراثه وفي مبادئه، وهي ثقافة تنتقل مع الإنسان أباً عن جد، وهي ليست مفروضة عليه بالقوة من قبل جهة معينة، وإنما كان وما زال المثقف يملك حرية الاختيار النابعة من عاداته وتقاليده، ومن جوهر العقيدة الدينية التي حملها أهله منذ مئات السنين، ولقد أثرت الثقافة المتوارثة على الجميع كل بشكل يختلف عن الآخر كاختلافه السياسي والديني، غير أن الحرية الفكرية التي ولدت على تراب سلمية تمتعت بها الأغلبية المطلقة وكانت الصفة المميزة لكل أديب عرف في سلمية.

تقسم مراحل التعليم إلى عدة مراحل أهمها

- مرحلة تعليم القرآن الكريم بشكل خاص، ثم تطور الأمر إلى إضافة الأدب بشكل عام، ثم أضيف الحساب وتدرجياً باقي العلوم.
- تطوير الكتاتيب إلى ما يشبه المدارس، وفيها صار للتعليم خطاً وبرامج، ولكل مادة تدرس لوحدها، أي بدأت استقلالية تعليم المواد، ثم دخلت بالتدرج حضانات الأطفال..
- المدارس أول مدرسة في منطقة سلمية هي المدرسة الزراعية 1910م.
- المدارس الابتدائية في سلمية، شرع في بناء أول مدرسة ابتدائية في سلمية عام 1920م، على نفقة صندوق المجلس الإسماعيلي، واستمر البناء لمدة عامين كان أغلبه عملاً تطوعياً من قبل الأهالي، وافتتحت المدرسة بثلاث صفوف فقط، ثم توسعت حتى اكتملت عام 1926م..
- تعددت المدارس الابتدائية في سلمية وريفها للذكور والإناث، حيث غطت المدارس معظم سلمية وريفها، وبنيت جميعها من أموال المجلس الإسماعيلي.
- وفي بداية خمسينات القرن الماضي ظهرت مدارس للصفوف الإعدادية والثانوية، ثم ظهرت المدارس الأهلية في سلمية، وهكذا فتحت الأبواب أمام الراغبين في التعلم وتطوير ثقافتهم حسب عصر العلوم الذي نحياه.
- سلمية والفكر صنوان ومنذ تأسيسها الأخير عام 1848م، جاء الفكر مع رجالها ونسائها، وكان الاتجاه نحو القراءة والكتابة، واجب يسعى إليه أبناء سلمية، كما البحث عن المعرفة الذي يعتبر غاية يؤمنون بها ويعملون لأجلها، وازدهرت تلك السنين بالحركة الثقافية الفكرية والأدبية وبدأت بعض الشخصيات العلمية الكبيرة بالظهور، وصار الناس خارج سلمية يتعرفون لإنتاج أدبي مهم وجديد بجرأته وحرية، وفي الخمسينات غصت سلمية بالأسماء الهامة (الشاعر سليمان عواد، الشاعر أحمد الجندي، الشاعر أنور الجندي، سامي الجندي، مصطفى غالب، عارف تامر، إسماعيل المير سليمان، إسماعيل العامود)، وجاء بعدهم

مجموعة أخرى هامة (الشاعر علي الجندي، عاصم الجندي، محمد الماغوط، خضر الحمصي، فايز خضور، توفيق عادل.. إبراهيم فاضل.. وغيرهم العديد) هذه الفترة هي التي أعطت سلمية الصبغة الثقافية، خاصة وإن نسبة التعليم فيها إذا قورن بعدد السكان هي الأولى في سوريا وبعدها كانت صافيتاً، وتلك الفترة تبلورت العوامل الفنية والأدبية بوسعها وترحيبها بالمواهب الجديدة، فعدد الصحف والمجلات في سوريا كان هائلاً، وربما وصل العدد لأعلى مما وجد في مصر، ومن خلال تلك المجلات والصحف أتيحت الفرص للمواهب بأن تظهر إبداعاتها الكبيرة، وإلى جانب الحرية الاجتماعية في الأسرة، والشارع، والحرية الدينية الخالية من القيود التي تكبل العقول، بل على العكس كانت الهيئات الدينية وما تزال السبابة في نشر العلم والمعرفة والثقافة، وتشجيع الطلاب والدارسين للوصول لأعلى المراتب الفكرية..

أوائل المراكز الثقافية في سلمية

- أول مجلة أدبية صدرت في سلمية " مجلة الغدير " وكانت منبراً ثقافياً مهماً في منطقة سلمية.

ولدت الغدير في 1955/12/25م على يدي شاب طموح مدفوع بالأمل لبناء صرح فكري في مدينته سلمية، وواحة ثقافية يشارك فيها شباب هذه المدينة الساع للعلم والمعرفة بعيداً عن التقوقع والجمود الفكري، هكذا كان هدف " مصطفى غالب " الذي تمسك فيه بقوة وهو يسير في طريقه بصعوبة بالغة، مؤمناً بأن الصحافة طريقها لا يفرش بالورود والأزاهير، بل هو متخم بالعراقيل والصعوبات القاسية.

رسم مصطفى غالب الخطوط العريضة لمجلته، وسعى لتكون منبراً جامعاً لكل راغب بالمشاركة ضمن أخلاقيات أساسية لا يمكن تجاوزها ألا وهي احترام الرأي الآخر، والابتعاد عن إثارة التفرقة مهما كانت الأسباب، ودعا بكل صدق وجدية لنهل المعرفة والعلوم من التراث الوطني والديني الزاخر بمكتبات ضخمة، فيها من المعارف الشيء الكثير.

وفي افتتاحيته للعدد الأول من السنة الأولى يبرز أهداف المجلة، والغاية المرجوة من إصدارها ويقول: ((لم يكن وميض الحياة، يشرق في جوانب فئة من الشباب الخير العامل، في مجالات الفكر الرحب حتى أطلقت إلى عالم الوجود مجلة " الغدير " الثورة الفكرية اللاهبة، التي تحدث العواصف والأعاصير وأرست ساريتها على شاطئ الأمان، لتحمل مشعل الفكر والثقافة، الذي

استمديناه بوحى ضمائرنا الحية وغيرتنا الوطنية، ومبادئنا القومية، وإيماننا الراسخ بحقنا في الحياة بشراً أحراراً في وطن حر مستقل، وأمة ذات رسالة تساهم في الوصول بالبشرية إلى ذرى المجد والرفعة والكمال. وقد حرصنا على أن تكون مجلة " الغدير " الحقل المخصص، لأرباب الأقلام المتشوقة للرشف من معينها العذب، بالرغم من جميع العوامل التي تعترض كل مفكر يسعى إلى تحقيق أمنية في الحياة عن طريق خدمة المجتمع، خدمة صحيحة بعيدة عن الشوائب، منزهة عن الشهوات الجامحة، والنزوات الفردية القائلة. ولسوف تبرهن الأيام على أن هذه المجلة التي نعتبرها البرج الشامخ، والضياء الساطع، في سماء الظلمة الكالحة، ستكون التعبير الحي عن أنبل الانفعالات الفكرية العربية المُعتملة في الصدور)).

تعددت وتنوعت الأقلام التي كتبت في مجلة " الغدير " كثير من هذه الأقلام كان من سلمية والعديد من بقية المناطق والدول، ومن سلمية نذكر بعضاً منهم / يوسف النجار، إبراهيم فاضل، إسماعيل المير سليمان، إسماعيل عامود، حسن القطريب، محمود أمين، سليمان عزوز، يوسف حسينو، إسماعيل عدرا، عبد الكريم إسماعيل، سليمان عواد، فايز خضور، خضر الحمصي، عبد الكريم حافظ.../. ومن خارج سلمية كتب فيها كل من // الياس قنصل، عبد الله الشيتي، جان الكسان، محمد علي الزعبي، مصطفى الخش، ناظم القدسي، عبد الوهاب حومد، عدنان الأتاسي، وليد مدفعي.. // . كما عمل فيها الشاعر محمد الماغوط بوظيفة/" مندوب مالي" ..

وقد أفسحت المجلة للمرأة السورية المجال الواسع على صفحاتها لتعبر عن آرائها، ولكي تعرض همومها ومشاكلها، وقضاياها الخاصة الناهدة إلى إنصافها وإعادة حقوقها إليها، وقد ساهمت المرأة في أغلب أعداد المجلة ومنذ ولادتها، ومن أهم الأقلام التي استضافتها "الغدير": جيهان المير سليم، لميس محمود، جمانة غانم، منور فوال، سمية حجارين.. أقلام نقية نظيفة أعطت صورة عن المرأة جميلة وحقيقية، وأطلقت صوتاً حراً احترمه القارئ وتفهمه..

دائماً الزهور النادرة عمرها قصير، وهكذا الغدير قضت وهي لا تزال شابة لم تكمل رسالتها بعد، وخفا صوتها الحر عام 1963م، إلا أنها استحالت إلى مخزون عطر ما تزال الذاكرة الثقافية في سلمية تتزين به كلما سنحت لها الفرصة بذلك..

أول مكتب ثقافي في سلمية " مكتب إخوان الصفاء "

افتتح عام 1951م من قبل مصطفى غالب وإسماعيل المير سليمان وعارف تامر وعلي شاهين، لم يستمر طويلاً حيث أغلق عام 1953م، وقد استطاع هذا المكتب المتواجد على شارع حماه استقطاب العشرات من الشباب والشابات المهتمين بالعلم والدراسة والثقافة، وقد أجريت فيه بعض المحاضرات الثقافية، ونشر كتيبات تاريخية وثقافية..

أول نادي ثقافي في سلمية " نادي ابن هاني الأندلسي "

أسس النادي كبديل لمكتب إخوان الصفاء، وافتتح النادي عام 1953م واستمر حتى عام 1955م، ضم في صفوفه الكثير من الشباب الناهد للثقافة والمعرفة، وتميز بإصدارات ثقافية متنوعة من شعر وقصة ومقالة، ومؤسسيه هم إسماعيل المير سليمان، مصطفى غالب، وعلي شاهين..

أول نادي موسيقي في سلمية " نادي الشهيد الشوّاف "

نادي للموسيقى والمسرح، أسس في عام 1960م من قبل مجموعة من الشباب الفنانين منهم إسماعيل عدرا الرئيس الأول للنادي، يوسف يوسف، محمود عباس، أحمد فطوم زهرة، محمد مفضي سيفو، يحيى الترك، باكير باكير، وعلي أمين، وقد ضم في صفوفه عشرات الشباب الذين تدربوا على استخدام الآلات الموسيقية المتنوعة حتى صاروا في ما بعد أساتذة في الموسيقى، ومن نشاطات النادي الرئيسية في مجال الثقافة، إجراء محاضرات ثقافية علمية فنية متنوعة، وإجراء معارض فنية، ومجلة حائط ومسرح، وكان لهذا النادي الفضل في تأسيس أرضية موسيقية واسعة، أعطت لاحقاً أسماء لمعت في عالم الموسيقى والفن..

أول نادي رياضي في سلمية " نادي المالكي "

تأسس في منتصف خمسينات القرن الماضي على أيدي لفيف من الشباب الرياضي منهم: علي فاضل، عبد الكريم الضحاك، فوزي عمر، مصطفى ناصر، وقد استطاع هذا النادي ضم عشرات الأعضاء، وقد تفوق منهم أفراد وفرق وخاصة في مجال تنس الطاولة للبنات

والشباب، ولعبة كرة الطائرة، وكرة السلة حيث نالوا العديد من الجوائز في المحافظة ونافسوا في مرات عديدة على المراكز الأولى في سورية..

أول جمعية أهلية في سلمية " جمعية العاديات "

تأسس فرع سلمية عام 2002م في شهر أيار من قبل مجموعة من محبي التراث والمحافظة عليه، وأول مجلس إدارة للفرع كان من المؤسسين وهم: الدكتور محمد صادق الدبيات رئيساً، وأعضاء كل من علي فاضل، رومل القطريب..

أهداف الجمعية:

- الاهتمام بالآثار القديمة والعاديات المنتشرة بكثرة في منطقة سلمية.
- حماية التراث وتوثيقه بكل أنواعه من شخصيات، عمارة وفنون وموسيقى وفلكلور، وأدب شعبي وغيره.
- تنظيم محاضرات ثقافية تتعلق بالتراث والآثار والتاريخ والعلوم الإنسانية.
- اصدار تقويم سنوي و C.D ونشرات غير دورية، وكراسات مصورة (بروشور) تعكس نشاطات الجمعية.
- التعاون مع جميع الجهات المختصة بالتراث والثقافة والسياحة.
- تعمل الجمعية في مجال البيئة في منطقة سلمية.
- الأربعاء الثقافي يوم مخصص للشباب، يقوم بالإعداد له والإشراف عليه أعضاء من الجمعية، يقومون بالتجهيز لأمسية في كل أربعاء، تضم هذه الأمسية شعراء وكتاب قصة ومسرحية وموسيقى، والمشاركون على الأغلب هواة، ويتم خلال الأمسيات التذكير بشخصيات ثقافية من منطقة سلمية ضمن تكريم تلك الشخصيات، وتقديم نماذج من أعمالهم.
- الجمعية تساهم في بناء وتطوير المجتمع الأهلي في منطقة سلمية بشكل فعال، وهي تتعاون في سبيل تحقيق ذلك مع كافة الجمعيات الأخرى، والهيئات الرسمية والأهلية المهمة بالثقافة والمجتمع.

أهم الأعلام الأدبية في سلمية

أحمد علي الجندي

ولد عام 1910م وعاش حياته متنقلاً، ما بين سلمية وتركيا وحمص وطرطوس والحسكة وحمّاه، واستقر في نهاية أسفاره في دمشق حتى وفاته، تنقل في الوظائف الحكومية كرئيس للديوان، وهو حاصل على شهادة الحقوق من جامعة دمشق، ورغم من تعدد وظائفه إلا أنه أحب الشعر والأدب وخاصة الشعر العربي الأصيل، وقد كان يحفظ كثير من الشعر العربي، كما كان ضليعاً باللغة العربية ومهتماً بتفصيلها وأسسها التي سار عليها الأدباء والشعراء منذ مئات السنين، من أهم مؤلفاته (لهو الأيام) وهو سيرة ذاتية ممزوجة بالعبر، وقام بتحقيق ديوان "ابن النقيب" وديوان "فتيان الشاغور" و" عرقله الكلبى" وكتب قصة المتنبي في ألفين ومئة بيت من الشعر على الوزن الخفيف، وكان يعشق الموسيقى ويتذوقها وعارف بكل أنواعها، ووضع كتاباً حول الموسيقى سماه "رواد النغم العربي" وقد كتب الشعر المميز الذي يضعه في مقدمة شعراء سورية، وشارك في عدة برامج إذاعية أدبية ناجحة وكان لطيف المعشر حاضر النكتة، محبوب من قبل معارفه، توفي عام 1990م.

أنور الجندي

من مواليد سلمية عام 1917م، شاعر رقيق المشاعر ومرهف الأحاسيس نشأ في بيت علم وثقافة، تابع دراسته في مدينة حمص "المدرسة الأرثوذكسية" في أوائل الأربعينات من القرن الماضي، نشر أشعاره في مجلات عديدة داخل وخارج سوريا، عمل في التدريس أصدر عدة كتب شعرية منها (الزورق التائه عام 1992م.. حذاء الصحراء.. أغنيات عام 2001م..) له قصائد متفرقة كثيرة لم تطبع ألقاها في مناسبا عديدة ومهرجانات شعرية مختلفة..

د. سامي محمد الجندي

طبيب أسنان ماهر، وأديب كبير، وسياسي محترف، ولد في سلمية عام 1918م، درس في مدارسها، ثم تابع دراسته في حمص، وبعدها في دمشق حيث تخرج في جامعتها كطبيب للأسنان عام 1944م، تنقل في مناصب سياسية عديدة (وزير للثقافة، عضو مجلس الأمة، مدير للدعاية والأنباء، وزير إعلام، وسفير سوريا في فرنسا، كانت ميوله الأدبية طاغية على

عمله السياسي لذلك قام بتأليف عدة كتب وروايات (أحداث في المنفى عام 1972م.. عرب ويهود صدر بالألمانية عام 1967م.. رواية سلمان وهي سيرة ذاتية وقراءة تاريخية مهمة.. صديقي اليأس.. البعث.. أتحدى وأتهم.. كسرة خبز)، كما قام بترجمة عدد من الكتب المهمة (أراغون مجنون إلسا.. مئة عام من العزلة لماركيز.. بيت الأرواح لإزابيل اللندي).. في أواخر حياته عاد إلى سلمية وبقي فيها إلى أن توفاه الله عام 1995م..

الشاعر علي الجندي

ولد علي محمد الجندي في سلمية عام 1928م، درس المرحلة الابتدائية في سلمية وبعدها تابع دراسته في مدينة حمص، ثم تابع دراسته في جامعة دمشق قسم الفلسفة وتخرج فيها عام 1956م، تنتقل في عمله في الصحافة ما بين بيروت ودمشق، ثم عمل مديراً عاماً لوكالة الدعاية والأنباء السورية في دمشق، وعمل في حقل الترجمة عن الفرنسية وهومن مؤسسي اتحاد الكتاب العرب، له عدة مؤلفات شعرية أهمها: الراية المنكسة.. شعر 1962م.. بعيداً في الصمت قريباً في النسيان.. قصائد موقوتة.. طرفة في مدار السرطان.. الحمى الترابية.. الشمس وأصابع الموتى.. صار رماداً.. في البدء كان الصمت، شعر 1964م.. سنونو للضياء الأخير، شعر 1990م.. درست أعماله كثيراً من قبل النقاد، في حياته وبعد مماته، ولا زال علي الجندي لغزاً محيراً، وكتاباً لم تقرأ كل صفحاته بعد.. علي الجندي يعتبر من أعلام الشعر العربي الذين كتبوا قصيدة التفعيلة، وهو الذي ساهم مساهمة كبيرة وفعالة في زيادة النص الشعري لقصيدة التفعيلة. توفي في آذار من عام 2009م، ودفن في سلمية..

الشاعر سليمان عواد

ولد سليمان عواد عام 1922م في سلمية وترى في أحضانها، وتعلم في مدارسها المرحلة الابتدائية والإعدادية، ثم تركها مضطراً إلى حماه وطرطوس لإكمال دراسته، ونال الشهادة الثانوية من طرطوس، ثم انتسب إلى الجامعة اليسوعية لدراسة العلوم السياسية، ولكنه لم يهتم بالدراسة واعتبر نفسه طالباً فاشلاً بسبب ولعه بالشعر.

يعتبر الشاعر سليمان عواد من شعراء سلمية الأوائل الذين كتبوا قصيدة النثر مع رفيقيه (محمد الماغوط، وإسماعيل العامود) يشكلون ثلاثياً يكتبون الشعر معاً ويتسكعون معاً في شوارع دمشق (حسب رواية الشاعر إسماعيل العامود).

عاش الشاعر سليمان عواد حياة بسيطة هي أقرب إلى (خبزنا كفاف يومنا) فقط يريد أن يعيش للشعر وقد عاش وقد تعرض في حياته لمآس شخصية سواء على صعيد الحياة العملية أو المعيشية ولكنه يأنف الشكوى.

كان أول ديوان أصدره الشاعر بعنوان (سمرنار عام 1957 م)، ثم (شتاء عام 1958 م)، (أغان بوهيمية 1960 م)، (حقول الأبدية 1978 م)، (أغاني زهرة اللوتس 1979 م)، وصدرت له بعد وفاته (الأغنية الزرقاء الأبدية 1986 م).

قال عنه الشاعر محمد الماغوط: «سليمان عواد هومن رواد قصيدة النثر، واعتبره معلمي الأول». كما قال: «ولد في سلمية 1922 م شاعر مبدع على مستوى (بودليير ورامبو وفيرلين) اسمه سليمان عواد، وقد حفر الفقر في وجهه خطوطاً وأثلاماً، لم يحفر مثلها كل سجناء الأشغال الشاقة عبر العصور...». عمل في وزارة الإعلام حتى تقاعده..

وبالإضافة لتميزه بالشعر كتب مجموعة قصصية بعنوان (أصدقائي الدراويش) وله مسرحية بعنوان (من همجستان)، كما عمل في الترجمة، حيث ترجم عن الفرنسية (شعراء رومانيا، قصائد الضياء، ذئب البحر) وقد كرمته رومانيا بعرض أعماله في متحف مدينة ياش في رومانيا.

كتب في السياسة، وجال في ميادينها كفارس صنيدي من الصعب قهره، وكان كتابه الشهير ليسقط الوطن.. تحيا روسيا!! من الكتب المهمة التي عالجت الفكر الشيوعي.. وسلطت الأضواء على تفكير المواطن الروسي العادي..

وأخيراً علينا أن نقف أمام إبداعات الشاعر الكبير (سليمان عواد) بكل إعجاب وتقدير لتلك المواهب العظيمة والتي أفرزت شعراً سيبقى يتردد طويلاً، وسيبقى سليمان عواد خالداً في شعره وقصصه وكتبه، وهو الذي يحمل بالفطرة قلب شاعر، وملكة الإبداع حاضرة أبداً لديه، وهو صاحب الشخصية المحببة للقلوب والتي لا تعرف الحقد أو الضغينة لأحد من الناس، بل

هي غارقة في الأدب حتى النهاية، وهذه هي شخصية سليمان عواد مفرطة الرقة، ومشاعرها لطيفة، قدراتها الإبداعية لا حدود لها. توفي إلى رحمة الله تعالى عام 1984 م، ودفن في مدينته سلمية.

الشاعر والأديب محمد الماغوط

ولد محمد الماغوط في سلمية عام 1934م وترى فيها وتعلم في مدارسها.. محمد الماغوط اسم لمع على مستوى الوطن العربي والعالم، فهو من رواد قصيدة النثر، والمؤسسين لها، ويمكن أن نقول: إنه مدرسة قائمة بذاتها في هذا المجال. فليس هناك من شعراء هذه القصيدة من قارب الماغوط في أسلوبه. كما يتميز الماغوط بأسلوبه الساخر في الكتابة النثرية التي كان ينشرها في مختلف الصحف، وهي تشبه الكوميديا السوداء في النقد الاجتماعي، كما تميزت نصوصه المسرحية والسينمائية بأسلوب نقد اجتماعي ساخر يعزّي المجتمع والحكام والعلاقات السياسية القائمة في الوطن العربي. ومن أهم أعماله المنسية مسرحية (المارسيليز العربي)، والتي نالت الشهرة في فرنسا ومثلت على مسارح باريس لسنوات عديدة، ولا تزال تدرس في جامعات فرنسا حتى اليوم.

قالت عنه الشاعرة الراحلة سنية صالح (زوجته): «يعتبر محمد الماغوط من أبرز الثوار الذين حرروا الشعر من عبودية الشكل، دخل ساحة العراك حاملاً في مخيلته ودفاته الأنيقة بؤادر قصيدة النثر كشكل مبتكر وجديد وحركة رافدة لحركة الشعر الحديث».

كانت حياة الماغوط في بداياته مليئة بالتعاسة والفقر والتشرد، والسجن، والهرب من السلطات المختلفة آنذاك، مما سبب له الحزن الدائم. حتى عندما عاد إلى دمشق واستقر فيها، وسمح له أن يكتب ما يشاء، أخذ يبدع في كل المجالات الأدبية من شعر ومسرح وسينما وصحافة. وكانت الصحف ترحب بنصوصه الناقدة الساخرة في أبرز صفحاتها. ومنها تشرين ومجلة المستقبل ومجلة الشرطة، وصحف أخرى خارج سورية. ثم جمع هذه الكتابات في مجموعات ظهرت تباعاً وكلها نصوص نثرية، إلا أن النفس الشعري الماغوطي كان يظهر جلياً فيها دائماً، وهذه إضافة إلى مجموعات الأولى ومسرحياته التي ظهرت في مجلد واحد بعنوان (المجموعة الكاملة) وتمثل الجزء الأول من إنتاج الماغوط الأدبي. ثم مثلت مسرحياته الشهيرة (غربة . ضيعة تشرين . كاسك يا وطن . شقائق النعمان وخارج السرب) إضافة إلى

فلمين سينمائيين هما (التقرير والحدود) وظهرت له رواية واحدة هي (الأرجوحة)، ومجموعاته الأخيرة التي ضمت معظم كتاباته منها: سآخون وطني، وسياف الزهور، وشرق عدن غرب الله، والبدوي الأحمر. وفي عام 2006م توفي محمد الماغوط ودفن في سلمية..

د . مصطفى غالب

ولد مصطفى غالب في قرية بري الشرقي عام 1923 م، وفيها أمضى طفولته، وبين ييادها وكرومها وصفصافها تربي، ومن مياه سواقها العذبة نهل الماء والمعرفة، وعلى يدي والده غالب المير سليم تلقى أولى مبادئ ومعارف الحكمة، وإرشاداته سار على طريق الحقيقة العرفانية، وأصبح قطباً مهماً من أقطاب النهضة الدينية الحديثة، وصار ما يميزه ثقافته الدينية والفلسفية الواسعة وميله الشديد للبحث والتنقيب عن المصادر والمراجع الموثوق فيها، ورغبته الأكيدة بالحصول على المخطوطات القديمة والنادرة، كانت مسيرة مصطفى غالب العلمية شاقة وصعبة المسالك، ولكن جهده توجه إلى البحث والاستقراء، وإسناد النتائج إلى مقدماتها، والأسباب إلى مسبباتها، ضمن مقدمات متعددة الجوانب التاريخية منها والفلسفية التي بدأت في سلمية منذ أوائل القرن الثالث هجري، واستمرت روحها بالانتقال من جيل إلى الجيل الذي يأتي بعده، بذور المعرفة موجودة دائماً في عقول الناس.

توفي في مدينة بيروت، ودفن في مدينته سلمية في 1981/8/23م

مؤلفاته الدينية: بلغت "11" مؤلف.. أهمها كتابه الأخير (مفاتيح المعرفة) طبع في بيروت عام 1982م بعد وفاته..

المؤلفات الفكرية: "13" مؤلف فيها سلسلة نفسية وسلسلة فلسفية مؤلفة كل سلسلة من 25 كتاب صغير.. أهم كتاب فكري مؤلف هو فلاسفة من الشرق والغرب طبع في بيروت عام 1968م..

المخطوطات التي قام بتحقيقها: بلغت "28" مخطوط.. أهمها مخطوط راحة العقل للكرماني، ومخطوط دماغ الباطل وحتف المناضل لعلي بن الوليد..

إسماعيل المير سليمان

ولد إسماعيل المير سليمان أواخر عام 1923 م في مدينة سلمية، تعلم في مدرستها الابتدائية، ثم تابع دراسته في مدينة حمص حتى حصل على الشهادة الثانوية، ذهب إلى بيروت ليتابع دراسته الجامعية في الجامعة الأميركية وذلك في بداية أربعينات القرن الماضي، أمضى في بيروت ثلاث سنوات ثم أصيب بمرض منعه من متابعة دراسته فعاد إلى سلمية، ومع بداية الخمسينات بدأت مواهبه الأدبية بالظهور، وأفكاره بالتبلور، وكانت صفحات الجرائد والمجلات ميداناً واسعاً له ليظهر إبداعاته ومستوى المعرفة التي وصل إليها، بالإضافة إلى سعيه الجاد لنقل معارفه إلى طلاب المدارس في سلمية على اختلاف مستوياتهم، وكان بيته ورصيف الشارع أمامه وقاعات المجلس المحلي هي أمكنة التدريس لديه ولكل الاختصاصات العلمية منها والأدبية، وبقي يعطي إلى يوم وفاته دون ملل ولا كلل...

أصدر عدة كتب، وقصص و مترجمات نذكر منها: (السلالات البشرية . خلفاء محمد . في رحاب الباقر . القرامطة . غربة الإسلام . الطفل المتشرد ريمي "ترجمة" . من أعمال رامبو الشعرية . سلمية تاريخ ومنجزات) وأهم عمل له ترجمته لكتاب الرئيس الفرنسي جورج بومبيدو (انطولوجيا الشعر الفرنسي) والكتاب من حوالي أربعمئة صفحة، ترك العديد من المخطوطات لكتب لم يسعفه القدر لطبعها، رغم ضياع كتب أخرى لدى دور نشر لم يستطع متابعتها نظراً لوضعه الصحي.

وتوفي إسماعيل المير سليمان صبيحة 2008/7/9 م، ودفن في مدينته التي أحبها وأحب كل تفاصيل حياتها، وعشق فيها البرد والحر والغبار

عارف تامر

ولد عارف تامر العلي في القدموس عام 1921 م، تلقى تعليمه في مدينة طرطوس للمرحلتين الابتدائية والإعدادية، ثم انتقل إلى مدينة اللاذقية حيث أكمل فيها دراسته الثانوية، ثم انتقل إلى سلمية ليقم فيها، وقد عمل فيها ترجماناً لدى (دائرة المستشارية الفرنسية)، كما عمل مفتشاً في مؤسسة الميرة التي كانت تابعة للحلفاء وذلك عام 1939 م، ثم عمل مدرساً للغة الفرنسية في ثانويات سلمية الأهلية، ومنذ بداية الستينات بدأ إنتاجه الغزير من المؤلفات

الأدبية والتاريخية، والشعرية، وقد نشر دراساته وقصائده الشعرية في العديد من المجلات الأدبية في سوريا ولبنان ومصر، وامتاز شعره في تلك الفترة بالرقّة مع لمسات صوفية تغطيه، توفي إلى رحمة الله تعالى في 1998/11/3 م، ودفن في سلمية، وقد تجاوزت مطبوعاته الفكرية والأدبية الخمسين ما بين تحقيق وقصة ومسرحية وتأليف. ومن أهم مؤلفاته " ابن هاني الأندلسي" و"الإمامة في الإسلام".. وأهم الكتب التي حققها " أساس التأويل"..

د . إبراهيم فاضل

ولد إبراهيم فاضل في سلمية عام 1933م.. ودرس في مدارسها..

وأكمل دراسته في الكلية الوطنية الإنجيلية في حمص .. حصل على إجازة في الفلسفة من جامعة دمشق ثم حصل على دكتوراه فخرية عن مجمل أعماله الأدبية .. عمل وقتاً طويلاً من الزمن في التدريس..

ترجم عن الإنكليزية أعمال "Michal West" وقد بدت في كتب عديدة لهما أهمها: "قصص إنكليزية معربة- مسرحيتان وست مقالات معربة - Gerard and Margaret". كما أنه قد ترجم أعمال "C.E.Eckersley" وأهمها قصة بريطانيا وغيرها.. وقام بتأليف أكثر من عشرين مؤلف أهمها:

الفلسفة تبحث 1990.. الأغنية الشعبية.. داعج أخو جازي / قصة بدوية.. توفي عام

2017م..

حسن القطريب

ولد حسن القطريب في سلمية عام 1931 م، وتربى وتعلم فيها، ونطق الشعر يافعاً، وتبوأ مكانة رفيعة في الأدب عامة وفي الشعر ولغته الأصيلة خاصة، نشر أشعاره في مجلة الغدير التي كانت تصدر في سلمية في منتصف الخمسينات من القرن الماضي، ومن النادر صدور عدد جديد لهذه المجلة دون أن تزين بقصيدة ذات مستوى أدبي رفيع، ومع تدفق سيل أشعاره تعددت المجلات والجرائد التي نشرت له لغته الجميلة، كتب الشعر بأنواعه، وكتب المقالات الأدبية والصحافية، البعض ممن تعرف لشعره وحفظه في فترة الخمسينات والستينات خشي

على هذا الشعر الكنز من الضياع، ولأسباب عديدة لم يستطع حسن قطريب إصدار كتاب أو ديوان يضم أشعاره، لكن المعجبين به وبقصائده على أنواعها حفظوا أكثر ما قال من الشعر،

ومع امتداد مسيرته الثقافية والمعرفية توصل اللغوي والشاعر حسن قطريب لإصدار معجم لغوي هام وذلك عام 1994 م، وهذا المعجم بلغت أهميته العلمية درجة عالية، ولكونه أول معجم نحوي عربي حديث مرتب حسب الأحرف الهجائية، وبطريقة مبسطة سهلة يستطيع أي باحث التعامل معها والوصول للنتيجة التي يرغب.

له العديد من المخطوطات لم تر النور بعد (مفاتيح اللغة، أغاني الريف، ديك الجن الحمصي، مسرحية مملكة الملح... ودراسات أدبية هامة كثيرة).

وأخيراً هزمه المرض والألم والوجع، وقد أخذه الموت عام 2007 م.

محمد حيدر

ولد الكاتب والشاعر محمد حيدر في سلمية عام 1929م، درس المرحلة الابتدائية في مدارس سلمية ونال الشهادة الإعدادية والشهادة الثانوية خارج المدارس (دراسة حرة)، ونجح في مسابقة دار المعلمين العليا وانتسب إلى جامعة دمشق عام 1950م، وحصل على الإجازة في الآداب قسم فلسفة ثم شهادة أهلية التعليم الثانوي.

عمل مدرساً في درعا (1955م . 1961 م) ثم نقل إلى دمشق رئيساً لقسم النصوص في التلفزيون العربي السوري (1962 . 1963 م)، بعدها عاد إلى التدريس، وفي العام 1967 م عين ملحقاً ثقافياً في ألمانيا، كما عمل أميناً لتحرير مجلة الكاتب العربي، ثم عمل بالتدريس في دولة الكويت حتى تقاعده، كتب الشعر والقصة والرواية:

العالم المسحور . قصص . 1962م -..خلايا السرطان . رواية 1979 م.

باربرا كايزر . شعر . 1980 م... نجمة المساء . قصص . 1989 م.

توفي إلى رحمة الله تعالى عام 1990 م في ألمانيا، ودفن فيها..

خضر الحمصي

شاعر منذ نعومة أظفاره، أنشد الشعر يافعاً، وهو يعتبر من الشعراء الموهوبين الأصلاء، دمث الأخلاق، فصيح الكلام، بديع المعاني، قوي الشخصية، صادق الحب لوطنه، مخلص لأمتة وقضاياها العادلة، نشر أشعاره الأولى في صحف ومجلات الخمسينات من القرن الماضي (النواعير، الرائد العربي، الثقافة، الرقيب، الدنيا، الغدير).

ولد في مدينة سلمية عام 1931 م، تلقى تعليمه في مدارس سلمية، وعمل أستاذاً فيها، خدم في القوات المسلحة برتبة ضابط. له عشرة دواوين شعر، أهمها رسالة قلب عام 1955م.. نعم إليك أغني عام 2004م..

عشق سلمية ودمشق وتاه عقله فيما بينهما، حتى خذله جسده التعب من الهموم والتعب، وفي 2008/5/13 م، توفي إلى رحمة الله ودفن في سلمية..

إسماعيل عامود

ولد في سلمية عام 1930م، ودرس فيها المرحلة الابتدائية، ثم أكمل دراسته في دمشق حيث تخرج في " مدرسة الأخصائيين " عام 1948، أنضم إلى الجيش وعمل في قسم السكرتاريا والإدارة، ثم عمل في مجلات ثقافية متعددة في سوريا، وأهمها كان في مجلة الثقافة لصاحبها مدحت عكاش، حيث عمل كرئيس تحرير فيها، نشر قصائده الشعرية منذ عام 1946م في المجلات والصحف العربية، ويعتبر إسماعيل عامود من رواد قصيدة النثر مع صديقيه (سليمان عواد، ومحمد الماغوط) نشر ثمانية دواوين شعرية كان أهمها " من أغاني الرحيل 1959م، والعشق مدينة لا يسكنها الجنون 1984م، حصل على عدة جوائز ثقافية، كما تم تكريمه في دولة الإمارات العربية المتحدة، كتب إسماعيل عامود الشعر بأنماطه الثلاثة (العمودي.. التفعيلة.. وقصيدة النثر) توفي في 2015/2/4م بعد صراع طويل مع المرض، وتم دفنه في سلمية.

فايز خضور

ولد عام 1942م في مدينة القامشلي، تنقل في تعليمه بين عدة مدن سورية، وتخرج في جامعة دمشق (أدب عربي) عمل في الصحافة الثقافية في بيروت ودمشق، وعمل في اتحاد

الكتاب العرب بدمشق، نشر قصائده الشعرية في المجالات والجرائد العربية منذ أواخر خمسينات القرن الماضي، أصدر ثمانية دواوين شعرية أهمها " الظل وحارس المقبرة" عام 1966م.. " فضاء الوجه الآخر" عام 1988م، كتب قصيدة التفعيلة، واعتبر أن قصيدة النثر لا تمت بصلة إلى الشعر، ولا يزال فايز خضور يساهم في إعمار الثقافة الشعرية العربية بكل طاقاته، وهو يعتبر من الشعراء المهمين في العالم العربي، وقد ترجمت بعض أعماله إلى الإنكليزية والفرنسية، ووصلت إلى العالمية.

د. خالد الماغوط

عالم حقيقي نشر علمه في الجامعات العربية، وفي بعض الجامعات العالمية، كان بارعاً في إيصال ابداعاته لطلاب العلم والمعرفة، كما أنه كان نابغة في الأوساط العلمية الرفيعة، ولد في سلمية عام 1932م، ودرس في مدارسها، نال درجة البكالوريوس في الرياضيات عام 1954م من جامعة دمشق، وحصل على درجة الدبلوم عام 1955م، حصل على شهادة الدكتوراه سنة 1962م، من جامعة السوربون في فرنسا في اختصاص الرياضيات، تقلد عدة مناصب علمية أهمها (وكيل جامعة حلب من 1971م إلى عام 1981م، مدير معهد التراث 1981م، رئيس الجمعية السورية لتاريخ العلوم 1967م، كما نال وسام الاستحقاق الفرنسي بدرجة ضابط من رئاسة الجمهورية الفرنسية لمساهماته العلمية الهامة باللغة الفرنسية) قام بتأليف ثمانية عشر مؤلفاً علمياً كان أهمها: خوارزمية لحل البرامج التربيعية 1961م في باريس، تطبيقات جبر بول في بحوث العمليات 1964م بكين، الهندسة التحليلية في الفراغ 1971م حلب.. توفي في 7/8/2000م، ودفن في سلمية.

زلفا الأمير صبورة

للنساء دور كبير على صعيد الساحة الثقافية في سلمية، ففي البيوت كانت تقام جلسات نسائية تعليمية ثقافية، وعرفت بعض النساء بمستوى ثقافي مهم، وكان أبرزهم وأكثرهم ظهور وقدرة على العطاء الأدبي المهم "زلفا الأمير صبورة" التي ولدت في سلمية أواخر القرن التاسع عشر، كانت زلفا صاحبة شخصية قوية، وتملك طاقة كبيرة من الوعي والإدراك، أكملت دراستها في المدرسة الإنجليكية للراهبات في حمص منذ كان عمرها عشر سنوات، ولكنها ولظروف العادات والتقاليد لم تكمل دراستها في حمص، وقد عادت إلى سلمية لتتابع تعليمها

وقراءة الكتب المتوفرة، وقد أكثر من المطالعة والبحث وخاصة في الفلسفة والدين واللغة العربية، حتى تفوقت على معلميه وباتوا يخشون مناقشتها والحوار معها، وشاركت في مجالس الرجال الأدبية وكان لها الحضور المميز والقدرة الكبيرة على الاقتناع، وكانت تجود بشعرها في المناسبات الهامة، وبقيت زلفا صبورة تجول وتصول في ميادين العلم والأدب حتى توفاه الله عام 1962م، وثبتت في ذاكرة سلمية كأديبة وفيلسوفة، وأستاذة ومرجعاً ثقافياً نسانياً له خصوصياته ومكانته الرفيعة..

أقلام هؤلاء المبدعين وغيرهم ممن لم نستطع الوصول إلى سيرهم الذاتية رغم قناعتنا بأهمية دورهم في مسيرة الثقافة والتعليم في سلمية، وبسببهم اكتسبت منطقة سلمية صفاتها الحالية، ومكانتها العلمية والمعرفية، وغطت شهرتها الآفاق الفكرية فنالت مرتبة (مدينة الفكر) ونتمنى من شباب اليوم والمستقبل المحافظة على هذه المكانة الرفيعة، ونأمل منهم العمل بجهد كبير، وعزم وتصميم جاد على ردها كل يوم بأديب جديد، وعالم تغطي أعماله أرجاء البلاد ناشراً أشعة إبداعاته الفكرية العالم العربي، وكلنا ثقة بشباب وشابات سلمية بأن يتابعوا المسيرة الأدبية التي بدأها الآباء والأجداد، ويصبحوا أعلاماً علمية براقة ومميزة، ويؤسسوا منارات معرفة وبحث وإنتاج لها تأثيرها الثقافي الصحيح في مراكز العلم والمعرفة..

مراجع البحث

كتاب "شخصيات من ذاكرة سلمية" .. إصدار جمعية عاديّات سلمية..

كتاب " سلمية في خمسين قرناً" محمود أمين..

كتاب " صور من الماضي" باكير باكير..

كتاب " سلمية رسائل من التاريخ" أمين قداحة..

كتاب " غدير المعرفة" غالب المير غالب..

الفصل السادس

المكتبات في سلمية

أ . شادي ابو حلاوة

الكتاب وسلمية، توعمان قديمان، فمن عمر الزمان تكونت سلمية وتكونت فيها بيئة معرفية ثقافية، فكرية، وإبداعية. كان لها حضورها الفاعل في حركة الثقافة العربية وحتى الوقت الحاضر.

فإذا كانت قلعة شميميس رمزاً لها. فإن الكتاب والكتاب أشجارها الباسقة وفيئها الرطيب.

ومع بداية التاريخ الحديث لسلمية انتشر التعليم وإن كان في البداية على نطاق ضيق، ثم ما لبث أن توسع ليشمل مناطق الريف في بداية القرن العشرين فانتشرت المكتبات في منطقة سلمية مع انتشار المدارس وحلقات التعليم التي كانت تقوم بتحفيظ القرآن الكريم وتعليم الكتابة. وازداد ولع أبنائها باقتناء الكتب واستعارتها، فجاءت متفاوتة في أحجامها ومكوناتها وكنوزها... هذا بشكل متوازٍ مع الواقع الذي يعيشه صاحبها ومدى تنقلاته ونشاطاته.

ومن الملاحظ في الوقت المعاصر، ومن خلال جولة على مكتبات عدة في مدينة سلمية، أن بعضها يميل للتخصص إلى حد ما. فعلى الرغم من شمولية بعض المكتبات إلا أنها تضم الأغلبية من محتوياتها بما يخص عمل أو اهتمام صاحبها، مثلاً:

- مكتبة الباحث نزار مصطفى كحل: وهي مكتبة كبيرة ومتنوعة، تغلب عليها الصفة التاريخية، بحكم اختصاص صاحبها.
- مكتبة الباحث أمين محمد قداحة: وهي مكتبة تاريخية بامتياز، بحكم اختصاص صاحبها.
- مكتبة الأديب محمد عزوز: وهي مكتبة أدبية كبيرة، حسب اهتمامه، لما لا وهو صاحب الصالون الأدبي العريق.
- مكتبة الباحث علي أمين: وهي متنوعة، وغنية في مجالات المعرفة البشرية.

وهنا، لا يفوتنا أن نذكر مكتبة نادي الشوَّاف في ستينيات القرن العشرين وهي مكتبة متنوعة، تحتوي على أكثر من 200 كتابٍ جميعها قُدمت تبرعاً من الأعضاء.

تنتشر المكتبات العامة والخاصة التجارية بشكل ملفت في سلمية، أما المكتبات المنزلية فلا يكاد يخلو بيت منها، وفي هذه الدراسة لا يمكننا الإضاءة على كل المكتبات وخاصة المنزلية لكثرتها، واكتفينا بذكر بعضها والتي كان لأصحابها أثر في المشهد الثقافي والتربوي لمدينة سلمية.

مكتبة المجلس الأعلى الإسماعيلي في سلمية

على يسار الداخل إلى بهو المجلس المحلي تقع المكتبة، والتي تفتح بابها لاستقبال القراء والباحثين والدارسين، وطلاب المنطقة بمختلف مراحلهم الدراسية والعمرية... وهذا الموقع يوفر لها البعد عن ضجة الشارع المجاور.

وهي بدوامها ثلاثم أوقات الفراغ عند الطلاب وغيرهم من المستفيدين، فهي تفتح أبوابها من الساعة 9 صباحاً حتى الساعة 12,30 ظهراً، ثم تبدأ فترة بعد الظهر من الساعة 5 وحتى 7,30 مساءً حسب التوقيت الشتوي، وحتى 8 مساءً حسب التوقيت الصيفي.

والمكتبة تشغل حيز غرفتين كبيرتين من المبنى، خصصت واحدة منها كمستودع للكتب، أما الثانية جعلت قاعة للمطالعة ضمت الطاولات والمقاعد وأدراج الفهارس، إضافة إلى مكتب أمين المكتبة بجانب الباب الرئيسي.

أما المستودع فيضم مجموعة من الكتب والمراجع والمصادر التاريخية والموسوعات والمخطوطات المصورة إضافة إلى الكثير من الدوريات المحلية والعربية والأجنبية.

المحتويات: بلغ عدد الكتب في عام 2017م /9000/ آلاف كتاب ما عدا قصص الأطفال والدوريات. وهي تبحث في مواضيع متنوعة منها الأدبي والتاريخي والديني والثقافي واللغوي وغيرها.. لكي تقوم هذه المكتبة بالمهام الموكلة لها عملت منذ تأسيسها على جمع واقتناء أكبر عدد من المراجع والمصادر والمعاجم وحالياً تضم الكثير من هذه الأوعية، منها:

- المعاجم: ضمت المعاجم اللغوية مثل: تاج العروس، لسان العرب، المنجد، قاموس المحيط، القاموس الوسيط.

- ومعاجم الأعلام مثل: أعلام الإسماعيلية لمصطفى غالب، معجم الأدباء، الأعلام للزركلي، أشهر مشاهير الإسلام، أعلام النساء، موسوعة أعلام سوريا في القرن العشرين.

- الموسوعات: ومنها: الموسوعة العربية، موسوعة حلب المقارنة، دائرة المعارف الإسلامية، دائرة المعارف للبستاني، موسوعة عظماء حول الرسول.

- المراجع: المكتبة غنية بالمصادر منها ما هو تاريخي، أوديني أو فلسفي أو أدبي وغيرها وفيها: عيون الأخبار وفنون الآثار لعماد الدين إدريس، تاريخ الطبري. خطط المقرئ، نهاية الأرب للنويري، جمهرة الأنساب لابن الكلبي، الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري، الفصل في الملل والأهواء والنحل للشهرستاني، التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي، البداية والنهاية لابن كثير، والكثير من دواوين الشعر العربي لشعراء من مختلف العصور مثل: ديوان البحتري، ديوان ابن الرومي، ديوان ابن عربي، ديوان المتنبي وغيرهم..

- الكتب والمخطوطات:

- تضم المكتبة إضافة إلى ذلك عدد كبير من الكتب في مختلف العلوم والفنون والآداب منها المطبوع ومنها ما يزال مخطوط، حيث تضم رفوف المكتبة صوراً لمخطوطات نادرة، أودعت أصولها في مركز الدراسات الإسماعيلية في لندن. ويروى عدد هذه المخطوطات على «150» مخطوط إضافة إلى ما يصلها من منشورات مركز الدراسات الإسماعيلية في لندن.

نشأة المكتبة وتزويدها

تأسست المكتبة في عام 1964 وكانت عبارة عن خزانة ضمت المخطوطات والكتب الإسماعيلية، ما لبثت أن ازدادت محتوياتها وخصص لها غرفة كبيرة فيما بعد. وقد زادت مقتنياتها حسب ميزانية سنوية بلغت قيمتها «100» ألف ليرة سورية في 2017. تخصص لشراء الكتب والمراجع والقصص وقد كان لرعاية الشباب المثقف لهذه المكتبة كبير الأثر في احتوائها على العديد من كتب المصادر في مختلف مجالات المعرفة.

وقد حققت هذه المكتبة نجاحاً ملحوظاً في المنطقة مما شجع على افتتاح مكتبة مماثلة في ريف سلمية كان أولها مكتبة تل الدرة عام 1969/ ومكتبة بري الشرقي ومكتبة السعن عام 1973/.

كذلك افتتحت مكتبات أخرى تابعة للمجالس المحلية في كل من: دمشق وحلب وحمص وطرطوس.

أما تزويدات المكتبة فتأتي من الشراء... ولذلك تشغل المكتبة لجنة لشراء ما تحتاجه من الكتب من خلال زياراتها لمعارض الكتب المقامة في مكتبة الأسد وغيرها... وكذلك يضاف إلى رصيد المكتبة ما يأتيها من هدايا من الأهالي والمتقنين أبناء المنطقة أينما وجدوا...

خدماتها: تقدم المكتبة الخدمة المرجعية لفئة الطلاب والباحثين وخدمة الإعارة الداخلية والخارجية والمساعدة وتقديم المشورة للقراء المبتدئين والأطفال واليافعين.

- وتنظم الإعارة في المكتبة ضمن قوانين كالتالي:

تحدد مدة الإعارة بـ 15/ يوم على الأكثر، قابلة للتجديد. أما في حال التأخر عن إرجاع الكتاب أو فقده أو إتلافه فإن المكتبة تأخذ بحق المستعير بعض الإجراءات كعقوبة له مثل: حرمانه من الاستعارة لمدة يحددها أمين المكتبة حسب قيمة الكتاب ومن ثم تغريمه بقيمة الكتاب أو إحضار بدلاً عنه...

خدمات أخرى

تقوم هذه المكتبة باعتبارها المكتبة المركزية... بإعارة الكتب التي تطلبها مكتبات الفروع التابعة لها والمنتشرة في قرى سلمية وبعض المحافظات في دمشق . وحلب . وطرطوس وحمص... كما تقوم أيضاً بتزويدها بالنسخ الزائدة المتوفرة لديها... عملاً منها لتعميم خدماتها على مجتمعها المحلي والمجتمعات المحيطة بفروعها...

إضافة إلى تجليد وترميم الكتب في ورشته الصغيرة في مستودع المكتبة، وإعداد إحصاءات لعدد الاستعارات وقوائم عناوين الكتب اللازمة لأي مبتدئ في دراسة أي موضوع...

وتقوم المكتبة بإقامة معرض للكتاب بالاشتراك مع دور نشر ومكتبات محلية وجمعيات مدنية في سلمية وبالتعاون مع لجنة اشباب والرياضة في المجلس المحلي.

تركت المكتبة الغنية بمجموعاتها المرجعية أثراً إيجابياً عند كل القراء والباحثين والدارسين عبر أجيال متعاقبة، فهي قبلتهم في تلبية احتياجاتهم المعرفية والبحثية.

مكتبة المجلس الأعلى الإسماعيلي في «تلدرة»

وتعتبر من أكبر الفروع لمكتبة المجلس الأعلى في سلمية من حيث الحجم وعدد المحتويات. وهذه المكتبة توجد في مبنى المجلس المحلي في قرية تلدرة، الواقعة إلى الغرب من سلمية على بعد 10 كم، وتشغل في المبنى حجرتين إحداها مستودع وقاعة مطالعة، ضمت خزائن الكتب والطاولات ومقاعد للقراءة إضافة إلى مكتب أمين المكتبة.

أما الغرفة الثانية . الأصغر . تستخدم قاعة مطالعة للأطفال، ضمت مقاعد وطاولات خاصة للأطفال.

- والمكتبة تفتح أبوابها للرواد في ساعات النهار لتسمح لأكثر عدد ممكن من المستفيدين بزيارتها، وذلك على دوامين: صباحي من الساعة 9 . 12 ظهراً ومسائي من 5.30 . 7.5 مساءً

المحتويات

بلغ عدد ما تحويه المكتبة من كتب ومصادر وعناوين دوريات ما يزيد عن 4000/ كتاب، هذا عدا قصص الأطفال التي لم تحسب من محتويات كما تضم المكتبة جميع الرسائل الجامعية والعلمية « ماجستير، دكتوراه، مشاريع تخرج » للطلاب الجامعيين من أبناء تلدرة.

نشأة المكتبة وتزويدها:

تأسست مكتبة المجلس في تلدره، نتيجة للنجاح التي حققته المكتبة في سلمية، وبهدف نشر رسالة ثقافية في مناطق أخرى خارج سلمية. وقد كانت أول فرع ينشأ وذلك في عام /1969/. وكانت هذه المكتبة بداية ملحقة بالمسجد الموجود في تلدره، ولكن عند تأسيس المجلس المحلي في القرية، نقلت محتوياتها إليه وخصص لها مكان مناسب في المبنى.

أما تزويد المكتبة يتم عن طريق ما ترسله إليها المكتبة المركزية في سلمية ضمن خطة لتزويد جميع فروعها في القرى وباقي المحافظات بأحدث ما تشتريه أو يصلها من مركز الدراسات الإسماعيلية من مقره في لندن. كما يقوم أهالي المنطقة بإهداء مكتبتهم الكثير من الكتب والتي تضاف إلى رصيد المكتبة وتغنيها.

مكتبة المركز الثقافي العربي في سلمية

تأسست المكتبة مع تأسيس المركز الثقافي العربي وبدأت مجموعات المكتبة بالازدياد مع الوقت حتى بلغ عددها في عام 2017: 18900 عنوان، وكتب الأطفال بلغت 2500 عنوان. عدد الموظفين فيها 12 من حملة الإجازات الجامعية والمعاهد المتوسطة والشهادات الثانوية.

تعتمد مكتبة المركز الثقافي في نظام إعارتها للكتب على بطاقة اشتراك تتضمن اسم المشترك وصورة شخصية وتاريخ الاشتراك. وتترك في المكتبة خلال مدة الاعارة المحددة.

أما الأنشطة التي تقوم بها مكتبة المركز فهي عديدة، كنشر عناوين كتب والتعريف بها ضمن مبادرة (قرأت لكم) على صفحة المركز الثقافي على الفيس بوك، كنوع من التسويق والتعريف بها لدى القارئ.

تعتبر مكتبة المركز الثقافي مكتبة عامة تضم مجموعاتا مختلف أنواع المعرفة البشرية من مراجع ومصادر تاريخية وأدبية وحوليات وموسوعات عربية متنوعة ودوريات.

تقدم المكتبة خدماتها لشرائح القراء كافة. من طلاب وباحثين والقراء العاديين والأطفال بطبيعة الحال الذين يحظون بمكتبة خاصة لهم.

أما تزويد المكتبة بالكتب فيعتمد على شراء الكتب ضمن الميزانية المخصصة لها والكتب المرسلة من وزارة الثقافة، بالإضافة إلى قبول الهدايا التي تودع في المكتبة بعد أخذ الموافقة عليها من الوزارة عن طريق التسلسل.

مكتبة الأستاذ مهدي غالب

لدى دخولك إلى المنزل يُطالعك مقر المكتبة في غرفة على يسار المدخل، والتي اصطفت فيها الكتب على الرفوف حتى السقف، حيث لم تتسع هذه الغرفة للكتب التي زحفت إلى السقيفة والغرف الأخرى.

وأبرز ما في هذه الحجرة هي الكتب المتنوعة القديمة والحديثة في خزانتي خشبيتين كبيرتين على مساحة كامل الجدار... كما وضعت الصحف في الأماكن الخالية المتبقية في المنزل لعدم وجود أماكن لها ضمن خزائن الكتب ورفوفها.

محتوياتها

بلغ عدد الكتب ما يزيد عن /3000/ كتاب ومرجع، إضافة إلى عدد لا بأس به من عناوين الدوريات المحلية والعربية.

المصادر والمراجع

ضمت المكتبة العديد من المراجع والموسوعات والقواميس لمختلف مجالات المعرفة. منها اللغوي، والديني، والفلسفي. ومن هذه المصادر والقواميس التي تمكنا من تسجيلها: الكامل في اللغة لابن منظور . ألفية ابن مالك، الأغاني للأصفهاني، ومراجع بالمرح: منها المسرحية العربية: الحقيقة والزيف الفني. والكثير من المعاجم اللغوية والقواميس عربي - إنكليزي.

المحتويات

تتوعد مجالات الكتب فمنها الأدبي ومنها الفلسفي ومنها العلمي لكتّاب عرب وأجانب. وروايات متنوعة منها مترجم ومنها بالعربية لكبار الروائيين، إضافة إلى كتب سماوية للديانتين المسيحية والإسلامية ودراسات تاريخية عن الإسماعيليين وفلسفتهم العقلية، ومخطوطات.

كما أثر اهتمام الأستاذ مهتدي بالمرح والأدب على احتواء المكتبة على كتب في هذا المجال سواء النقدية منها والمؤلفات... فهناك مسرحيات للعديد من مشاهير كتاب المسرح العالمي والعربي، لا تخلو المكتبة من العديد من المجلات والصحف منها المتخصصة ومنها العامة، وهي كثيرة، كما ضمت المكتبة الأعداد الكاملة لمجلة الغدير حتى وقت توقفها عن الصدور.. وهي التي كان يصدرها والده الدكتور مصطفى غالب في سلمية في الخمسينيات من القرن الماضي.

مكتبة الأستاذ هاشم الشيخ ياسين

من مواليد سلمية عام 1943م، يحمل إجازة في التاريخ جامعة دمشق، إضافة إلى دبلوم في التأهيل التربوي، ويعمل حالياً في حقل التدريس في ثانويتي الزهراء وزينب للبنات في سلمية.

المكتبة الخاصة

تشغل المكتبة معظم أنحاء المنزل حتى أنها خرجت عن نطاقه ووصلت إلى المحل المجاور. أما ما وجد منها في المنزل، فهو موضوع في خزائن قديمة، والزائد عن هذه الخزائن متناثر هنا وهناك فكل مجموعة من الكتب ومن ضيق المكان ضمت مع بعضها وضعت على ذلك الرف أو تلك الطاولة أوفي أرضية المنزل.

المقتنيات

يصعب تحديد رقم الموجودات بشكل دقيق بسبب كثرتها، ولكن من الواضح أنها تفوق (6000) بين مجلد وكتاب وقصة ودورية.

وتتنوع المقتنيات حسب اهتمامات الكاتب المتعددة، فهو ليس بشاعر وليس بكاتب، ولكنه قارئ فهو يجمع كل ما يجد فيه فائدته.

فلهذه مجموعة كبيرة من الكتب بكافة المجالات الفكرية، ومنها التاريخي والفلسفي والأدبي والسياسي والأساطير. ولا يتوانى الأستاذ هاشم عن تزويد المكتبة بالدوريات المختلفة، فهو على الدوام يشتري وبشكل مستمر أعداد معظم المجلات التي قلما تجدها في مكتبة أخرى.

ومن الجدير ذكره أن في المكتبة أرشيف صحفي كبير لمجموعة ليست بقليلة من الصحف العربية المحلية ومنها ما يصدر خارج الوطن العربي.

وجميعها مرتبة بحافظات تضم أعداد كل سنة على حدة ومما استطعنا حصره صحيفة الثورة والبعث ونشرين وصحيفتي صوت الشعب والوحدوي. وصحيفة الاتجاه الآخر العراقية الصادرة في هولندا. والمحرر العربي الصادرة عن لبنان. وصحيفة الكفاح العربي.

البدايات والتزويد

يقول الأستاذ هاشم كنا نحصل على الكتاب عن طريق استئجاره بمبالغ زهيدة من مكتبة النهضة في سلمية وظل الحال على ما هو حتى استلمت عملي... فصرت وبسبب الألفة بيني وبين الكتاب أشتري بشكل كبير وأضيف إلى المكتبة التي أسستها.

ويتابع: شغفي بالكتاب ومنذ سن مبكرة أثر على اهتمامي به، فلا أدع إصدار جديد من الكتب يفوتني، وأفضل شراء الكتاب على شراء أي شيء.

مكتبةٌ مظلومةٌ، ونادٍ ثقافي

يحدثنا عن مكتبته بأنها مبعثرة ولا يهتم بتنظيمها أو ترتيبها، أو حتى إزالة الغبار عن مجلداتها. فمعظمها متناثرة على الأرض ويقول... حتى أنني مقصر بحقها فلا أقرأ كل ما أشتريه بل أزيد الفوضى والازدحام فيها على حساب بعضها البعض. وقد حولت مكتبتي، وبعد ملاحظتي للردة الثقافية بين الأهالي، إلى ملتقى ثقافي، تجري فيه المحاورات والأخذ والرد في الأمور الثقافية والتي في الغالب تكون محتويات المكتبة مرجعها الثر. ووظفت المحل الملحق بالمنزل لهذا الغرض. ومع الوقت أصبح اسم الملتقى: منتدى طيور الفينيق الثقافي، يرتاده خيرة مثقفي سلمية.

مكتبة الراحل الأستاذ حسين الجندي

مواليد نهر الخوابي قرية بحوي 1938 نشأ في سلمية ودرس فيها وأنهى الجامعة في دمشق كلية الآداب قسم الأدب العربي عام 1963، والراحل كان يعمل في حقل التدريس في سلمية كما درّس في طرطوس ومصيف واليمن بين عامي 1972 - 1976م

المكتبة . موقعها وحجمها:

تقع المكتبة في إحدى غرف المنزل موزعة الكتب فيها ضمن خزانة خشبية متوسطة الحجم اتسعت لمحتويات المكتبة جميعها.

محتوياتها

المكتبة متنوعة . متعددة الموضوعات . من دراسات ودواوين وقصص ونقد بالإضافة إلى كتب فلسفية ودينية وسياسية منها الكثير وبعض المراجع والقواميس باللغتين العربية والإنكليزية لكنها قليلة مثل:

- قواعد اللغة العربية
 - تعليم اللغة العربية للأجانب
 - دواوين شعر لشعراء من سلمية.
 - كتب دينية مثل القرآن والإنجيل.
 - الرائد /معجم عربي/.
 - ديوان الشعر العربي لأدونيس الجزء الأول.
 - شعراء من الماضي /كامل العبد الله/.
 - الجهل والتخلف /مذكرات/.
- بالإضافة لوجود عدد من المخطوطات تاريخية ودينية.

البدايات

بدأ الأستاذ حسين الجندي يجمع كتب مكتبته منذ عام 1950م. عندما كان طالباً وكانت اهتماماته معظمها أدبية وسياسية مثل:

خنجر إسرائيل، ادفع دولاراً تقتل عربياً، عودة الروح، بين القصرين، وبعض الدواوين القديمة والحديثة لشعراء عديدين.

واهتماماته في اقتناء بعض كتب اللغة العربية باعتباره أستاذ في اللغة العربية وبعض كتب الأدب العربي.

مكتبة الأستاذ الراحل حسن القطريب

مواليد سلمية 1931م حاصل على الشهادة الثانوية وهو أستاذ باللغة العربية وكان له زاوية في جريدة تشرين اليومية / لغتنا الجميلة/ وكان مقوماً لغوياً في دار طلاس ومن مؤلفاته معجم النحو صدر عن دار طلاس للنشر.

موقع المكتبة وحجمها:

تقع المكتبة في غرفة الأستاذ الخاصة وهي عبارة عن خزانة خشبية تضم الكتب التي تحتويها.

محتويات المكتبة

مكتبة الأستاذ حسن القطريب لغوية. فجميع الكتب الموجودة تبحث في اللغة العربية وأصلها واشتقاقاتها وتطورها وقواعدها تضم القواميس والمعاجم ودواوين الشعر ومنها: شرح المتنبي، كتاب الحماسة، الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني 24 جزء، المعجم الوسيط، والمعجم المدرسي، ولسان العرب في 5 أجزاء، تاج العروس، وأقرب الوارد في فصح العربية والشوارد، الإمتاع والمؤانسة . الكامل في اللغة لابن منظور، مقاييس اللغة لابن فارس، العقد الفريد للأندلسي في سبعة مجلدات.

ومصادر تاريخية كتاريخ الطبري في 11 جزء . بالإضافة إلى كتب قواعد اللغة العربية كلها. ولم تحوي المكتبة أية دوريات من مجلات وصحف فقد اقتصر على القواميس والمعاجم للغة العربية وقواعدها.

البدايات

كانت البدايات لجمع الكتب عندما كان الأستاذ حسن القطريب طالباً في المدرسة منذ أكثر من خمسين عاماً وقام باقتناء مجموعته اللغوية عن طريق الشراء أحياناً والهدايا من دار طلاس فبلغ عدد محتويات المكتبة 250 كتاب مرتبة حسب حجمها الكبيرة في رف والصغيرة في رف آخر.

نستطيع أن نقول إن المكتبة غنية لغوياً حوت نفائس الكتب في اللغة العربية عكست اهتمامات الأستاذ حسن القطريب مع أنه لم يدرس في الجامعة لكنه اعتمد على نفسه في

ذلك. وقال الأستاذ بأنه يحب اللغة العربية بالفطرة أدت إلى اهتمامه وتوسعه وتعمقه باللغة العربية وقواعدها.

دار سلمية للكتاب

هذه المكتبة خاصة لصاحبها حسين الحاج: من مواليد قرية جدوة /سلمية/ عام 1961، تعلم في مدارس سلمية... وتخرج من المعهد المتوسط الصناعي، ويدرس علم الاجتماع في جامعة بيروت، وله ميول نحو القراءة واقتناء الكتب.

المكتبة / الموقع والتصميم/

تقع المكتبة إلى الغرب من مركز البريد، وتشغل الطابق الأرضي من البناء. وهي مؤلفة من قاعتين، واحدة للقراءة والمطالعة والأخرى معرض للكتب. إضافة إلى مكتب صغير لصاحب المكتبة.

نشأة المكتبة ومحتوياتها

تأسست المكتبة عام 1987م وبإمكانات بسيطة، وكان عدد محتوياتها /1500/ عنواناً. أما الآن فقد بلغ على ما يزيد على /8000/ عنواناً، موزعة بين كتب البيع وكتب الإعارة، وتتنوع مواضيع هذه المجموعات منها التراثي والأدبي والفلسفي والسياسي إضافة إلى قصص الأطفال.

قصص الأطفال

يبلغ عددها /500/ عنواناً للبيع والإعارة، وهي إما مصورة وملونة للصغار وإما قصص هادفة لتعليم المعاني والقيم الاجتماعية الجيدة للطفل. ولا تخلو المكتبة من مجلات الأطفال المشهورة مثل مجلة ماجد . أسامة ومجلة العربي الصغير وسلاسل قصص تربوية وتعليمية للأطفال.

المجلات

لا تقتصر محتويات المكتبة على الكتب وحسب بل أيضاً تحتوي على عدد من المجلات ومن أمثلتها:

مجلة الوحدة . ومجلة الحياة التشكيلية . الموقف الأدبي . مجلة العربي . مجلة الوقت . مجلة
الفصول الأربعة . مجلة عالم الفكر . مجلة طبيبك .

خدمات المكتبة

نشأت المكتبة على أساس أنها لبيع الكتب، ولكن بعد ثلاث سنوات من تأسيسها أدخلت خدمة
الإعارة وذلك من أجل سد مصروفاتها من خلال عائدات هذه الخدمة.

بالنسبة لنظام الإعارة: فإن المشترك يدفع رسم تسجيل في البداية وقدره /600/ ل.س. ويدفع
كل شهر اشتراك قيمته /400/ ل.س. إذا أراد استعارة أي كتاب من المكتبة.

وقد أعدت المكتبة لذلك بطاقة إعارة لكل مشترك توضع عليها صورته وبيانات أخرى. ويمكن
للمستعير أن يأخذ الكتاب إلى الخارج وأن يطالعه في المكتبة في قاعة المطالعة.

كما أن الدار خصصت جناح للأطفال للمطالعة والإعارة. وعملت لأجل ذلك نموذج بطاقة
استعارة بالأطفال مشابهة لبطاقة الكبار.

للمكتبة نظام للإعارة يوجب على المتأخر دفع غرامة تحدد حسب التأخير وفي حال فقد
الكتاب أو إتلافه يغرم المستعير بثمنه أو إحضار بدلاً عنه.

تفتح المكتبة أبوابها للإعارة والمطالعة معظم ساعات النهار حتى الساعة التاسعة مساءً
لإتاحة أكبر وقت للمستفيدين من الارتياح إليها.

نشاطات أخرى

يقوم صاحب المكتبة بمساعدة الموظفة التي تعمل في المكتبة بإعداد بطاقات دعوة لطلاب
المدارس في نهاية كل عام دراسي للقراءة والمطالعة بشكل مجاني تشجيعاً للحركة الثقافية بين
طلاب المدارس ولتعويدهم على ارتياح المكتبة، وكدعاية للمكتبة، كما يتم جرد المكتبة بشكل
دوري كل نهاية سنة.

التزويد والاختيار

يتم اختيار الكتب حسب طلبات القراء، ويراعى في الشراء موضوع شدة الإقبال على كتب أو دوريات محددة.

لا توجد ميزانية ثابتة لذلك، بل تعتمد الميزانية على عائدات المكتبة من المبيعات وخدمة الإعارة. كما يصل المكتبة بعض الإهداءات من الكتب وغيرها من بعض الأشخاص. ومعروف عن دار سلمية للكتاب إقامتها معرضين للكتاب في الدار بمناسبة يوم الكتاب العالمي، وبمناسبة الذكرى السنوية لتأسيس الدار، كما تشارك دار سلمية للكتاب في المعارض التي يقيمها المجلس الاسماعيلي المحلي بالمشاركة مع مكتبة المجلس ودور نشر أخرى في سلمية.

خاتمة

ما ذكرناه من مكتبات يعتبر غيض من فيض، فسلمية مدينة العلم والثقافة التي حرص أبناؤها على اقتناء الكتب وتشجيع القراءة فيما بينهم وتبادل الكتب، مما ترك أثراً إيجابياً عبر الأجيال، فقد كان مألوفاً جداً أن ترى شخصاً متأبطاً كتاباً وهو في الطريق، أو جالساً أمام دكانه وهو يطالع مجلة أو جريدة. هذه هي مدينة الثقافة أرضعت أبناءها حب المعرفة، ورغم تنوع مصادر هذه المعرفة في هذه الأيام من كتب إلكترونية وصفحات تواصل اجتماعي وهجران للكتاب عند البعض، إلا أن القراءة ستبقى ميزة أبناء هذه المدينة المفطورة على حب العلم والاطلاع ونهل المعرفة.

الفصل السابع

العلاقات الاجتماعية بين سكان سلمية

أ . غالب المير غالب

لأنهم كانوا أقلية في المنطقة، ولكونهم أقرباء ويتبعون لمجتمع واحد بالأصل، كانوا على كلمة واحدة وعلى جهد واحد وعلى رؤية متقاربة إن لم تكن متطابقة، ومنذ بداية تشكل مجتمع سلمية الحديث عام 1848م، سادت بين سكانها علاقات اجتماعية نبيلة وضرورية لاستمرار سكنائهم في هذه المنطقة، هذه العلاقات حولت المجتمع السلموني لمجتمع تعاوني متشارك بكل معنى الكلمة، يسوده قيم إنسانية حقيقية وفريدة عن غيرها من المجتمعات المجاورة لمنطقة سلمية، من مجتمعات ريفية ومجتمعات أهل المدينة، نعم لقد عادوا إلى مدينة أجدادهم بأعداد قليلة، استطاعوا الثبات في المنطقة، كما أنهم قد تمكنوا من تطوير حياتهم اليومية مع ازدياد أعداد القادمين من مختلف المناطق التي هربوا إليها خوفاً من بطش السلطة العثمانية، يوم طاردهم وأجبرتهم على مغادرة مناطقهم في الجبال الغربية والانتشار في مناطق بعيدة لا يعرفون فيها، منهم من هرب إلى سهل عكار، وبعضهم إلى المناطق الشمالية من سورية، وآخرين قصدوا دمشق وسكنوا فيها، وكان التواصل فيما بينهم غير منقطع وكل عائلة تعرف إلى أين قصد أقرباؤها.. وعندما استقرت الأمور في مدينة سلمية وشعر سكانها بحاجتهم إلى المزيد من العائلات ليستمر البناء كما يريدون له، لذلك تواصلوا مع أهلهم في مناطق غربتهم ودعواهم إلى منطقة سلمية حيث الأهل والأصدقاء، فجاءت عائلات كثيرة، بعضها لم يستطع الاستمرار فعاد إلى المنطقة التي جاء منها، واستمرت باقي العائلات في حياتها المنتجة في سلمية وريفها، وقد قويت العلاقات وخاصة في الأزمات والمصائب، وكانوا يبنون البيوت معاً يزرعون المحاصيل ويجنونها سوية، كانت حياتهم في البداية جد قاسية، أرهقت شبابهم وصباياهم بالعمل القاسي وخاصة في الزراعة حتى تمكنوا من تحويل سهول سلمية إلى أراضٍ خضراء مزروعة بالأشجار المثمرة (كالكروم والتين واللوز، والجوز على ضفاف السواقي والأقنية) وتوسعوا في المحاصيل التموينية (الشعير والحنطة، والعدس، والحمص) وفي الشتاء يجتمع الرجال في مضافات عديدة في المدينة، كان عددها قليل في البداية، ثم ازداد مع زيادة

عدد سكان المدينة، وكان الناس في كل قرية من قرى منطقة سلمية، يسهرون حول مناقل الجمر التي تضيء الدفء على المضافة، يتذكرون القصص والروايات والحكايا التاريخية منها والشعبية المتداولة، ويتغنون بالأمثال والأغاني القادمة مع العائلات من مكان إقاماتهم الموقته، ويتداولون مشاكلهم وخلافاتهم الطارئة والناجمة من العمل وطبيعة الحياة القاسية في سبيل إيجاد الحلول الناجعة لها، وفي النهار يتعاون الرجال والنساء على تأمين الحاجات اليومية من حطب وغذاء ومياه، وعندما تأتي السيول على المدينة (وهذا كان معتاداً في معظم السنين) يجتمع الأهالي معاً ليدفعوا أضرار السيل عن البيوت الطينية، ويجهدون في عمل المتاريس المانعة للمياه وفي سبيل تحويل مجرى السيل لمناطق يكون الضرر فيها أخف وطأة، وفي الأعراس والمآتم يكون التعاون والمشاركة كاملة وملفئة، وهناك حكاية تكررت روايتها كثيراً نظراً لأهميتها، في أيام الصيف شديدة الحرارة وبيادر القمح والشعير تنتظر الحيلان "النورج" ليقوم بعملية الدراس وفصل الحب عن القش، اشتعلت ببادر أحد الفلاحين وكان لا يملك غيرها وهي نتاج تعب وشقاء السنة بأكملها، ولديه عائلة تحتاج لمورد مالي يمكنها من الاستمرار في الحياة، تجمع الأهالي جيران الفلاح وحاولوا إخماد النيران وإنقاذ المحصول، غير أن النيران كانت سريعة الاشتعال لم تنطفئ إلا بعد أن صارت البيادر رماد، وحل على صاحبها المسكين الهم والغم واليأس، وفي الأيام القليلة التالية سارع الأهالي باستخراج محاصيلهم، وبليلة واحدة قدم كل منهم حصة من محصوله للفلاح المنكوب حتى صار مجموع ما قدم له ضعف محصوله المتوقع قبل الحرق، عندها عاد الفرح والسرور إلى بيته، وفي المضافة وفي حضور معظم من قدم لأجله قام بشكرهم وعيونه تترقق بالدموع وقال: سبحان الله أعطاني موسم قليل هذا العام، لكنه استدرك عطاءه ولأجل أطفال الصغار أحرق محصولي وألهمكم بتعويض ضعفه حتى استطيع تأمين مطالب عائلتي خلال العام القادم، نحن عائلة واحدة مباركة من الله عز وجل.. لم تكن عملية بيع الخضار والفواكه والمواد التموينية معروفة في سلمية وإنما من لديه محصول من الخضار والفواكه يأخذ حاجته ويعطي من ليس لديه، والجميع يجب أن يحضروا مؤونة الشتاء من الدبس والزبيب والخل والشعير وغيرها، هذه هي صورة حقيقية لحياة أجدادنا الأوائل، وربما هذه الصورة قد تغيرت كثيراً نتيجة الظروف القاسية التي حلت على مجتمعنا، في البداية كانت أسر سلمية كلها عبارة عن عائلة واحدة لا يفصل بين بيوتها جدران، ولا توجد أبواب مغلقة بل كان الجميع

يشعرون بأنهم عائلة واحدة وبيت واحد، يتعاون الجميع فيه حتى يستمر في حياته المضنية، ومن ثم كبرت العائلة كثيراً، وبنيت الأسوار حول البيوت، وصارت الأبواب تغلق ليلاً ومعظم النهار وصار رب كل عائلة مسؤولاً عن عائلته يكدح صيفاً وشتاءً في سبيل تأمين الحياة الكريمة لهم، ودخلت المنطقة في مرحلة جديدة تختلف كلياً عن سابقتها أيام تشكل المجتمع ونموه، ربما كان لازدياد عدد السكان وحاجتهم المالية دور كبير في هذا، ولا ننسى تحول مجتمع سلمية من مجتمع له صفات واحدة تجمعهم أواصر القرى والمنبع الواحد والانتماء الديني الواحد، والذي تغير شيئاً فشيئاً، بعد دخول عائلات كثيرة جاءت من المدن والريف واستقرت في سلمية، همها العيش الكريم ووسيلتها الحرفة التي حملتها معها لتكون وسيلة كسب معيشة، إلى مجتمع تنوعت فيه سبل الحياة على المستوى الاجتماعي والثقافي والديني، هذا التنوع هو أمر واقع، فقد تنوعت القناعات وكثرت الانتماءات في العائلة الواحدة، وربما كان لهذا التنوع فائدة ليست بالقليلة، خاصة بعد اقتناع الأغلبية من الأهالي بضرورة العيش المشترك والاعتراف بالآخر، واحترام قناعاته، لذلك شعور الاختلاف تأثيره جد قليل، وفي بعض الأمور نادر، والخصوصية التي يتمتع بها الفرد تعتبر قضية شخصية، لا تسيء لأحد ولا تقلل من احترام الغير.



علاقة أهل سلمية بالجوار

أول ما اتجه أهل سلمية في علاقاتهم نحو المدن، وخاصة لمدينتي حمص وحماه، لأن المدن دائماً تعتبر مصدراً مهماً للسلع الغذائية، ومستودعاً للحاجات الضرورية المرافقة للعيش (نجارة، حدادة، ومهن أخرى يحتاجها الإنسان) ولم تكن المهن موجودة في سلمية، وكانت البداية أشبه بالطفل المولود حديثاً، يحتاج كل مقومات الحياة ولا يملك لنفسه إلا ما ندر، ومع مرور الأيام واشتداد العود يقدر الاعتماد على نفسه رويداً رويداً، لقد كبرت سلمية واستغنت جزئياً عن حاجتها لكل المهن والمصالح اليومية، بقدم أصحاب المهن للإقامة والعمل داخل المنطقة، هذه العلاقة التجارية أدت لتطور العلاقات الاجتماعية مع تجار ومسؤولي المدن، وتشكلت صداقات كبيرة مؤثرة وفاعلة، تبلورت يوم دخول الجيش الفرنسي إلى سورية وبداية الانتداب الفرنسي على سورية، فقد تداعت القوى الوطنية في محافظة حماه وحلب لاجتماع ممثليها في سلمية، وتم الاتفاق في ذلك الاجتماع مع قادة سلمية على تشكيل جبهة مقاومة للاحتلال الفرنسي، وفعلاً كان التصدي للقوات الفرنسية في مدينة حماه وحلب، صحيح أن المقاومة لم تستطع منع دخول الفرنسيين إلى المناطق السورية، ولكنها دلت على توحيد الشعب السوري بكافة أطيافه للوقوف بوجه المستعمر، ويوم اقتراب غياب شمس فرنسا عن سوريا تطوع شباب من سلمية للذهاب إلى حماه والمشاركة في معارك الشعب السوري ضد فرنسا، ولا تزال معركة الجبانة تحكي بطولة أبناء سلمية مع إخوتهم وأهلهم من حماه والبادية في تلك المعركة القاسية، ولكون عدد المقاتلين السلامنة في حماه تجاوز الألف وخمسمائة مقاتل، ونحن نعرف العديد من أسماء الأبطال المشاركين، ونذكر بعضاً منهم: محمد الشيخ أحمد، رفعت المير حسن، رفعت المير أسعد، محمد الأسمر، صبر درويش، إسماعيل الحاج "أبودرا" علي ديوب، عبد الحميد الغفير، محمد خالد الجرف، علي الشعراي، أحمد زلفة "الأمير حسن"، علي الأورفلي، إبراهيم زعير، أحمد حمادة، الحاج القطلي، الحاج حسن جحا، أحمد السامح، صادق المير حسين، مصطفى الأمير تامر، فايق الأمير سليم، تميم يحيى، يوسف خلف، محمد شحود، عبد الحميد قصاب، إسماعيل عواد، خضر العلي محفوض، علماً أن الذاكرة الشعبية في سلمية لما تنسى أي واحد منهم، وحتى مشاركة رجال سلمية في جيش الإنقاذ في فلسطين ومحاربة الصهاينة، وكم من شهيد روى بدمائه الطاهرة ثرى فلسطين

المقدس، وهذه الصورة تجمع مجاهدين من سلمية ومن المناطق المجاورة التقطت في حمص عام 1948م أثناء ذهابهم للالتحاق بالقوات العربية في فلسطين..

وهذه أسماء بعض الشخصيات الكائنة في الصورة: المحامي عبد الكريم خولا، إسماعيل خدوج، محمد الأمير ملحم، أحمد الملا، يوسف عجب، فايق الأمير سليم، إسماعيل محمد عواد، إسماعيل عزيز عجب، محمد الجرف.. وباقي الشخصيات لم يتم التعرف عليها.. بين أهل سلمية وأهل مدينتي حماه وحمص علاقات محبة وأخوة، وعلاقات تجارية مهمة، وللوصول إلى أسباب الترابط بينهم، ينبغي علينا تجاوز العلاقات الفردية إلى علاقة المجتمع السلموني مع غيره من الجوار، إن التسامح واحترام الرأي والرأي الآخر من السمات الرئيسية للمجتمع السلموني، بالإضافة إلى الصفات الأخلاقية الحميدة التي يتمتع بها ذاك المجتمع، وهذا ما جعل العلاقات النبيلة تتطور مع الزمن وتتحول إلى علاقات واضحة ومميزة وراقية.

منذ البداية عرف أهل سلمية أقصر السبل وأهمها للعيش وإنماء المناطق التي يعيشون فيها وتطويرها، كان إصرار أهلها القادمين إلى سلمية (أرض الأجداد) على البقاء والاستعداد لديمومة الإقامة على ترابها، فقد اتفقوا فيما بينهم على تصور يشبه القانون أو الدستور يضمن العيش المستمر في هذه المنطقة، فكانت الأوليات التي اعتمدها تعبر عن عاداتهم وتقاليدهم وجوهر دينهم، وكان الميزان الذي وزنت فيه العلاقات يشير بوضوح إلى أن جميع البشر أخوة في الإنسانية مهما اختلفت مظاهرهم، غير أن بواطن النفس وخبايا العقل البشري تتطابق مع بعضها البعض وتتوافق، وهذا الشعار الذي رفعوه وعملوا بموجبه وحافظوا على تفاصيله في معاملتهم للجوار الملتف حول منطقة سلمية، لقد نجحوا في مساعيهم الخيرة وغاياتهم النبيلة نجاحاً مثيراً وفعالاً جعل تجربتهم في العيش المشترك مثلاً يحتذى وطريقة عيش ناجحة في بناء المجتمعات السليمة والمتحضرة، لقد زرعوا الخير في علاقاتهم الاجتماعية مع الجوار، فأثمر زرعهم علاقات متينة ودائمة ومستمرة، ولو حدثت خلافات (وهذا شيء طبيعي) يسارع الحكماء لإزالتها وتسوية الأمور وإعادتها لطبيعتها الأولى، كان دوام العلاقة الجيدة بين أهل سلمية والجوار ضرورة وحاجة، فالعلاقات الاجتماعية الجيدة دائماً تحقق الحاجات والرغبات الإنسانية المفيدة، ولما كان بناء تلك العلاقات على أسس متينة وقوية ومبنية على الصدق والثقة والاحترام المتبادل، بالإضافة لحسن الظن والوفاء بالعهود والمواثيق، والإخلاص في

التعاون والمعاملات، والوقوف مع الحق ومناصرة المظلومين، والالتزام والتقيّد بالمثل الأخلاقية التي اتفق عليها من كافة الأطراف، بالإضافة إلى تمتع السلامة بالقوة والمنعة وعدم الخضوع للهيمنة والابتزاز، لذلك أجادوا في تعاملهم وتواصلهم وتفاعلهم مع الجوار، ومقابلتهم بوجه مبتسم بشوش، حتى يشعر بالراحة والطمأنينة وتعاملوا بطرق متواضعة بعيدة عن التكبر، وهذا رفع مكانتهم وعلت مرتبتهم لدى الغير ووصل صيتهم وطيبتهم إلى خارج حدود الوطن، ولا زالت بقايا أعمالهم النبيلة ترددها ألسن من سمع بهم أو عرف عنهم الصدق والحمية والوفاء والشجاعة، وإيواء ونصرة المضطهد والمظلوم، حكاية بناء سلمية الاجتماعي حكاية مثيرة ونادرة، حكاية يطلب تسليط الأضواء عليها كل يوم، كما أن تفاصيل تلك الحكاية عطر أصيل مخبوء ضمن زجاجات الماضي على من شم رائحته مرة أن ينثره على المأ من جديد، ليعرف القاصي والداني حكاية صناع الحياة والمجتمع أصحاب القلوب الكبيرة والشخصية القوية بصدقها ومواقفها التي لا تتغير ولا تتبدل..



الشيخ ركان المرشد (شيخ قبائل عنزة) في ضيافة سلمية..

بعض الأمثلة على قوة ومنعة العيش المشترك بين أهل سلمية والجوار

• في عام 1853م حدثت هذه الحادثة ((ذهبت جموع من بدو عنزة إلى مدينة حماه للتمون بالحبوب من أجل التشاريق، وعندما انتهت من مهمتها في المدينة، عرجت الجموع بحمولة ما يزيد عن مائتي بعير إلى مطاحن نهر العاصي في منطقتي (الجرنية والرملية)، وبعد إنجاز طحن الحبوب، اتجهت القوافل بحمولتها إلى مواقع مضارب القوم، وكانت قرب قرية الخريجة اليوم شرقي سلمية، ولما وصلت قوافل التموين إلى مقربة من شميميس، فاجأتهم فرسان الموالي الكامنون لهم بين الجبال بغزو كثيف، وهنا بدأ فرسان من حماة القافلة، في خطة متزنة، فأخذ بعضهم يجابه فرسان الموالي والبعض الآخر يحث الإبل المحملة باتجاه قلعة سلمية يستجدون بأهلها عندما وصل فارس من عنزة إلى ديار سلمية وهو يصيح (الخيـل يا أهل الخيل يا رعيان العوجة). وخرج الأمير إسماعيل وبعض من رفاقه يستقرون، ثم ارتفع صوته يستحث من حوله لنجدة الأخوة، فهب من فرسان سلمية ستة وخمسون فارساً، واتجهوا إلى سهل ما بين الجبال، واستطاعوا رغم قلتهم أن يردوا فرسان الموالي عن القافلة ويقودوها بكامل حمولتها إلى داخل القلعة، ولكن فرسان الموالي طوقوا سلمية يترصدون من فيها بجموعهم الكبيرة.

وكان من بين بدو عنزة داخل السور امرأة ذات وقار، ولها ولد شاب يمتطي فرساً اسمها "المرمحية" وهي من الخيول المشهورة بالسبق، خافت هذه المرأة، أن يقع بسبب دخولهم القلعة في سلمية سوء لساكنها، فاستدعت ولدها وقالت له: " اعلم أن المرمحية فرس سباق لا تلحق" وصعدت مع ابنها إلى أحد الأبراج، وأشارت إلى الطريق التي تريد أن ترسله فيها لإعلام قومهم بحالهم، وبما وقع لهم مع الموالي والسلميين.

وفي الصباح الباكر كان الموالي بأعدادهم الضخمة لا يزالون حول سلمية، إذ فتح باب القلعة على حين غرة، وانطلق منه فارس شاب ممتط فرساً سباقاً، ولم ينتبه له فرسان الموالي إلا وقد قطعهم لمسافة أيقنوا بعجزهم عن اللحاق به، وعرفوا أن وراء هذا الشاب جموع عنزة ستأتي لفك الحصار عن أبناء قبيلتهم والموت لكل الموالي، فصاح عقيدهم: " هلموا نعود والله لئن أتى فرسان عنزة فلن يبقى منا واحد" وهكذا بدأ فرسان الموالي

ينسحبون فارين الواحد تلو الآخر، ولم تمض سوى ساعات قليلة، حتى امتلأ سهل سلمية بفرسان عنزة، وكلهم يهزج بحياة "رعيان العوجة" ويثني على الصداقة " السلمية-العنزوية" ودخل الأمير سليمان المرشد وهو شيخ عنزة على الأمير إسماعيل يشكره ويسميه "أخي" وكان لتلك الكلمة صدى إذ أصبح كل فرد من قبيلة عنزة أخاً لكل فرد يسكن منطقة سلمية، بشكل يدافع عنه وهو واجب الأخوة.

فبتلك الأريحية كان سكان سلمية الأوائل يعاملون من هم حولهم، وبتلك الشهامة كان بدو الديرة وقبائلهم قبيلة بعد قبيلة ترتبط مع السلميين برباط الأخوة والاحترام، حتى غدا سكان سلمية ذوي مهابة واحترام مبعثها شهامتهم وقوتهم وحسن معاملتهم))¹⁰¹.

((أغار أحمد بيك أمير إحدى قبائل الموالي على بدو عنزة التابعين لسليمان المرشد شيخهم، واستطاع أحمد بيك أن يفوز بماشية عنزة الذين هبوا بدورهم لاستعادة مواشيهم، وكانوا يقطنون غربي قرية عقيربات على أرض الخريجة اليوم، وكان على رأس عشائر عنزة شيخهم سليمان المرشد، لحق فرسان عنزة غزاة الموالي في موقع قريب من تل التوت اليوم، حيث دارت رحى معركة، كان الموالي يدافعون عن الغنائم وينسحبون بها، واستطاع فرسان عنزة استعادة ما فقدوه من خلال المعركة، وأخذوا يطاردون فرسان الموالي، حتى إذا قطعوا أرض تل الشيخ علي وأصبحوا في أراضي بركان أي أصبحوا في أراضي سلمية، صاح سليمان المرشد لأحمد بيك متكلماً باللهجة البدوية قائلاً: يا خوي أحمد إنك سلمت، لا تهرب أنت في أمان لأنك دخلت أرض السلامة، ويجب أن تعرف أن سليمان الخنزير بردان وأود الغزوة منك. معنى ذلك أن كلا من المتخاصمين احترما الأرض التي دخلها أثناء عراكهما، حتى أن أحمد بيك أرسل فروته إلى سليمان المرشد ليدراً عن نفسه البرد، وأخذا يتعاملان كأنهما ليسا في حالة حرب وخصومة، وفعلاً فض القتال، وعاد كل قوم إلى مواطنهم))¹⁰²

¹⁰¹ - سلمية في خمسين قرناً .. محمود أمين .. ص 166 و 167

¹⁰² - سلمية في خمسين قرناً .. محمود أمين .. ص 168 و 169

في بداية القرن الماضي طاردت السلطة العثمانية أبناء سلمية، وقد أقت القبض على العديد من وجهاء المنطقة وسجنوا في قلعة دمشق، ومات في السجن بعضهم، وأعدم عدد منهم في السجن، وأغلب رجال منطقة سلمية تعرضوا للمطاردة والمضايقة الشديدة ففر بعضهم إلى حماه وحمص واختبؤوا بظل أصدقائهم، والعدد الكبير من المطلوبين فروا إلى البادية واختبؤوا بظل القبائل الموجودة فيها لمدة تجاوزت سبع سنوات قضوها متنقلين بين بيوت العشائر، وكانوا يلقون كل حماية وضيافة وتعاون، وفي حال مجيء دوريات السلطة العثمانية لإلقاء القبض عليهم، كانت القبائل تحميهم وتنذرهم قبل وصول خيل السلطة إلى المنطقة الموجودين فيها، وهناك مغارة في جبل البلعاس تحمل اسم "تامر" وهي المغارة التي عاشوا فيها وكانت مركزاً لاجتماعهم في المنطقة، وقد هاجمها رجال السلطة واستطاعوا قتل بعض الفارين على أبوابها، لذلك بقيت تحمل اسم رجال من سلمية، ولتكون دليلاً واضحاً ودائماً على الأخوة والمحبة التي كانت بين العشائر وأهل سلمية.

- عندما كانت العشائر البدوية الموجودة في أطراف سلمية، تتعرض للمضايقات من قبل السلطة العثمانية ومن بعدها السلطة الفرنسية، كانت سلمية مأوى للفرارين من وجه السلطة، ومكاناً يعيشون فيه لفترة تقصر أو تطول حسب مجريات الأمور، وكم ضمت سلمية العديد من الفارين من وجه الحرب والظلم والقهر كالأرمن والشركس، وأهالي مدينة حماه، وقد وجد كل قادم إلى سلمية الملاذ الحقيقي له، وتمكن خلال إقامته من ممارسة حياته الطبيعية كأنه في بلده الأصلي.

- حكاية رددت صداها الأيام وكانت من أصدق الأمثلة على التعاون والمحبة بين أهل منطقة سلمية والجوار، وتبدأ الحكاية في منتصف القرن الماضي حين وقعت مشاجرة عادية بين عائلتين متجاورتين بالسكن، غير أن المشكلة الصغيرة تطورت إلى قتال حقيقي بالأسلحة سقط نتيجة ذلك القتال وعلى فترات متقاربة بعض الضحايا من الطرفين، القي القبض على عدد من المشاركين وفر البعض من وجه السلطة، ومن الذين فروا إلى الشرق وإلى منطقة البلعاس بالتحديد، أربعة أشخاص منهم ثلاثة من عائلة واحدة، وآخر صديق لهم اتهم بالتحريض وهذا الشخص لا يزال على قيد الحياة

وهومن روى الحادثة كما عاشها وهو يقول: (كنا أربعة أشخاص فارين من وجه السلطة بسبب الأحداث التي اندلعت في ريف سلمية، أنا كنت متهم بإثارة المشاكل والتحريض على الاقتتال، وأنا صديق لشخص فار برفقتي، والثلاثة الباقية اتهموا بالاشتراك في المعارك، ولذلك طاردتنا السلطات طويلاً، كان ذلك في 15 آذار من عام 1948م، اتجهنا شرقاً نتخفى في النهار، ونسير في الليل، حتى وصلنا إلى منطقة (جب ريان) ونزلنا ضيوف على المرحوم " ليل ريان" وهومن عرب العقيدات، نمنا ليلتها في ضيافته وعند الصباح زودنا ببندقيتين وذخيرة كافية، ورافقنا دليل من قبله يدعى (حسن السويعد) لكي يوصلنا لمنطقة منازل الأمير (عبد الإبراهيم) أمير الموالي وزعيمها، توجهنا مع الفجر إلى شليلة الهيكلية التي وصلناها عند الظهر، وقد بدأ الثلج بالهطول بغزارة وتواصل، مما دعانا للالتجاء لريف صخري احتمينا به من الثلوج والبرد المرافق، جمعنا حطب من نباتات العوسج (يومها كانت منطقة البلعاس مليئة بالأشجار والعوسج والشيخ والزعتر)، أشعلنا النار وجلسنا حولها ننال من دفئها الشيء القليل، وبقينا ساعتين حتى خف هطول الثلج، وانكشفت الدنيا من أمامنا واستطعنا رؤية التلال وسفوح جبل البلعاس، ثم تابعنا السير ووصلنا إلى (صرة أبو الضهور) وهي القريبة من طريق تدمر حلب، ومن بعيد لاحت لنا سيارتين متوجهتين بسرعة نحونا، تأكدنا أنهم من الهجانة قادمين إلينا، أسرعنا باللجوء إلى منطقة صخرية صعبة المسالك، واختبأنا خلف الصخور، اقتربت السيارات منا وأطلق الهجانة علينا بضع طلقات من الرصاص، رددنا عليهم بالمثل توقفت السارات نزل الجنود منها انتشروا في المكان، وبقوا على حالتهم تلك بدون إطلاق نار ثم عادوا ركبوا سياراتهم وغادروا المكان، رفيقنا حسن أظهر الخوف والتردد من المتابعة معنا وقال: أنا خاطف بنية من الموالي وتزوجتها، وأهلها هادرن دمي وأخاف من المتابعة معاكم، قلت له: ((لا تخف يا رجال يسواك ما يسوانا وإن شاء الله ما يصير إلا الخير، رضخ لطلب البقاء برفقتنا، وأكملنا المسير حتى وصلنا إلى (خروم شاعر) وكانت الحروب تلك الأيام ناشبة بين عنزة والموالي، وعلى سفح هضبة روض قطيع من الأغنام يرتاح ويجواره جلس شاب في مقتبل العمر يعزف على مزماره، قلت له من بعيد: يا راعي الدواب.. تعال إلينا أريد أنشدك عن حاجة.. رد علي بصوت عال:

هلا بيكم.. تعالوا أنتم اقتربوا.. قال الدليل: يا ويلي هذا ابن باشا أخو الأمير إبراهيم.. والله ليذبحني.. قلت له: لا تخف أنت معنا.. ولما اقتربنا من الشاب وصرنا على بعد أمتار قليلة منه قال بغضب: أنت ابن سويد وتوطي ديرة الموالي.. ألا تعرف أن دمك مهدور عندنا.. قلت موجهاً كلامي للشاب: يا أمير هذا بوجهنا ونحن بوجهك.. أطرق قليلاً ثم قال: أكيد يا بن سويد أنت الحين بوجه أهل العوجة من هالحين حتى بكره العصر، عقب العصر مالك وجه بعدها، شكرنا الشاب وجلسنا حوله وسألناه عن بيت الأمير عبد الإبراهيم فقال: كل بيت تشوفونه من الموالي هو بيت الأمير عبد الإبراهيم.. نهضنا من جلستنا وصرنا مع الشاب، وتوقف الدليل عن المسير وقال: أنا أوصلتكم لمبغاكم وللأمان وأريد العودة لأهلي، ودعناه وشكرناه على المساعدة واقتربنا ساعتها نحن اتجهنا إلى ديار الموالي، وهو اتجه غرباً عائداً إلى أهله، لم يطل الوقت حتى لاحت لنا بيوت الموالي والتي يقدر عددها بأكثر من مئة بيت شعر، وصلنا إلى بيت الأمير ودخلنا المضافة وقبل السلام لففت ساقي العمود لنعلن للمضيفين إننا نطلب الحماية والأمان، سمعنا صوت زوجة الأمير (رفعة أم طراد وأخت الأمير عبد الرزاق): ابشروا يا وجوه الخير، وصلتم وأنتم ضيوفنا.. هلا بيكم يا أهل العوجة.. جلسنا في المضافة وقدموا لنا القهوة ثم الطعام، وجاء الأمير سلم علينا ورحب بنا، وهو يومها نائب في البرلمان ولديه جلسة مستعجلة خلال يومين، وهو يجهز نفسه للسفر هذه الليلة، لذا لم يطل به المقام في المضافة اعتذر منا على ضرورة تجهيز نفسه للسفر وخرج من المضافة، وكان الليل قد بدأ يخيم على الأرض وبدأت المصابيح توقد في البيوت، ولاح من بعيد أضواء سيارات قادمة باتجاه المضارب، ولما اقتربوا من البيوت تيقنا بأنهم هجانة ودرك قادمين إلى مضافة الأمير وقبيل وصولهم صاحت أم طراد: يا أهل العوجة انحاشو لبيت الباشا لحين تولي " المكلبة" وفعلاً خرجنا من المضافة والتفنا من وراء البيت وذهبنا إلى بيت الباشا وجلسنا في مضافته، في هذه الأثناء عاد الأمير عبد إلى المضافة ولما لم يجدنا فيها صاح بأعلى صوته: وين أهل العوجة !!؟ وين خطرنا !!؟ ردت عليه زوجته "أم طراد": حولناهم لبيت الباشا لحين يولوا المكلبة.. قال الأمير بغضب: ما هو عبد الإبراهيم اللي ينحاش خطاره.. صوتي عليهم يرجعون ها لحين للمضافة قبل ما

يدخلوا العسكر، وفعلاً رجعنا بسرعة وما أن اقتربنا من الأمير حتى قال: يا أهل العوجة أنتم برقبة عبد الإبراهيم، وما في حدا ينحاش من حمايتي.. قلت له: يا أمير نحن جيناك وعارفين مقامك، أنت أمير الحمية والكرم ونحن بحمايتك، قال: ادخلوا والهرج لبعدين، ودخلنا المضافة قبل وصول الهجانة إليها، وجلسنا في صدر البيت، ودخل أربعة من جنود الهجانة، واحد منهم ضابط (ملازم أول) من هجانة تدمر اسمه بركات، ورقيب اسمه فوزي التركاوي (التركي من عرب الموالي)، ومعهم عريف اسمه أحمد القلبة، وعسكري واحد، وبقية الجنود وعددهم أكثر من أربعين جندي بقوا عند السيارات ولم يدخلوا إلى البيوت احتراماً لمكانة الأمير عبد الإبراهيم، وبعد شرب القهوة وتناول العشاء قال الضابط: سعادة الأمير أهل العوجة هدول كفار، دابحين الإسلام وهريانيين من الدولة، وجانا علم صدوق أنهم وردوا عليك، وباسم الدولة نطلبك تسلمهم لنا. نهض الأمير من جلسته واقفاً وعلائم الغضب ترتسم على وجهه وقال: يا بركات.. لا تشنع بعباد الله.. بلادنا ما فيها كفار كلها توحد الله.. أهل العوجة بيهم دين وتقوى أكثر من غيرهم، وأهل العوجة ما يجوني، وسمعت أنهم قصدوا راكان المرشد أخوهم بالدم، وسياراته نقلوهم للعراق، وهدول الخطار أجونا المغرب هم شركات مع البوحسن بالشليلة، غابت عليهم الشمس عاد لفوا علينا، وما هو عبد الإبراهيم من يعطي خطاروا.. عندك هرج غير ها الهرج سولف بيه، وإلا تعشى وتمشى.. وأثناء كلامه مع الضابط لاحظ الرقيب يشير إلينا ويغمز بعينه للضابط أن هؤلاء هم المطاريد مكذباً أقوال الأمير، عندها ارتفع صوته أعلى مما كان وتابع كلامه موجهاً إلى الرقيب هذه المرة: أبو خالد تغمز بعينك في بيت عبد الإبراهيم.. للحد أبوك يراود الجحاش.. والله لولا حرمة البيت لضل أضربك بالعمود لحين تشوف قيمتك.. قم يا الله سود الله وجهك.. انقلعوا بره.. اركبوا سياراتكم وإياكم ترجعوا لهين بهذا الخصوص، وبسرعة خرج الضابط وخلفه جماعته وإلى سياراتهم ركبوها وغادروا المنطقة، عاد عبد الإبراهيم ليجلس معنا ونادى زوجته قائلاً: يا رفعة.. أنت أخت عبد الرزاق وأم طراد.. يوم جيت فرنسا تريدنا تسحبين الفرد على كوز المستشار الفرنسي وتقولي له: البيت ما في حدا وطاه من يوم هارون الرشيد، وها السع بركات أبوه جرجي يبيع البصل على بغير تريدن تخبين خطاري منه.. ردت عليه قائلة: يا

أبو طراد ترى أني خطيت ومنك ومن أهل العوجة السماح.. رديت عليها أنا: يا أمير رايتك وراية أم طراد بيضا وأنت ما قصرت مع الهجانة، ومعروفك معنا بربقتنا طول العمر.. قال لي وهو يبتسم: نحن وأهل العوجة واحد، والأمير سليمان أخوي وبالمجلس حنا واحد وكلمتنا واحدة، وفي البرية كذلك نحن واحد، وبقينا بعد ذلك في ضيافته مدة عشرين يوماً لقينا فيها كل شيء جميل من كرم ومحبة، كأنا في بيوتنا ولم نشعر لحظة بأي اختلاف بالمعاملة، ولما جاءنا خبر عودة المرحوم عبد الله تامر من فلسطين، حيث كان وقتها يحارب فيها مع فوزي القاوقجي، وكان رئيس المحكمة العسكرية، قلنا للأمير عبد الإبراهيم: نحن نشكرك على كل ما قدمته لنا من حماية وتكريم، واليوم وصلنا خبر أن أميرنا " أبو صائب" عاد إلى سلمية قادماً من فلسطين، ولذلك نريد ننطح سلمية.. رد علينا قائلاً: هلا بيبكم من يوم ملفاكم لعندنا ليوم رجعتكم لسلمية سالمين، بلغوا سلامي وتحياتي للأمير وقل له لا يواخذنا أن قصرنا بحقكم، أنتم بوجهي لحين وصولكم سلمية.. قلت له: يا أمير والله أنتم زدت علينا الخير وما يجي منكم أبد تقصير، والله يعزكم ويحميكم.. ودعناه وغادرنا مضارب الموالي وبرفقتنا ثلاثة فرسان مسلحين لحمايتنا، ساروا معنا حتى وصولنا مشارف بري ودعونا وعادوا أدرأجهم إلى البلعاس..).

- روى هذه القصة أحد صيادي الصقور من سلمية، الذين يفتشون عن صيد لهم في البادية السورية في خريف كل عام قال: كنا في سيارتين نسعى وراء قنص الصقور في منطقة شرق تدمر، وبعد عدة محاولات تفتيش عن الطيور في الأراضي الوعرة لم نوفق يومها وطلبنا مكاناً نستريح فيه من عناء ركوب السيارة وارتجاجها بنا، رأينا أثناء بحثنا مضخة ماء تعمل وتسقي أراضي زراعية، توجهنا صوبها ونزلنا من السيارات وجلسنا على عشب أخضر بجانب المضخة، وبدأنا نحل أمتعتنا ونخرج الطعام استعداداً لتناول وجبة الظهيرة، جاءتنا سيارة بيبك أب وفيها رجل سيني يرافقه شاب في العشرين من عمره، توقفت السيارة بجانبنا.. ألقوا علينا التحية والسلام ثم دار حديث بيننا عرفنا من خلاله أن هذا الرجل هو صاحب الأرض التي نجلس على ترابها، ولما علم أننا من سلمية زاد ترحيبه بنا، وجلس معنا بعد أن أسر لولده بكلمات جعلته يركب السيارة ويغادرنا سريعاً، وبعد حوالي الساعة عادت السيارة وفيها الولد

يحمل بيديه دلال القهوة المرة، وكمية كبيرة من اللبن والزبدة والفواكه قدمهم لنا، أمضينا الساعات حتى اقترب المساء موعد الصيد، ركبنا السيارة وتركنا المكان في جولة بين التلال والوهاد، ولما غابت الشمس وانتهى وقت الصيد ذلك اليوم وكنا قد ابتعدنا عن الأرض المزروعة أكثر من عشرين كلم، جاءتنا السيارة من جديد وفيها الشاب وحده هذه المرة وقفت السيارة إلى جانبنا ونزل الشاب وهو يقول: الوالد يريدكم تسهروا عندنا وتنامون في بيتنا، حاولنا الاعتذار ولكن إصرار الشاب على مرافقتنا جعلنا نوافق ونعود مع الشاب إلى البيت، أمضينا تلك الليلة بعد العشاء في أحاديث وحكايا كان منها هذه الحكاية التي رواها لنا صاحب البيت عن ذكرياته مع أهل سلمية وقال: في خمسينات القرن الماضي توفي والدي وأنا لا أزال شاباً في أواخر العشرين من عمري، ترك لنا الوالد الأرض التي شريتم من مائها وهي حوالي ثلاثة آلاف دونم، في ذلك الوقت كانت تجري عمليات تشييت وتطويب الأراضي الميرية وكل من وضع يده على الأرض تثبت باسمه، ولما كانت هذه الأرض بمثابة واحة ضمن البادية، وفيها نبع ماء غزير تدفقه، طمع فيها أحد شيوخ القبائل من أصحاب النفوذ ولديه عشيرة كبيرة ولها تأثير على المنطقة كلها، حاول في البداية شراء الأرض مني ولما تمنعت حاول أخذها بالإرهاب والقوة، وبقيت أقاومه وأنا لا قبيلة قوية لدي تحميني ولا عائلة لها نفوذ تدافع عني، ونحن من عشيرة ضعيفة في المنطقة ويقال أن جدي جاء من شمال سورية ومن قبيلة كبيرة، غير أنه قتل رجلاً من قبيلة صديقة فحكم عليه بالنفي إلى هذه المنطقة، جاء وعائلته المكونة من أربعة أشخاص، والدي وأخت له مع أمهم، وبدأت حياتهم هنا بشكل ضعيف واهن يتلقون الحماية والمساعدة مرة، وعدة مرات يظلمون ويضطهدون، وهكذا جاءني رجال الشيخ وطرردوني من الأرض بعد ضربي وزوجتي، أصبحت بعد هذه الحادثة وحيداً لا أملك بيتاً أنام فيه، حاولت جهدي مع الحكومة ووجهاء المنطقة أن ينصفوني ويعيدوا لي أرضي، لكن محاولاتي باءت كلها بالفشل، وفي أحد الأيام واليأس يأكل مني أحلامي ومستقبلي سافرت إلى حمص بحثاً عن حل هناك، وحاولت تقديم شكوى ضد الشيخ المغتصب غير أن المحامي عندما سمع اسمه اعتذر وأخبرني أن هذا الرجل لا يقدر على مجابته أحد، ونفس الكلام سمعته من القاضي الذي قدمت له شكوى كتبها لي أحد

كتاب الاستدعاءات حول السرايا، غير أنه أضاف إلى كلامه ما معناه أن سلطة هذا الشيخ كبيرة في الحكومة وبين القبائل، وإذا أردت نيل حقك فعليك الشكوى لرئيس الهجانة لعل وعسى يوافق على مساعدتك، وفعلاً عدت إلى تدمر وفي صباح اليوم التالي ذهبت لمركز الهجانة وطلبت مقابلة رئيسها، وانتظرت حتى قدومه فسمح لي بمقابلته، دخلت غرفته وعرفته بنفسه وحكى لي قصتي مع الشيخ المغتصب لأرضي، كان المقدم يصغي لكلامي بكل اهتمام وهو صامت بدون أن يقاطعي ولو مرة واحدة، ولما أنهيت كلامي معه قال لي: هذه كل الحكاية.. ألا توجد أسباب أخرى أنت تعرفها لتصرف الشيخ بهذه الطريقة، ولما أجبتته بالنفي قال: إن شاء الله يصير خير أمهلني أسبوعين وانتظر مني جواب.. وخرجت من عنده وقد زاد احباطي ويأسي وأنا أكلم نفسي بأن هذا الرجل مثل غيره وتصرفه معي عادي ينم عن تأجيله لأمره دون نتيجة، وأثناء خروجي من مكتبه سألت جندي عن اسم قائد الهجانة فقال لي اسمه (أنور تامر) وهومن سلمية، ومضت الأيام لأكثر من شهر ولم يأتني أي خبر من الهجانة، وخفت إن ذهبت ثانية للسؤال عن الموضوع أن يغضب مني ويعاقبني فحاولت نسيان الأمر، وفي إحدى الأيام جاءني عسكري من الهجانة وقال لي: سيادة المقدم يطلبك غداً الساعة العاشرة صباحاً ينتظرك في مكتبه، وذهبت في اليوم الثاني أقصده وحين قابلته قال لي: موضوعك مشي حالوا روح سجل أرضك واشتغل فيها ولن يعترضك أحد.. مع السلامة، ولم يسمح لي بشكره بل أعاد القول: الله معك مع السلامة، وخرجت من عنده وأنا بين مصدق ومكذب، توجهت بسرعة لأرضي فوجدتها خالية، أعدت بيتي إليها وسكنتها وسارعت إلى السرايا أكمل عملية تسجيلها، وفي إحدى الأيام وأنا في سوق تدمر قابلت أحد رجال الشيخ وكنت أعرفه من قبل فقال لي: مبارك إرجاع الأرض لك لقد سمعت الحوار الذي دار بين قائد الهجانة والشيخ، لم يحتج الشيخ إلى جهد حتى يقتنع بإعادة الأرض لك، وقد قال له المقدم: يا شيخ أنت أخ وغال علينا، وأرض محمد العيسى بتمنى ترجعها لصاحبها، وما عرفت عنك الظلم.. فرد عليه الشيخ: يا أمير لو طلبت أولادي كلهم فداك وما يغلون عليك، الأرض خلص رجعت لمحمد إن كنت أنا صاحبها أو هو صاحبها ما في مشكلة، يفلحها ويزرعها ويسقيها، ويكمل تسجيلها وإذا حدا مانعه هو بوجهي

وبحمايتي، ومن يومها عادت الأرض لي وزرعتها وأكلت خيرها لسنوات طالت حتى اليوم، وعزوتي اليوم وعزوة أهلي يعود الفضل فيها للأمير أنور تامر، وفي الثمانيات من القرن الماضي ضاقت الأحوال الزراعية بنا، ولم يعد مدخول الأرض يكفي عائلتي الكبيرة، فتحولنا لتهريب الدخان من الحدود اللبنانية نشترهم ونقلهم للرقّة والدير، وقد جنينا أموال طائلة من وراء ذلك، وفي إحدى المرات أغراني مرافقي بالذهاب إلى الرقة عن طريق حمص سلمية، وفعلاً اشترينا حمل دخان وقصدنا به الرقة عن طريق سلمية، وقبل وصولنا لسلمية اعترضتنا سيارة جمارك هربنا منها وطاردتنا وكان الوقت بعد منتصف الليل دخلنا سلمية أملين أن نتخفى عن أعين الجمارك وننقذ الحمل، ولكن سيارة الجمارك تابعتنا ودخلت سلمية خلفنا، تهنا في الشوارع ودخلنا أحد الشوارع في الحي الشمالي دخلنا فيه وكانت نهايته مغلقة، أوقفت السيارة وأطفئت الأضواء وانتظرت لمدة ساعة لم يأتنا أحد، وطرقت أول باب قريب منا، وبعد تكرار الطرق خرج رجل ستيّني، رحب بنا ودعانا للدخول لبيته، لبينا الدعوة ودخلنا نستريح وأعد لنا الشاي وقدم لنا طعاماً بسيطاً، فطلبت منه أن يستودع عنده حملنا كأمانة نرجع بعد شهر لنستردها فوافق على مضض، نمنا تلك الليل بضيافته، وفي الصباح غادرنا سلمية وعدنا إلى تدمر، وبعد شهر من ذاك التاريخ عدت إلى سلمية برفقة اثنتين من أولادي، وقصدنا البيت الذي استضافنا من قبل شهر، طرقتنا الباب وخرج الرجل نفسه، رحب بنا ودعانا إلى الدخول وفي غرفة الضيوف كان هناك شخص جالس يشرب الشاي، وبعد جلوسنا والسلام والكلام طلبنا الأمانة من صاحب البيت، لكنه أظهر التعجب والاستغراب وأنكر الأمانة بالمطلق، حاولت معه بشتى الوسائل والطرق، ولكنه كان يزداد اصراراً على عدم معرفته بموضوع الأمانة، خرجنا من عنده واليأس مطوق أفكارنا، وكنت أعرف شخصاً من سلمية كان يقيم في تدمر ولي علاقة ممتازة معه، سألت عنه طويلاً حتى وصلت إليه وعرضت عليه الموضوع بادر لمساعدتي، وأخذني إلى شخص كبير في السن وتبدو عليه دلائل الوقار والهيبة، عرض قصتي عليه فوافق على المساعدة رغم أن الموضوع مخالف للقانون، ذهب معنا إلى بيت الرجل (ناكر الأمانة) وقابله وحاول معه كثيراً دون فائدة، وبعد هذا الفشل حاول صديقي مساعدتي عن طريق عدة أشخاص من سلمية،

لكن ناكر الأمانة لم يستجب لأي طلب، وأصر على موقفه، وغادرت سلمية بعد إقامتي فيها لمدة أسبوع وخلال وجودي في سلمية علمت أن ناكر الأمانة يملك مزرعة خارج سلمية ويقوم فيها ولده الكبير، لم نبتعد كثيراً عن سلمية، وانتظرنا حتى حلول الليل فقصدنا مزرعة الرجل ووجدنا فيها ولده نائماً فأخذناه معنا بعد ترك ورقة في مكان نومه مكتوب عليها (ردوا الأمانة لأصحابها) وابتعدنا قاصدين تدمر، وفي الأيام التالية علمنا أن والد الشاب الموجود عندنا يبحث عنا في كل مكان وسلمية قد ضجت بخبر الاختطاف دون علم أهلها بالأسباب الداعية لهذا الفعل، وصل بعض الناس إلينا يسألون عن الشاب فأنكرنا وجوده لدينا، وبعد مرور أكثر من شهرين على حادثة الاختطاف وصلنا خبر بأن بعض وجهاء سلمية في طريقهم إلينا طالبين عودة الشاب لأهله، عندها أخبرت أولادي وأحفادي بأن يقطعوا عليهم الطريق عند مفرق الديرة والواقع على طريق تدمر دير الزور ويمنعوهم عن الوصول إلينا وفعلاً قطع الأولاد الطريق ومنعوا مرور السيارة القادمة من سلمية، وأخبروا ركاب السيارة بضرورة العودة من حيث أتوا وما يطلبوه ليس عندنا، غير أن أحد الركاب قال لهم بعد طول مجادلة ومحاولة للسماح للسيارة بالمرور قال: قل لمحمد العيسى (أن الأمير محمد الملحم جاي من سلمية لضيافته، وما كنت متوقع أن يكون استقباله للضيوف بهذه الطريقة..) ولما سمعت ما قاله ولدي ضربت رأسي بيدي وقلت لولدي: انفضحنا قدام رعيان العوجة هيا بنا، وبسرعة ركبت السيارة وقصدت سيارة السلامة، وصلت ورحبت بالركاب كضيوف رغم وجود والد الشاب "غريمي" معهم، ودعوتهم إلى البيت، واستقبلتهم في البيت كما يجب وقدمت أول فنجان قهوة للأمير (أبو ملحم) أخذ الفنجان من يدي ووضعه أمامه على الأرض (دلالة على رفضه شرب القهوة قبل تلبية طلبه) فقلت حينها: أشرب يا أمير فنجانك، واللي جيت وراه رح تأخذه إن شاء الله.. قال الأمير: آخذه على كيفي وحسب الأصول.. رديت عليه: إن شاء الله تأخذه كما تريد، بس عندي طلب صغير من رفيقكم أسألوه لي عند أمانة أولاً، وكيف ما كان جوابه ما في مشكل.. أطرق والد الشاب ثم قال بصوت ضعيف واهن: أي نعم له عندي أمانة وأنا طمعت فيها وأنكرتها، وقد بعثها لواحد اسمه.. بمبلغ خمسة وستين ألف ليرة، واقتسمت المبلغ مع فلان كان حاضر يوم طلبت الأمانة، قلت له:

كلفة البضاعة علي مئة وخمسين ألف ليرة، مئة مسامح فيها كهدية للأمير أنور تامر، والخمسين الباقية مسامح فيها كرمال زيارة الأمير أبو ملحم لبيتي، والشاب عندي بتأخذه معكم معزز مكرم، قال الأمير محمد: حياك الله فقد وفيت وكفيت، والله يسلمك ويعوض عليك، والرجال كان جايب معو قيمة البضاعة ليفدي فيها ابنه وها هي تحت طلبكم.. قلت له: خلي فلوسك معاك، واعطيهم لوجوه الخير اللي جاي معهم ليوزعوها على الفقراء والمحتاجين..

• وهذه حكاية أرسلها إلى صفحة نت السيد تامر تركي في تعليق له على مقال بعنوان "المير سليمان انقلها كما قرأتها: كان الأمير سليمان سنداً للمظلوم.. حدث خلاف بين عشيرة "البوحسن" وعشيرة "الإبراهيم الحديديين"، حيث كان البوحسن يقيمون في مطقة الحمرا، وقد ضيق عليهم الحديديين فاضطروا للهجرة من الظلم الذي وقع عليهم، واتجهوا في مسيرهم وعلى رأسهم "إبراهيم أبو طوس" شيخ البوحسن، إلى قرية "تلعدا" وسكانها من الشركس الوافدين حديثاً إلى منطقة سلمية، وصلوا القرية ونشروا أغنامهم في سهولها المزروعة، فضج من تصرفهم هذا أهالي القرية واشتكوا "لثريا بيك" وكان من وجهاء المنطقة وصاحب أملاك تمتد إلى زغرين وبعض القرى من حولها، عندها أرسل ثريا بيك رجاله لحل المشكلة، ولما وصل رجال ثريا بيك إلى المنطقة وشاهدوا الأغنام تأكل المزروعات والشجر الصغير تكلموا مع رجال البوحسن طالبين منهم مغادرة الأرض المزروعة، عندها سألهم الشيخ إبراهيم عن ضرورة مقابلة ثريا بيك صديقه القديم للتفاهم معه، فوافقوا على مرافقة الشيخ إبراهيم إلى مضافة ثريا بيك، والتقى الصديقان في المضافة وقص الشيخ إبراهيم ما حدث لعشيرته وما لاقوه من ظلم "ابن كرخ" شيخ الحديديين، وبعد انتهاء الشيخ إبراهيم من روايته قال له ثريا بيك: ابشر بالخير ولا تهتم.. غداً نزور الأمير سليمان وهو صاحب حق وناصر كل مظلوم، وإن شاء الله يجلبك حقك من الحديديين. وفي اليوم التالي توجهوا معاً إلى سلمية قاصدين مضافة الأمير سليمان حيث التقوا الأمير فيها وقد رحب بهم ترحيباً حاراً، وأنصت إلى حكاية الشيخ أبو طوس حول الخلاف بين الحديديين والبوحسن، وختم الشيخ كلامه بقوله: هذه هي علومنا يا أمير ونحن نأمل منكم إرجاع حقوقنا وانصافنا. قال الأمير سليمان: والله نقدر على إرجاعك إلى الحمرا وتحت حمايتنا

وشيخ الحديدبين صديق قديم ولا يرفض لنا طلب.. لكن حقناً للمشاكل في المستقبل أقول وصلت وخاب طلابك.. سوف تقيم أنت وربك في منطقة سلمية وعلى الرحب والسعة وتحت حمايتنا، وما يصيبك وعشيرتك يصيبنا، وسأعطيكم أرض تكفيكم، وفعللاً أعطاهم الأمير رحمه الله، قرية عرشونة أعطاها لفخذ البو ظاهر، وقجية والخريجة للبو مشهد والبو ظاهر، وتل عدمه للبو عواد، وقد سكنوا المنطقة حتى اليوم، وبعضهم هجرها نتيجة بعض الخلافات بين العشيرة نفسها. وفي إقامتهم في منطقة سلمية بجوار السلامة شكلوا لحمه وطنية كبيرة، وعاش الجميع كأسرة واحدة يجتمعون على المحبة والمودة والخير والسلام.

هذه بعض الأمثلة الحقيقية عن العيش المشترك بين أهل سلمية والجوار، وفي هذه الأمثلة يتبين قدر الاحترام والتقدير المتبادل بينهم، هي الحياة القاسية التي عاشها أجدادنا على هذه الأرض النقية، ورغم قسوة العيش إلا أن العلاقات الطبيعية مع الجوار كانت بمثابة النسيم العليل في يوم صيف حار..

المصالحة والتحكيم في منطقة سلمية

قال الإمام علي: رحم الله امرأً أحيا حقاً، وأمات باطلاً، ودحض الجور وأقام العدل بين الناس.. وقال الإمام جعفر الصادق: أحب أعمال الخير إلى الله تعالى إعادة إحلال السلام بين الأطراف المتنازعة.. إذاً غاية الإصلاح ما بين الناس وتقريب وجهات النظر أهداف متجذرة في عقول ونفوس أهل سلمية منذ مئات السنين، والإصلاح والتحكيم ليست حالات طارئة أو وليدة ظروف معينة، والحقيقة هي من عمق أعماق العقيدة التي يؤمن بها أهل سلمية. منذ بداية تشكل المجتمع السلموني الحديث أخذ صفة المرجع لحل الخلافات، والقاضي الذي يحكم بالعدل والعرف السائد بين القبائل ذلك الوقت، وقد لعب أهل سلمية دوراً مهماً بين القبائل المحيطة بهم، بعد نيلهم الثقة المطلقة من خلال صدقهم وشجاعتهم وحكمتهم ووفائهم بالعهد، كل هذا أدى لتكوين صداقات بين سلمية والقبائل الساكنة في المنطقة، وهذه الصداقات كانت السبل السليمة لحل الخلافات وإعادة السلام والوئام بين التخاصمين، وفي داخل المجتمع السلموني كانت تحل النزاعات بين الأفراد أحياناً وبين العائلات أحياناً أخرى داخل المنزل "المضافة"، وبالمنزول كانت تحل المشاكل ودياً وبحضور وجهاء عوائل سلمية،

والمنزول كان يعتبر مكاناً لاستقبال الضيوف طيلة فترة إقامتهم في سلمية، ففي تلك الأيام لم يكن داخل سلمية فنادق ولا مطاعم، والغريب كان ينزل ضيفاً عند معارفه وأصدقائه، وإن تعذر وجود معارف في سلمية يقصد أحد المنازل فيستضاف فيها، ومن خلال علاقات أهل سلمية الجيدة مع أهل المدن (أصحاب المصالح) وعلاقاتهم الممتازة مع القبائل والعشائر المقيمة حول سلمية، ولكون أهل سلمية يعشقون العلم ويتمسكون بالكتاب كتمسكهم برغيف الخبز، لذا كان يتواجد في سلمية عدد كبير من المتعلمين والقادرين على القراءة والكتابة، والاطلاع على كتب الحكمة والفلسفة، مما أكسبهم معرفة ودراية بطرق المصالحة والتحكيم، وفي كل منزل من منازل سلمية تجد حكيماً أو عارفاً أو مصلحاً يلجأ إليه الناس في حل مشاكلهم الخاصة، أوفي سبيل تقديم مشورة خاصة تفيد في دوامة الحياة اليومية، كما أن أهل الريف كانت مرجعيتهم في المصالحة والتحكيم كان المختار والشيخ هما المرجعية لكل أمور الناس، وتطورت وتوسعت حدود المصالحة لتشمل القبائل وما يحدث بينها من خلافات ومشاكل وحروب، كان البعض في البداية يقصدون سلمية طلباً لحل الخلافات والنزاعات.

" خرج الأمير محمد بن إسماعيل لحل بعض مشاكل البدو في موقع شمالي صبرة القرية بين قبائل الموالي الشماليين وبعض فصائل من عنزة أصدقاءه، وبعد إنجاز الموضوع...." ¹⁰³

هذه الفقرة تثبت أن سلمية كانت منذ بداية تأسيسها الأخير مرجعية للمصالحة والتحكيم، وكان الأمير إسماعيل حكماً معروفاً ومشهوراً له بالنزاهة والصدق والحكمة، وجاء من بعده ولده محمد الذي أكمل ما كان يقوم به والده من مصالحات وحل مشاكل بين القبائل البدوية، وكان يسافر إلى القبائل ليحكم بينهم، أو يأتون إليه في سلمية ليتقدموا أمامه بمشاكلهم طالبيين رأيه ومشورته وحكمه فيها، ومع تطور الأيام وتغير الأشخاص الموكل إليهم حل المشاكل، وقبول معظم القبائل والعشائر بقضاء أهل سلمية وحكمتهم، تعددت المرجعيات التحكيمية في سلمية، وتوسعت الدائرة وصار للتحكيم اختصاص، فالتجار لهم مرجعية لها دراية وعلم بالأمور التجارية وتشعباتها الكثيرة، وكذلك في أمور الزراعة والصناعة، والأمور الاجتماعية (زواج، طلاق، خلافات عائلية) ويبقى حل الأمور المفصلية والخطيرة بيد الذين يتمتعون

¹⁰³ - من كتاب (سلمية في خمسين قرناً) تأليف محمود أمين .. ص 178

بالمكانة الاجتماعية الرفيعة، ومشهود لهم بالحكمة والمعرفة والصدق والحيادية، وفي كل الأوقات هذه الشخصيات كانت موجودة وتقوم بعملها بكل دقة وإخلاص.

مصالحات كبيرة ساهم فيها أهل سلمية

- في عام 1921م ثارت قبائل من الموالي على الفرنسيين وهاجموهم، وقطعوا الخط الحديدي وأحرقوا محطات الخط الحديدي، وخاضوا معارك عنيفة جداً مع الفرنسيين انتهت بهزيمتهم، وقد عاقبتهم الحكومة الفرنسية بأن اقتطعت العديد من أراضيهم وأعطتها للحديديين، مما سبب نشوب معارك عنيفة بين الطرفين، ومن أجل وقف الاقتتال بين الطرفين توسط فيما بينهم حكمت الحراكي من وجهاء معرة النعمان، والأمير ميرزا مصطفى من وجهاء سلمية فتوقف القتال بناء على طلب الوسطاء وعقد اجتماع صلح بين الطرفين في مدينة المعرة، وكان الأمير مرزا وحكمت الحراكي وسطاء ذلك الاجتماع الذي أقر معاهدة صلح بين الطرفين ووقع عليها الوسطاء كمحكمين وشهود وذلك عام 1921م.
- لما قامت ثورة حماه وجبل الدروز في خريف عام 1925م ضد الفرنسيين، انضم للثورة الموالي وهاجموا المعرة وفيها سرية فرنسية حاصروها ودارت معارك شديدة بينهم حسمها الطيران الفرنسي، وقد خسر الموالي العديد من رجالهم وانسحبوا إلى عمق البادية بعد خسارتهم لمواشيهم، ثم عادوا بعد فترة غير أن الفرنسيين قصفوهم بالطائرات وشتتوا شملهم، فالتجأ الموالي إلى وساطة (سلمية والمعرة) فتدخلت لدى الفرنسيين وتوصلوا لعقد اتفاق بين الموالي والفرنسيين، أطلق سراح أمراء الموالي المعتقلين لدى الفرنسيين بموجبه.
- عقد مؤتمر صلح في سلمية في 9/6/1931م بين الموالي والحديديين في بيت الأمير سليمان العلي وكان هو الحكم فيه، وأقر المؤتمر الصلح القسري، وقبل أمراء الموالي في هذا المؤتمر دية القتلى منهم، وخاصة دية أمرائهم، تبعاً للمادة وبحضور أمير الموالي الشايش، وشيخ الحديديين نواف الصالح، ومنذ ذلك الوقت صار الصلح بين القبيلتين ودامت أيامه.

- عقد مؤتمر صلح غرب قرية السعن عام 1942م والمحكمون لهذا المؤتمر كانوا: الأمير فاعور رئيس الفضل من قبيلة عنزة، والأمير سليمان العلي نائب الإسماعيلية في قضاء سلمية، وفي هذا الاجتماع نشبت فتنة بين الموالي وبني خالد موضوع الصلح ولعل الرصاص بوجود المحكمين، وانحازت الأسبعة من عنزة إلى بني خالد، وقتل من الأسبعة عدد من الرجال بينهم "صفوك العلي" ابن عم راكان المرشد شيخ عنزة، وتدخلت السيارات المصفحة وفصلت بين الطرفين، وبعد مرور عدة أشهر عقد مؤتمر صلح ثانٍ في حلب كان المحكمون فيه (فواز الشعلان وطراد الملحم، والأمير سليمان العلي) وفي هذا المؤتمر تم الاتفاق على وقف الحرب بين الطرفين والتزام كل طرف بدية قتلاه، ومن ذلك التاريخ عاد السلام والوثام بين الطرفين، واستمر لعشرات الأعوام.

- عقد مؤتمر للمصالحة في دير الزور عام 1929م بين الخرصنة وشمّر، المحكمين كانوا (مجم بن مهيد أمير الفدعان، والأمير سليمان العلي أمير منطقة سلمية) وفي هذا المؤتمر تمت المصالحة بين الطرفين وذلك بواسطة جهود المحكمين وحكمتهم وثقة الأطراف المتنازعة بحيادهم وعلمهم بقانون المصالحة بين القبائل البدوية، ومكانتهم الرفيعة بين القبائل والعشائر.

ما ذكرناه أعلاه يدل دلالة واضحة على الجهود الكبيرة التي قام بها أهل سلمية في سبيل نشر الوفاق والمحبة والتعايش بين القبائل المختلفة، ومن النادر تلك الأيام أن تجري أية مصالحة بدون أن يكون أحد محكميها من سلمية، وقد ذاعت شهرتهم وغطت معظم القبائل، وأصبحت سلمية (مدينة السلام) مرجعية أولى متفق عليها ومشهود لها بالنزاهة والحيادية، وقول كلمة الحق مهما كانت النتائج، ويروى أن قبائل في العراق من شمر تنازعوا مع قبائل من الموالي، وطال أمد الخلاف وسقطت دماء كثيرة، وعجز العديد من القضاة والمحكمين عن حل الخلاف الدامي بينهما، فما كان من رؤساء القبائل إلا دعوة الأمير سليمان والشيخ راكان المرشد إلى العراق حيث قضوا فيها أكثر من شهر استطاع فيها المحكمون حل الخلاف نهائياً، وإعادة الأمن والسلام بين القبائل المتحابة. هذا الدور الذي لعبته سلمية كان دوراً مهماً ومفيداً، زاد فيه احترام القبائل لسلمية وأهلها، وأصبح السلموني يجوب الأراضي الواسعة

والبوادي والمناطق السورية المختلفة، وأينما حل، وفي أي مكان ينزل يجد الاحترام والاستقبال والتكريم، وإن كانت العلاقة بين 8 روحها التي غيبت عن طريق جهلة ومنتفعين من كافة الأطراف..

طارئ لا يدوم، وكما جاءت الظروف غير الطبيعية بسرعة ستزول بسرعة، متى هدأت الأحوال العاصفة وعادت الأمور الحياتية إلى العقلانية وجوهر التشارك بالعيش، والعقلاء من كافة المناطق والاتجاهات ستلعب دوراً مهماً في وأد النزاعات والخلافات، والالتقاء حول المحبة والتعاون والسلام..

مراجع البحث

- عشائر الشام.. وصفي زكريا..
- جولة أثرية.. وصفي زكريا..
- سلمية في خمسين قرناً.. محمود أمين..
- تاريخ الدعوة الإسماعيلية.. د. مصطفى غالب

الفصل الثامن

الخيول من تراث سلمية

أ . غالب المير غالب



كانت علاقة أهل سلمية بالخيول، علاقة متينة وقوية وضرورية. وقد استخدموا الخيول منذ لحظة وصولهم إلى سلمية، حينما وجدوا أن السهول الواسعة والفيافي الخضراء المزدانة بغدران المياه الدائمة، وبالأقنية المنتشرة في منطقة سلمية بحيث تشكل شبكة مياه مهمة تروي أغلب الأراض بالمياه العذبة والصالحة للزراعة، وقد وجدوا اختلاف كبير بين حياتهم القديمة

في الجبال حيث المسالك الصعبة والطرق الوعرة بالصعود إلى قمة الجبل من خلالها، والنزول إلى باطن الوادي أيضاً، وقتها كان من الصعوبة استخدام الخيول، ولم تكن تتوفر إلا لعلية القوم وخاصتهم، وكان يعوض عنها باستخدام البغال بكثرة والحمير لركوبه واستخدامها للتحميل والفلاحة والجر، أما في منطقة سلمية فالأمر كان مختلفاً، ففي الأراضي السهلية الواسعة يلزمها خيول أصيلة لقطعها بزمن قليل، لذلك اتجهوا لتربية الخيول العربية والاعتناء بها واعتبارها جزءاً مهماً في حياتهم الصعبة، وكانت الخيول لديهم نوعان، النوع الأول وهو الجياد التي تقوم بأعمال الزراعة والفلاحة وجر العربات، وهذه الخيول لا يسأل عن أصلها وفصلها، ولكن ينظر إلى الأفضل فيها حسب قدرته على التحمل والطاعة، وأغلب تلك الجياد تسمى (كدش)، ولا يسمح لها المشاركة بالسباقات والاحتفالات جنباً إلى جنب الخيول الأصلية. والنوع الثاني وهو مجال بحثنا هنا، هو تلك الجياد التي تستخدم حصراً للركوب والاستعراض والمشاركة في السباقات وللتطوير وتحسين سلالتها، ومن الضروري معرفة نسب الجواد ونقاء سلالته الخاصة، والتفاخر كان يجري بين أصحاب الخيول، على جمال الخيل ومعرفة سلالتها بشكل واضح وجلي. والخيول التي عاشت في منطقة سلمية بكثرة، حتى اكتسبت بعضها بعد تكاثرها المضبوط لعدة أجيال صفات خاصة بمنطقة سلمية، وصارت تعرف بخصوصيتها السلمونية (التامرية)، وقبل الدخول في تاريخ الخيول في سلمية سنعمد إلى التعريف بالخيول العربية الأصيلة بشكل عام، حتى تكون فكرة واضحة عن أهمية الخيل لدى أهل سلمية.

كانت الخيول على مر العصور التاريخية وسيلة تنقل، وسلاحاً معروفاً أثناء الحروب والافتتال، ومن الطبيعي أن يتراجع دورها مع التقدم الصناعي والتكنولوجي وحلول وسائل نقل عديدة وبتكاليف أقل للتنقل والسفر، ولكن الحاجة للخيول لا تزال قائمة، وانحصرت تربيتها للمشاركة في السباقات الرياضية، والتي يهتم بها في أغلب دول العالم، وربما زادت أهميتها كما زادت أسعارها حتى وصلت لأرقام خيالية، وللخيول أنواع كثيرة يشتهر بعضها بالجمال والبعض الآخر بالسرعة والقدرة على الفوز بسباقات الخيل المعروفة والمشهورة كدربي انكلترا، وتعد الخيول العربية من السلالات القليلة في العالم، وقد سميت هذه السلالة بالعربية نظراً

لكون أصلها ينبع من المنطقة العربية، وخاصة من بلاد الشام وما بين النهرين، ومن الحجاز ونجد، وقد عرفت بالمنطقة منذ أربعة آلاف سنة قبل الميلاد، وبعد فترة زمنية طويلة انتقلت الخيول العربية إلى المناطق الأخرى في العالم، وتتميز الخيول العربية عن غيرها من الخيول الأخرى، بأن ذيلها مرتفع، ورأسها صغير مميز، وشعرها ناعم قصير، وأذناها صغيرة، ومتقاربة ورقيفة الأطراف، ورقابها طويلة، وعيونها واسعة ولامعة، ومناخيرها فيهم رقة ووسع، والجبهة محدبة وعريضة، وجلدها لامع نقي. ومن علامات الخيول العربية الأصيلة شدة الذكاء الذي تتمتع به، فهي تحب صاحبها وتخاف عليه، وتنبه بالخطر قبل حدوثه، ولهذا صارت الخيول العربية جزءاً أساسياً من العائلة. وتعتبر الخيول العربية لدى صاحبها نوعاً من مظاهر القوة والجاه والسلطان، وقد وصفها الشعراء بأحسن وصف:

يقول المتنبي:

وأُنزل عنه مثله أركب وما الخيل إلا كالصديق قليلة

وقد اغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

يقول امرؤ القيس:

مَكْرٌ مِفْرٌ مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ مَعاً كجلمود صخرٍ حطَّه السيلُ من علٍ

يقول الأعشى:

جياذك في الصيف في نعمة تصان الجلال وتعطى الشعيرا

صفات الخيول العربية الأصيلة



للخيول العربية الأصيلة صفات خاصة تتمتع بها وتنفرد عن باقي الخيول الأخرى:

- الشجاعة والإقدام بدون تردد، وخاصة في الغزوات والحروب، وهي لا تخشى الحيوانات المفترسة، بل بالعكس تهاجم الضبع والنمر وغيره بشراسة غريبة.
- الذكاء الذي تتمتع به الخيول العربية حاد جداً، وذاكرتها قوية تعود إلى صاحبها بعد غياب سنوات عديدة، ولا تنسى أبداً الأشخاص الذين تتعامل معهم، وهي تعرف خطوات صاحبها من بعيد وخاصة أثناء الليل، فهي تشعر بقدوم صاحبها من مسافات بعيدة.
- حاسة الشم قوية وحدة بصر كبيرة، والخيول تحب الموسيقى وتطرب وترقص على أنغامها.
- تتمتع الخيول العربية بالصحة الجيدة، ورأسها صغير، وحالات العقم عندها نادرة جداً، ولا تفقد قدرتها على الإنجاب مهما تقدمت في السن، كما تتمتع بالقدرة على الشفاء

السريع من الجروح والكسور، وتتميز بجهاز تنفسي ممتاز، وذلك بسبب ضخامة قفصها الصدري.

- يختلف الحصان العربي عن بقية الخيول بأن عدد فقراته القطنية أقل بفقرة أو فقرتين عن الخيول الأخرى.
- الخيول العربية ليست الأسرع في الجري، ولكنها الأقدر على تحمل الجري لمسافات كبيرة.

ألوان الخيول العربية (الأشقر، والأحمر، والأبيض، والأشهب، والأسود).

يعيش الحصان العربي حتى الثلاثين عاماً.. مدة حمل الفرس تصل حتى عام واحد.

أهم أنواع الخيول العربية الأصيلة

- الكحيلة (الكحيلان) وهو من أفضل وأعرق أنواع الخيول العربية الموجودة في البادية الشامية ومنطقة ما بين النهرين، ومن فصائلها (الهدبان، الحمداني، الكروشان، والجلابي). وهي من خيل عنزة.
- الصقلاوي، وهو المفضل للاختيار للاستعراضات والمهرجانات بسبب جماله الباهر، وقدرته العالية، ومن فصائله (الجدرائي، والطوبسان، والشيفي، والعبيان، والهمان).
- المعنقي مكانه الأساسي ميادين السباقات، بسبب قدرته الهائلة على الجري، فصائله (السمحان، والزيدان، والكويشان). (من موسوعة الخيول العربية والعالمية - محمد سلطان دار أسامة للنشر ص 20 - 30)..

ولا تعتبر الخيل أصيلة إلا إذا كان مشهوداً لها من قبل المراجع المعرفة، وموثقة من قبل وجوه العشيرة وشيوخها، ومعمول لها حجة بسند صحيح في رسنها، موضح فيها الفرس الأم والحصان الأب، وكل فرس لا يثبت انتسابها لإحدى سلائل الخيل المعروفة، لا تعتبر أصيلة بل يدعونها (كديشة) مهما كانت مستوفية الأوصاف الممدوحة في الخيل، وعندما يصادف وجود فرس جيدة كهذه نسبها مجهول يدعونها (شمالية) فيسفدونها

(يشبونها) من حصان أصيل، ويستمررون على تلقيحها وتلقيح نسلها من الخيل الأصيلة إلى أن يبلغ البطن الخامس، عندها يحق لهم أن يعتبروا ذلك البطن أصيلاً، وأن يسموا هذه الفصيلة باسم الحصان الذي لقحوا منه أول فرس¹⁰⁴.

تربية الخيول في سلمية

مع مرور الأيام وزيادة الحاجة للخيول في الزراعة والتنقل، ازدادت أعداد الخيول في منطقة سلمية، وكان في منطقة سلمية خيول تستخدم في الفلاحة، والزراعة، ونقل المواد، وجر العربات، وهذا الصنف من الخيول كانت أعداده أكثر من أعداد الصنف الثاني، وهو صنف مهجن لا ضرورة لتصنيفه ومعرفة أصوله، وقد يكون بعضه نتاج الصنف الثاني بعد كبر سنه يحول إلى تنفيذ أعمال الزراعة، والصنف الثاني وهو المهم، فهو من سلالات خيول عربية أصيلة، معروف نسبها ومشهود لها بالجمال والقوة، وهذه الخيول أعدادها قليلة في المنطقة، وكان من النادر أن تجد بيتاً في المنطقة يخلوا من وجود حصان أو فرس من أصول عربية، يتم إضافة الزينة عليه، زينة مصنوعة من الصوف وملونة بألوان زاهية تلفت النظر، والمربين للخيول وقتها يتباهون بسروجها ونوعية الجلد المصنوعة منه، وفي مواسم الفرح والاحتفال، كانت تقام أيام يجتمع فيها أصحاب الخيول حول قناة "عين الزرقاء" غرب سلمية ويمضون يومهم في غسيل الخيول وترويضها وعرض أفضلها على الحاضرين من أهل المنطقة الذين يحافظون على حضور هكذا احتفالات، وأما السباقات الدورية التي كانت تقام في مضمار رئيسي غرب سلمية في المنطقة الواقعة شرق جبل الخضر، وفي هذه السباقات كانت الخيول الأفضل تبرز أمام حشود المتفرجين والمشاركين، والحصان أو الفرس من يفوز بالسباق يصبح مشهوراً وتزداد قيمته المالية، ويصبح هدفاً للتكاثر وزيادة نسله، وقد وجدت عدة مضامير للخيول يجري فيها سباقات أيضاً، أهمها كان شرق سلمية في منطقة المنطار، وفي منطقة الشيخ علي، يبدأ المضمار من قباب الشيخ إلى قرية تلتوت، وكان يشارك في هذا السباق فرسان من

¹⁰⁴ عشائر الشام – وصفي زكريا – طباعة دار الفكر دمشق عام 1983م.. ص239

سلمية، وفرسان من الجوار، وفي سلمية كان هناك بعض العائلات لديها اسطبلات للخيول تحتوي على أعداد لا بأس بها، وقد عرف منها: بيت مقداد خيولهم معروفة "أبو عركوب"، وبيت القطلبي "المعنقيات" وبيت فاضل "العبيات" وبيت ناصر كان لديهم مربط خيل منوع، أمراء سلمية لديهم " التامرية، والعبيات" أبو قاسم " صقلاوية"، وبيت أصلان المعنقيات.. ويوجد بعض المرباط الهامة لم نستطع الوصول لأسماء أصحابها. وفي سلمية وجدت خانات لاستقبال المسافرين والعناية بخيولهم، وأهم خانات سلمية كان خان السلطان وخان العكاري، ونتيجة لوفرة الخيول في منطقة سلمية، والخيول بحاجة دائمة للعناية الخاصة بها (تركيب الحدوات لها) والحدوة الحديدية ضرورة تغييرها كل فترة، عندما تنمو أظفار الخيل وتصبح الحدوة القديمة معيقة لتحرك الخيل لذلك كان من الضروري تغييرها، وفي السنين الأولى لتربية الخيول، كانت تساق الخيول إلى المدن (حماء وحمص) وفيها محلات عديدة مخصصة لهذا الشأن يقوم صاحبها (البيطار) بإجراء عملية تبديل الحدوات المنهكة، بأخرى جديدة تسهل الحركة للخيول، ومع مرور الوقت قدم إلى سلمية بعض المهتمين بهذه المهنة، وافتتحوا مراكز لهم سهلت لأهالي سلمية العناية بخيولهم، وكذلك جاء من يصنع ويصلح السروج وافتتح له أماكن في سلمية وبعض القرى الشرقية "بري الشرقي"، وفي أربعينيات القرن الماضي وفي كب زيارة يقوم بها الأمير علي خان لسلمية كانت تجري له احتفالات ومنها سباق خيل، وقد شارك في بعضها، والأمير معروف بحبه للخيول ولديه اسطبلات في العديد من الدول الأوروبية، وفي إحدى زيارته أهدي له من قبل أهل سلمية فرس عربية أصيلة سماها "سلمية"، وواحدة أخرى سماها الإسماعيلية، وقد أرسل الفرسين إلى بيروت وشاركهما في ميدان بيروت لسباق الخيل، وبالمقابل أحضر معه (في خمسينيات القرن الماضي) حصان عربي أصيل كان يشارك في سباقات الخيول في فرنسا، أهده لأهل سلمية لكي يحسنوا نسل خيولهم منه، وكان اسم الحصان "هيفان" يعرفه معظم أهالي سلمية في الخمسينات وحتى منتصف الستينات لحين موت هيفان، وكان الفرسان المشاركون في السباقات (جوكي) لهم مواصفات خاصة، كالشجاعة، وخفة الوزن والذكاء، والقدرة على التعامل مع الخيل قبل وأثناء وبعد

السباق، وكان أشهرهم في الخمسينات من القرن الماضي (إسماعيل تقوى، وكان مروضاً محترفاً، وخبيراً بتربية الخيول) وقد أنتقل إلى بيروت مع الفرس "سلمية" وفي ميدان السباق أكتسب خبرة كبيرة في التعامل مع الخيول، حيث عاد إلى سلمية وصار مرجعاً في اختصاصه، وكذلك كان إصلاص إصلاص أيضاً من الفرسان المشهورين في منطقة سلمية، ومن ثم جاء عدد من الشباب الذين تنطبق عليهم مواصفات الجوكر، ومنهم (أحمد إستانبولي، عبد الله عيسى، أبو صقار عبضو..).

في أواخر الخمسينات من القرن الماضي بدأت أعداد الخيول في سلمية تقل تدريجاً، وخاصة الأصيلة منها، وذلك لطروف عديدة أهمها سنين الجفاف التي حلت بسلمية تلك السنين التي أجبرت العديد من أهالي سلمية للهجرة خارجها طلباً للقامة العيش التي افتقدوها في أرض أجدادهم، وكذلك ساهم دخول السيارات إلى منطقة سلمية في تقليل دور الخيول كوسيلة نقل، وقد صارت كلفة تربية الخيول عالية مما أثر على وجودها في المنطقة، وهكذا خلت المنطقة إلا مما ندر من الخيول وصارت من ذاكرة الأمس، وبقيت المنطقة شبه خالية من الخيول الأصيلة حتى عام 1986م، حيث بدأت الخيول تعود بخجل إلى المنطقة وبشكل تدريجي، وقد ساهم السيد كريم الحايك بإدخال أول فرس إلى سلمية، وقد اشتراها من عقارب، والفرس قادمة من الجزيرة، وبخطوات متزنة ومدرسة دخلت الخيول القادمة من الجزيرة ومن قبيلة شمر، وصار في سلمية عدة مرابط للخيول، وفي عام 1995م أسس في سورية منظمة "الواهو" وهي المهتمة بالخيول وتصنيفها وأرشفتها ومنحها شهادات تؤكد أصالتها، وفي تلك الفترة تشجع أهل منطقة سلمية لتربية الخيل، وكثرت الخيول وعمل مهرجان لسباق الخيل في السيل شارك فيه أغلب الخيول المتواجدة في سلمية، كما شارك فيه خيول من خارج منطقة سلمية، كما عمل مهرجان لسباق الخيل في المدرسة الزراعية شاركت فيه خيول من منطقة سلمية ومن خارجها، وقد وصلت أعداد الخيول في منطقة سلمية عام 1990م (85 رأس)، موجود منها داخل سلمية عند (كريم الحايك، أبو الطيب الجرعتلي، علي الشاويش، وائل القطريب، عبد عزبا، صفوان الشيخ حسن، ماهر الخطيب، نعمان الديبات، محمد زيدان في بري..

وغيرهم) وقد شاركت خيول سلمية في سباق تدمر للخيول، وسباق الباسل في اللاذقية، وكان آخر سباق جرى في منطقة سلمية هو السباق الكبير الذي جرى في الصبخة عام 1998م، وبعد ذلك عجز مادياً أصحاب الخيول عن تربية خيولهم، ولذلك تقلص عدد الخيول في منطقة سلمية، وتراجعت أعدادها، وحالياً في منطقة سلمية كلها يوجد (34 رأس) مصنفة في منظمة "واهو".

هي الخيل التي يعقد بنواصيها الخير، كانت لها أيام جميلة حين كانت الحاجة لها ماسة، ورغم تطور الحياة وما فيها من علوم وتكنولوجيا، لا تزال الخيول العربية الأصيلة لها مكانتها في الدول المتقدمة، ولا تزال تنتظر إليها العيون على أنها من أجمل الحيوانات وأرقاها، وهي الوفية بتعاملها مع أصحابها، وكم من جواد أنقذ صاحبه من الموت في لحظات حرجة، نتمنى أن ترجع الخيول لمنطقة سلمية، وأن يزداد عددها، وتكثر في المنطقة مرابطها، وأن تجري سباقات لها دورياً وعلى الأقل في فصل الربيع (موعد السباقات القديمة) أنها من قلب تراثنا وعلينا أن نجد الوسائل والطرق المناسبة لإعادة رياضة سباق الخيل إلى حياتنا.¹⁰⁵

¹⁰⁵ - شارك في المعلومات الواردة أعلاه، مربّي الخيول في سلمية السيد (كريم الحايك) ..

الفصل التاسع

الأزياء في منطقة سلمية قديمها وحديثها

أ . غسان قدور

مقدمة

الأزياء هي صور الألبسة المتنوعة التي يرتديها العنصر البشري حيث يلعب عنصر الإبداع والابتكار دوراً بارزاً في تصميمها.

وهي اليوم ميداناً للتنافس بين دور الزياء على نطاق عالمي، إذ غدا المصمم أو المصممة مثار إعجاب من الجنسين، تتسابق دور الأزياء إلى كسبه ولو كلفها ذلك مبالغ طائلة كما خصص للأزياء مواسم متعددة تجري فيها المسابقات على نطاق دولي ويتفنن المصممون في إيجاد شتى السبل للحصول على تعاقد مع الفانتات الرشقات القوام ليقمن بعرض التصاميم والموديلات / النماذج/ في حركات مغناجة ولففات لطيفة تلاحقهما عدسات المصورين حتى ليبدو مكان العرض والاستعراض لأشبه بساحة شهب مضيئة، وللتفافز دور كبير في ترويج هذه المواسم بأقنية متعددة.

الأزياء وتطورها في منطقة سلمية

كان إعمار ريف سلمية دافعاً للعديد من السلامة لإفساح المجال لأسر من غير السلامة، أي من خارج جماعة الهجرة الأولى، هذه الأسر تشجعت للنزوح من مناطقها التي كان بعضها ضعيف المردود الاقتصادي كما كان بعض هذه الأسر تحت ظلم الاقطاع في مدينة حماه والأراضي حول سلمية شرقاً ذات اتساع وخصب ومياه غزيرة.

كما تشجع البدو فيما بعد على الاستقرار وبناء القرى.... نخلص من كل هذا: أن كل هذا الاختلاط السكاني حمل معه ما حمل من عادات وتقاليد وأزياء تمازجت بوحدة وحسن المعاشرة وعلاقات طيبة.

أزياء السلامة.

إن اقتصار بحثنا على أزياء مدينة سلمية وريفها القريب ليس وراءه غاية سوى أن تطور الأزياء فيها بدا أكثر وضوحاً وجلاءً عن باقي المناطق التي عمرت من قبل البدو وسكان الجبال من غير السلامة والذين وفدوا إلى المنطقة للعمل في الأرض.

لما وفد سكان سلمية الأوائل من بيئاتهم الجبلية إلى سلمية، أصبحوا تحت تأثيرين رئيسيين هما:

1- تأثير البادية شرقاً

2- تأثير المدن المجاورة (حمص _ حماه)

إلا أن تأثير البادية كان أكثر عمقاً لأن الاختلاط مع البدو كان أعم وأشمل (فمضاربهم كانت من ضفاف العاصي الشرقية حتى تخوم جبال البلعاس). بينما كان الاحتكاك مع أهل المدن أقل بسبب قلة وسائل المواصلات وصعوبة الطرق، لكنك بمرور الوقت ومع ازدياد النشاط التجاري خاصة بعد رحيل العثمانيين من الشام بعيد الحرب العالمية الأولى وتحسن طرق المواصلات والأمن زاد الاحتكاك مع المدن المجاورة، هذا ما أدى إلى تطور في أزياء السلامة كما سنفصل..

أزياء الرجال

جاء الرجال بأزيائهم الجبلية التي كانت عبارة عن سروال أسود فضفاض وفوقه صدارية وعلى الرأس كوفية من الصوف أو من نسيج حريري قزي سوداء أو حمراء وعقال ثخين أسود وتحتهما قبعة (كما هو الحال اليوم بلباس الرجال في منطقة عكار اللبنانية)، لأن هناك العديد من الأسر قدمت من هناك كما أن البعض لبس عمامة.



رسم توضيحي للباس الرجال في الجبال

أما في الصيف فقد استبدلت الكوفية الصوفية بأخرى بيضاء حريرية.. لكن العمل بالأرض لا يلائمه هذا اللباس فشتاء منطقة سلمية قارس البرودة لذلك لبس الرجال "العباءة الزنارية" وهي عباءة منسوجة من وبر الجال قصيرة إلى ما فوق الركبتين ويشهد فوقها زنار عريض من الجلد بينما لبس الرجال العباءة الطويلة من نفس النسيج في أوقات الراحة، ومن البدو تمّ اقتباس لبس الفرو المصنوعة من جلود الحملان.

وفي فصل الصيف، وصيف المنطقة حار وجاف استعاض الرجال العباءة بالمزوية لدرء أشعة الشمس الحارقة، ثم استبدلت الصدارية والسروال بالدراعة الصفراء أو السوداء، وهي كذلك مقتبسة من المحيط البدوي ولها عدة طرازات (فقيشات اثنتان - أربعة - ثمانية.. الخ) وتزين السلموني بالخنجر بشكله والبعض تزين بالمسدس.



المزوية

دخول المهنيين من المدن إلى مدينة سلمية

تلقت سلمية هجرتان غريبتان:

أولهما كانت هجرة الشراكس في مطلع القرن العشرين حيث استوطنوا قرى تقع شمالي سلمية في البداية ثم بازدياد أعدادهم المهاجرة استوطنوا قرى مجاورة لحوض سلمية إلى الجنوب الغربي والكل عمل بالزراعة.

الهجرة الثانية كانت هجرة الأرمن بعيد الحرب العالمية الأولى حيث تدفقت جموعهم نحو المناطق الشمالية من سورية ثم نحو المدن الداخلية. وقد فضل الأرمن سكنى مدينة سلمية برغم صغرها النسبي قياساً مع المدن السورية الكبرى، وكان لذلك دوافع من أهمها: ما لاقاه الأرمن من سكان بلدة سلمية من الترحاب والمساعدات بعكس ما اعتادوه من غيرهم من سلب ونهب وتقتيل، حيث عمل رجال الأرمن في مهن مختلفة كالخياطة والبناء والحدادة والبيطرة وصناعة العربات... الخ

ومهنة الخياطة طورت أزياء السلامة فكان اللباس الجديد:

القنباز: بسبب علاقات الأرمن في سلمية مع الأرمن في حلب أدخلوا زي (القنباز المصنوع من الصاي الحريري المقلم بالأسود أو المقلم بالأبيض) وهو عبارة عن لباس مفتوح من الأمام ذو أكمام مفتوحة، يلف على الجسد ويحزم فوقه بحزام من القماش أو الحرير يدعى "الشال".



القنباز

وكان لباس القنبار قفزة نوعية إذ رافقه لبس السروال الأبيض من قماش الأزرق والبعض من الشبان طرزه عند الأكمام بخيوط حريرية ملونة.



لباس العمل الفضايف مع العباءة الزنارية

كما لبس فوقه "القطشية" بدل العباءة الزنارية.. كانت القطشية مطرزة بخيوط حريرية ملونة، وليزيد الشباب من أناقتهم فقد أطال بعضهم شعر رأسه وريى صفائر طويلة شأن شبان البدو حتى أن البعض جدل صفائره كما اعتنى الآخرون بالناصية لتبدو جميلة من تحت الكوفية البيضاء والعقال الأسود.

الدامر: بعد الحرب العالمية الثانية وبرحيل العثمانيين عن بلادنا حدث احتكاك أوسع مع أوربة ومعه دخلت أسواقنا أجواخ أوربية فتحوّلت القطشية إلى دامر، فهو لباس أكثر طولاً وأكمامه أكثر اتساعاً ومفتوحة حتى الكوعين وقماشه من الجوخ الأسود /الفاصولين/ ثم استبدلت الجلابية المطرزة بخيوط مجدولة على الرقبة حتى آخر الصدر.. وفي مطلع القرن العشرين بدأ الدامر والقنبار من جوخ موحد سماه الناس /بالطقم/ وتغير شكل الدامر إلى ما عرف "بالدرداشة"

الدرداشة: شبيه بالدامر لكن أقصر بالطول وأضيق بالأكمام والخرج مع أزواره تصطف على الجانبين من الرقبة حثة نهاية الفتحة.

الجاكيت: تم لبسها فوق القنبار أو فوق الجلابية وغدا الطقم بشكل جديد:



الجاكيت

العباءة المسح: استبدلت العباءة الطويلة المصنوعة من وبر الجمال بعباءة من الجوخ الثمين دعيت " بالمسح" وكانت سوداء أو بُنيّة، أما الفروة فقد غطيت بغطاء من القماش الأسود من نوع "الفاصولين" المزين بأشرطة قماشية حريرية ناعمة.

البنطال والجاكيت: بعد الحرب العالمية الثانية مع اتساع التعليم بافتتاح المدارس دخلت الأنظمة الأوربية التعليمية الحديثة ومعها، لبس طلاب المدارس البنطال والجاكيت وعلى إثرها بدأت الأزياء الرجالية تختفي شيئاً فشيئاً، إذ انحسرت الألبسة القديمة من الشباب المتعلم وبقيت عنده.

العقال الحجازي: بعض رجال الدين لبس العقال الحجازي فوق القنبار والجاكيت وآخرون ظلوا يلبسون العقال الأسود وأخيراً استقر لباس الرجال على نموذجين:

الأول: هو اللباس العربي المكون من جاكيت وجلابية من قماش واحد والذي يرافقهما غطاء الرأس من كوفية بيضاء أو نقاب ملون مع عقال رفيع بدل الثخين وهناك البعض ممن لبس الطقم بدون غطاء الرأس.

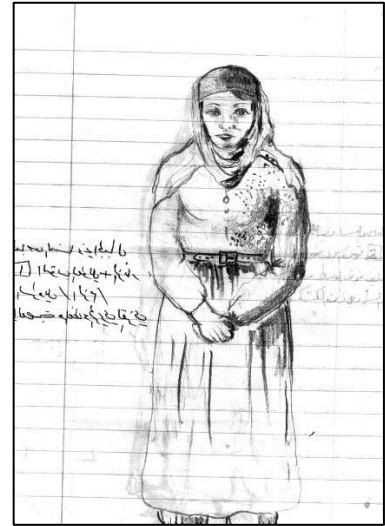
والثاني: هو اللباس الإفرنجي بموديلاته المتنوعة.



العقال الحجازي

أزياء النساء

جاءت نساء المنطقة الجبلية يلبسن لباسين (زينين):



الأول: تنورة /ثوب طويل/ ذات أكمام طويلة وفوقها يلف الشال وللتنورة ألوان زاهية صيفاً، ويلبس تحتها سروال ذوكممين مربوطين عند رسغي القدمين (سروال زم).

الثاني: لباس شبيه بلباس الرجال يدعى "القنبار" يشد إلى وسطه الشال وتوضع قطعة قماش من البطن حتى القدمين تدعى /الحلابة/، كما اقتبست المرأة السلمونية لبس القطشية من الرجال لكن قطشيتها كانت أنحف وأقل تزييناً من الرجالية واستبدلت سروال النزم بسروال مكشكش عند القدمين بشكل دائري

الكشكش

وأثناء العمل لبست /الكب/ مثل لباس أهل شيزر اليوم وكان الكب يزين بأشرطة على الأكمام والداير والرقبة.



الثوب الطويل مع القطشية

وباتساع مدينة سلمية ودخول أسر حموية وحمصية إلى المدينة رافقت الأزواج المهنيين كان هؤلاء النسوة يلبسن الحجاب الأسود وعلى الجسد يلبسن /الترواك/ وكان هذا لباس الخروج فلبست المرأة في سلمية ذلك لكن الحجاب والترواك لم يدخل الريف بتاتاً.

ظلت عملية التأثير بالمدينة جارية وبتواتر سريع فقد استبدلت المرأة السلمونية الكب بالروب المدني حتى إذا ما جاءت خمسينيات القرن الماضي وصارت أزياء المدن الكبرى داخل القطر وخارجه تدخل أسواق سلمية وتهافتت النساء عليها عازيات وامتزوجات يلبسن أحدث الموديلات فيضاهين اليوم أفضل صحف الموضة العالمية في كبريات مدن الأرياء في العالم.



لباس الرأس عند النساء

لقد أصاب التطور لباس الرأس عند النساء في المنطقة مثلما أصاب لباس الجسد وقد مر ذلك بعدة مراحل:

المرحلة الأولى: جاءت المرأة من بيئة الجبال تضع على رأسها العصابة وكانت أشبه بالعمامة تغطيها بغطاء حريري قزي غطى قسماً من الصدر وترمى أطرافه على الظهر وعلى طرفي الوجه تركت المرأة السلمونية سالفين وكانت تقص غرة فوق الحاجبين.



العصابة

كانت العصابة مصنوعة من القطن السميك في البداية، لكن بعد الحرب العالمية الأولى أدخلت عليها تزيينات وتحسينات، فقد نسجت من الخيوط الحريرية وصارت موشات بخيوط ذهبية أوفضية مما أكسبها قساوة وغدا درجها يظهر قسماً من الجبين وفوقها الغرة القصيرة التي تزينها الصفية المؤلفة من عشرات القطع الذهبية /ليرات ذهبية رقيقة/ مخيطة على قماش من الأمام تربط تحت العصابة فوق الجبين... هذا في أوقات الراحة.



الصفية

أما أثناء العمل فلقد قمطت المرأة على رأسها قطعة قماش أخفت بها شعرها.

المرحلة الثانية: بعد الحرب العالمية الثانية ومع تحسن الوضع الاقتصادي في سلمية الذي انعكس على مظاهر التطور وقد ظهر ذلك جلياً بلبس الغطاء الحريري "المخرج" وكان مصنوعاً من الحرير القزّي الذي ينسج في مناطق الجبال، ويوضع في منتصف الرأس حيث يظهر الجمال شعر الفتيات غير المتزوجات وعلى طرفي الوجه ترك السالفان وجدلت بعضهن ما تبقى من الشعر إلى الخلف ولقد تبارى شعراء العتابا بوصف هذه المظاهر من جدائل وصفائر وسوالف وجدولات بمئات الأبيات الجميلة نسوق بعضها منها:

على التعتير والتعذيب دليت
أنا إن دليت ما علي عتاب

جدائل شقر فوق المتن دليت
إذا منك ليوث الغاب دلت

عيوني من بعد هجرن يا دلهم
عسى لاقى حبابي بالصفاء

كدل الشقر عن طوله يا دلهم
أمانة هوني بسيرك يا دلهم

قلبي تعب عقلي ولع صابة
ما عمره سارق الحلوين تاب

تغاوى بالجديلة والعصابة
هداك الباقي قلبي والعصابة

واني صابني بحبك ولع طور
يلوماني مولع بالحباب

قرفت رياح جعدانك والعطور
عمر ما رقيت تبارة ولا طور

المرحلة الثالثة: كانت المرحلة الثانية سمة الخمسينيات من القرن العشرين ثم بدأت بالاضمحلال لتبدأ مرحلة جديدة بلبس غطاء الشاش الأبيض ومعه القمطة السوداء بينما بقي لبس الغطاء المخرّج في المناسبات /الافراح/.



الغطاء المخرّج

استقرت العصبة المفضضة على رؤس كبييرات السن اللواتي صار عددن لا يتجاوز العشرات اليوم.

الغطاء الأبيض الشاش مع القمطة السوداء



المرحلة الرابعة: زالت القمطة ليبقى الغطاء الأبيض وحده وتتوعد بضاعته إما شاش قطني أو حريري أو صوف مغزول /درالون/ ودعي بالشال.



الشال الأبيض

المرحلة الخامسة: انحسر الشال تدريجياً وحل الإيثارب على رؤوس النساء.

المرحلة السادسة: في هذه المرحلة انحسر لباس الرأس وهي السائدة اليوم في أزياء السلامة.. وذلك بسبب ولوج المرأة ميدان العمل الوظيفي وخاصة التعليم، وبسبب الحرية

الدينية التي لا تشترط على الفتيات تغطية الشعر، وفي هذه المرحلة ظهرت وبشكل واسع موديلات قص الشعر التي لا تحصى.

وفي أيامنا هذه ام يعد هناك إمكانية للتفريق في اللباس النسوي بين العازبات والمتزوجات إلا بصعوبة على أن غالبية الفتيات يملن اليوم إلى لبس البنطال بكل طرزه مع قميص أو كنزة فوقه من شتى الموديلات العالمية.

الفصل العاشر

الغناء والموسيقى في سلمية

أ . غسان قدور

تأثر السلامة باللهجة البدوية غناء وموسيقا وكان يدفعهم إلى ذلك عاملان:

الأول: رغبة في التفاهم والتأقلم، وهذا لا يترسخ إلا إذا فهم السلامة عادات وتقاليد المحيط البدوي.

الثاني: طول المعشر والجوار مطبقين المثل القائل " دارهم إن كنت في دراهم".

سأقتصر في دراستي هنا على الغناء والموسيقا في منطقة سلمية، متجنباً الخوض في أشكال الفولكلور الأخرى للمنطقة.

أولاً: الغناء في منطقة سلمية

أقدم غناء عرفه السلامة كان الغناء الديني.

فسلمية كما هو معروف تاريخياً منطلق الأئمة الاسماعيليين الأوائل الذين أسسوا فيما بعد الدولة الفاطمية " رحلة الإمام عبدالله المهدي " إلى المغرب ونشوء الغناء الديني الطرائقي. وإبان الحكم العثماني وما لاقاه الشيعة عموماً من اضطهاد.

مارس السلامة الغناء الديني في الأقبية والكهوف وبسرية تامة. وترددت على السنة المنشدين عشرات القصائد الدينية التي تغنى بها الطرائقيون أمثال تائية عامر البصري¹⁰⁶ والتي مطلعها:

تجلى لي المحبوب من كل وجهة
فشاهدته في كل معنى وصورة

¹⁰⁶ - عامر البصري شاعر صوفي اسماعيلي صوب العديد من الأفكار التي وردت في التائية الكبرى لابن الفارض بما يتلاءم والفكر الصوفي الاسماعيلي.

وخاطبني مني بكشف سرائر تعالت عن الأغيار لطفاً وجلت

وقد بلغت خمسمائة بيت. وأناشيد الحاج خضر بن يوسف:

أطرب الدوح الهديل بملاقة الخليل

منزل عال جليل منه مبدانا القديم

منه مبدانا القديم

أبرق لاح أم نور الوجود إلى الأكوان يهتف بالحدود

وأرواح الندامى ساجعات إلى معناه في شرف الصعود

ويذكر التاريخ المدون، رواداً لمدارس الإنشاد الديني الطرائقي.

أمثال السيدة **صالحة هديا**، زوجة محمد حيدر أحد رجال الدين المتصوفة الذي طاف السند والهند وإيران. والسيدة زلفا المير بو حيدر، حيث كان يجتمع إلى ديوانيهما العديد من المنشدين ليتعلموا منهم روعة الإنشاد¹⁰⁷.

وفي مرحلة لاحقة وبعد زوال الدولة العثمانية، انتشرت في سلمية وقراها المعمورة بالسلامنة " المضافات " واستعاض أهل سلمية عن الخيام عند البدو- بغرف طويلة واسعة يتوسطها منقل الحطب وعلى جانبه " دلال القهوة العربية " وقد فرشت الأرض بالبسط والسجاد والوسائد، وقد عرفت بالمحيط / بالمنازل / ومفردها منزل، افتتحت هذه المضافات من قبل رؤساء الأسر القوية في عدد أفرادها، حيث كانت لها عدة مهام منها: حل المشاكل بين الأسر والمحيط، وبين الأسر بعضها مع بعض بطريقة العرف، يقوم بذلك رجال عرف عنهم النباهة وسعة الأفق ورحابة الصدر والمعرفة بالعادات والأعراف وأحدهم كان يدعى (العارفة) أما في ليالي الشتاء الطويلة وعلى ضوء مصابيح الكاز ونار الموقد ورائحة القهوة المرة أوفي أماسي الصيف الطويلة وأمام المضافات على رحابة البيوت السلمونية الواسعة حفلات السمر والغناء تصدح بمواويلها " عتابات ونایل وغير ذلك " من ضروب الفن والغناء، برز من خلالها

¹⁰⁷ - من مقدمة ديوان (عطر الورد) للشاعر الشعبي سليمان داود (أبو منهل بقلم د. ابراهيم فاضل)

فرسان ساحها رجال خلدت ذكراهم مئات الأبيات من العتابا التي لازال بعضها يتردد على ألسنة بعض من ظل يحن إلى تلك الأيام الخوالي.

وفيما يلي تفصيل عن مجمل ضروب الغناء في سلمية ورواده الأوائل:

1. العتابا السلمونية

العتابا ضرب غنائي قديم اشتهر في أقطار بلاد الشام الأربعة، وإذا تجاوزنا المصدر اللغوي والشعري في الوزن والقافية وغيرهما، نقول أن لكل منطقة في بلاد الشام لهجتها وصورها الشعرية، وفي بعض الأحيان اختلاطها، علما أن البيئة تؤثر تأثيرا فعليا على النغم واللهجة والإيقاع الموسيقي.

إلا أن السلامة انفردوا بصور إبداعية مُستقاة من المحيط ومن المورث الثقافي، ونظموها باللهجة البدوية نطقا لأنه أقرب إلى فهمها ضمن المحيط المجاور والتي تعتبر سلمية مفتاح الحاضرة والبادية بآن معا.

كان للمضافات الدور الكبير في انتشار هذا الضرب الغنائي، وكان لكل مضافة شعراؤها الشعبيون بحكم صلات القرى والمنبت المشترك والسكنى بالجوار

حيث كان الشعراء الشعبيون يؤمون هذه المضافات ليغنوا في أماسيها الصيفية المقمرة أو ليالي شتائها الباردة حتى هجيب الليل الأخير.

ومن أشهرها ما حفظته الذاكرة الشعبية من أسماء هؤلاء:

من آل شتيان: حسن شتيان، ومصطفى، وعزيز، وناصر.

من آل القطريب: علي حسن القطريب، بدر القطريب.

من آل ناصر: علي ناصر

من آل الآغا: حميدو ومصطفى الآغا.

من آل داؤد: محمد داؤد، داؤد داؤد.

من آل مقداد: مصطفى مقداد الملقب (بلول)

من آل الحموي: رفعت الحموي (تلجديد)

من آل حديد: صادق حديد.

كما انفرد البعض بالتأليف أو النظم دون الغناء وكانوا بمثابة حكام تعرض عليهم أبيات العتابا يستحسنوها أو يطعنون في صحتها. ومن هؤلاء :

محمد الشيخ خضر والد نعيان الشيخ خضر، حسين العلي محفوض والد الأستاذ خضر العلي محفوض، والشيخ اسماعيل زينو.

تبع هؤلاء رعييل آخر من الشعراء الشعبيين لا زالوا على قيد الحياة . حتى تاريخ كتابة هذا البحث وهم: الشاعر محمد صادق حديد، نايف غالي، أحمد ناصر، وانفرد الشاعر سليمان داود بينهم مؤلفا ومؤديا.

سأورد فيما يلي بعضا من أبيات العتابا لهؤلاء، مع الإشارة إلى أن بعضهم انفرد بمطالع في عتاباته دون غيره أمثال:

الشاعر الشعبي والمؤلف علي زينو معظم أبياته مطالعها: ريام، ومهارة الريم.

الشاعر الشعبي داود داود: يا ناهي.

ابنه سليمان داود: النواهي.

علي ناصر: هليتي.

حسين العلي محفوض: أبيات الليل

شاهد:

من أجل الخضبو الراحة وابهام

أبات الليل حالي براي وبهام

يعاودني دليلي عا المضى

يا كل ما ريد أصد الترف وابهام

للشاعر علي زينو

شاهد:

ريام الديرها الجنك مقارين قروط النيل عا المبسم مقارين
هلا بالبيض والسمر المقارين رقاب الهيش وعيون المها

وكذلك:

شاهد:

مهاة الريم ها الشالن على ورود مرهف قص لصلوعي على ورود
يا ناهي وانشد القبلك على ورود الخفي ما داج قدمه الثرى

للشاعر داؤد داؤد:

شاهد:

يا ناهي روس وجناتك مضاعيف كثر الهجر خلاني مضاعيف
رقيق الخصر لا تقولوا مضاعيف عود الند ما يقبل جفا

للشاعر علي ناصر:

شاهد :

فرض خشّ المقابر والآساني أبد يبقون بيها والآساني
يا حور العين بالله ولساني أجاد الفارق حبابو سنا

علي حسن القطريب:

شاهد:

حلاي اللفف جعود وبشوراي صغير ولا بلغ سن البكوراي
عيوني من أجل فرقا هم بكواراي وغدير وكلف الوارد سنا

بدر القطريب :

شاهد:

لابني للولف أكبر محارب بطلاته من قليبي محارب
نظرت الطوق والمحزم محارب حزر بيناتهن رمان آب

حميدو الآغا:

شاهد:

زهينا مثل عشبه وارعيانا مصيبة إن حكينا وارعيانا
فتك بينا يا صاحب كا الرعيانا بليلة ولا حدا يدري مجدا

لم يكتف الشعراء السلامة الشعبيون بهذه الصور الغزلية أو المأساوية الحزينة.
بل إن البعض أدخل لمسات صوفية وفلسفية من الحب المثالي على الشعر الشعبي.

أمثال الشاعر الشعبي: مصطفى مقداد "بلول":

شاهد:

نزل طه من الباري علامه سابعتين خاتمهم على مه
يا حادي دل رشوانك على مه طلع زين المحامد بالرشا

نورد فيما يلي تفسير لهذا البيت:

1. بعث الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) من ربه تذكرة.
 2. $14 = 7 + 7$ خاتمهم على مئة $100 = 114$ سورة عدد سور القرآن الكريم.
 3. يا سائق الظعن أدل بحبل دلوك على ماء البئر.
 4. البئر الذي استقى منه رجال قافلة عرب إسماعيل بن إبراهيم الخليل، فخرج لهم من البئر: النبي يوسف عليه السلام
- كما غنى الشاعران صادق حديد وابنه محمد المئات من أبيات العتابا من نظم الشاعر الشعبي علي زينو وغيره.
- للشاعر صادق حديد:
- شاهد:

علواه ضم ها الغالي وشم بيه وراس الوجن متورد وشام بيه
تلاقينا أنا وهووايش انبيه لساني تخرسن وعقلي انصاب

للشاعر محمد صادق حديد:

شاهد:

حسدت الميل ها اللي زار عينه على خشف صدفي وزار عينه
قرنفل يا اهل الله زار عينه تحت في الجديلة على الرقاب

الشاعر: سليمان داود " أبومنهل " من ديوانه " النواهي " .

شاهد:

النواهي وردن الشادوف وخزام¹⁰⁸ وحرث ما بين ما ضي سهيل وخزام
جرى نشوان خمر الصدر وخزام ونديم وكاس والنهد انتشى

¹⁰⁸ - منطقتان حول مدينة سلمية كانت لكل واحدة منهن عين ماء جارية.

شاهد آخر:

النواهي من دمع عيني وردهم عزاز وبالحشا نابت وردهم
أمانه ارفق بحالي وردهم تراهم ولعن قلبي بسنا
للشاعر الشعبي رفعت الحموي:

شاهد:

اتبعهم يا قلب والحق سريهم ما ندري وين حاديهم سري بهم
تري لفراقهم قلبي سري بهم لو لقمان يوصف له دوا
للشاعر الشعبي نايف غالي:

حبابي لو جفوني ما جفيهم لحتي بحر حبي ماج فيهم
صوبت نبلي نحوهم ماج فيهم عجب نباهم جوا الحشا صاب
ومع طول المعاشرة والجوار تعلم الشعراء السلامة ضروريا من الغناء يمارسه الشعراء البدو
الذين اختلط به السلامة، ومن هذه الضروب :

النائل: سمي كذلك لأنه نغم حزين ينال من القلب لعذوبته:

دعي " بالمطوح " إذا تلا بيت العتابا:

شاهد:

يا بو نواعس خضر يا ورد يا ريحان
لإجلك لقضي العمر سايح وبيا جنان

شاهد:

مروا علينا السمر وردن على الميه
بيهن ريام الضحى وخشوف بريّة.

ومن أنواع الغناء السلموني "المعنى " وقد انفرد بهذا اللون الشاعر الشعبي "علي زينو" نظما.

شاهد:

ردوا علي شحال قلبي شحاله لا عوف محبوبي ولا أهوى بداله
وإن كان مطلوبي أريد وصاله فليصنع العزال والد شماني

شاهد آخر:

الله ومان الله عشيري صاير قومالي
من بعد ما كنا رفاقه زي الأخوان

شاهد آخر:

هبت هبوب الشمالي بردها شين
واني بعدكم عشيري ما غفت عيني
وهناك " الهجيني " وهو ضرب مشتق من الغناء للهجن " الجمال "

شاهد:

يا قمر لا تفضح العشاق خلي لثامك على سنونك
عا البعد يا لوعة المشتاق عا القرب يا حرقة عيونك

شاهد:

غربي النزل يلعبن نطه والثوب قبنة الرياحي
يا ريتني بالنهر بطه واقطع على شويقي سباحي

وهناك "الشلة" وهو نوع من "الهجين":

شاهد:

هلك بعيدين وأنا الحافي

شليتتي يا لغادي شلك

وأني على الجمر وقافي

والرجل ما طاقت الملة

ونوع آخرين الهجيني يدعى "بوسلامة"

شاهد:

جرح جديد بالحشا مستظلي

يا بو سلامة قلبنا اليوم مجروح

برضا وبلكي عشيري حصل لي

جابوا الخطيب ومددوني عا اللوح

شاهد آخر:

قم حبني فايراً دمي

عشيري سايم عليك الله

على الترف زايذا همي

وأكثر همومي من خلق الله

وهناك "الطقطوقة" مثال:

قولي لبيك قولي لو

يا أم عيون الغمازي

قولي لبيك يا يازي

شي مكتوب ابعاتيلو

أن كانوا حلك للجازي

قولي لبيك قولي لو

وهناك "الفروقة" مثال:

جوا الصدر عطابه

أوف يمه ويا يابا

الحلوة وردت عالسعني

بنيه وردت عالسعني

نهيدا عقرب لسعني جوا الضلع يا يابا

وأغنية الحنة:

من عادة العروس أن يبيت عندها بعض من زميلاتها قبل ليلة الزفاف، فيقمن بصبغ أيديهن بالحناء معها مشاركة :

جابلونا الحنة من خوفهم منا بالله يا سيدي تحنا من عنا

حننتنا جديدة من بلاد بعيدة بالله يا سيدي تحنا من عنا

وهناك أغاني الخطابات والحصادات مثل على دلعونا وغيرها.

الحداء:

أما الحداء فهو ضرب تعلمه السلامة من بدو الديرة، وقد أورد لي بعض المهتمين بالتراث الشعبي السلموني بعضا منه وأوردوه في سياق تاريخي

أثناء ثورة حماه ضد الاستعمار الفرنسي، وقد خرجوا على ظهور خيولهم وبالبنادق يهزجون:

ربعي دوم مونسين البر يوم الكونه نار تسعر

وإن هلهتي يا أم عصابة يا أم العيون النصابه

يامن شاف لي راعي العوجة¹⁰⁹ مثل السبع بوسط الغابة

ياولد يا ابن المقرودة بيع أمك واشري بارودة

والبارودة خير من أمك عند الضيق تفرج همك

وقد سمعت مثل هذا الحداء في منطقتين سوريتين متباعدتين الأولى في الجزيرة السورية

مطلع الحداء:

¹⁰⁹ - راعي العوجة: لقب يطلق على الفارس السلموني من قبل بدو المنطقة ولتلك قصة طويلة (سلمية في خمسين قرنا) للباحث محمود أمين ص 63.

مسقين العدوان من المر

ربعي دوم مونسين البر

نحن سباعك عند الضيجة

وإن هلهتي يا خديجة

واش ماجر الفدان يجر

ندعيم بالمي غريجة

والثانية في جبل العرب

مطلع الحداء:

حداية وشيالة موزر

ربعي دوم مونسين البر

بجنحين وإلها دلدولة

جتنا الطيارة مفتولة

بتالي تفنكة ومشط وبحر

درزي ومحارب للدولة

أبو الزلف أو المولية: عا المولى المولى عيني ياموليا = مولاي

ضرب من الغناء معروف في أقطار بلاد الشام والعراق ويغنى بعدة طرق وإيقاعات

متنوعة تبعا للبيئة التي يوجد فيها. إلا أن السلامة انفردوا عن غيرهم من السوريين بإيقاع رتيب ذي مقياس رباعي الإيقاع.

على الوحدة الكبيرة :

شاهد

كل النجوم غابو

من طلع نهود الترف

لا خدمتو جابو

دزوا على بدرهم

ومفتحا بوابو

بستان أبو الزلف

غير النشامية

ما يدخلوا الربع

ويقال أن هذا الضرب الغنائي قيل عقب مقتل سيدنا الحسين (عليه السلام) في 24 نيسان

عام 61هـ:

وأبو الزلف هو لقب الحسين الشهيد.

ع العين يا بو الزلف زلفا يا موليا، ويغنى بمرافقه الزمر أو على الرابة.

السويحلي: يقال: أنه جاء المنطقة من شط العرب. وقد غناه البعض منذ الثلاثينيات من القرن الماضي بإيقاع ونظم طويل الجملة الغنائية :

شاهد

طوحي يا غيمة طوحي طوحي يا غيمة طوحي

بين السما والقاع وويلاه طوحي يا غيمة طوحي

والله ظليمة والله والله ظليمة والله

بنيا بحضن شايب وويلاه والله ظليمة والله.

كما غنى البعض على وزنه " مسعد يا تنور "

مسعد يا تنور وويلاه مسعد يا تنور وويلاه يا مجمع الزينات واويلي مسعد يا تنور

مسعد قلبي غدا يفور وويلاه قلبي غدا يفور وويلاه فور الجدر عا النار واويلي

قلبي غدا يغور

الفروقة مع الدبكة لكن باللهجة السلمونية: من رواد هذا اللون الغنائي الشاعر الشعبي "محمد أحمد دلول والمعروف بأبي دلول من تلدرة. كان يؤديها على الرابة.

شاهد:

يا الله ما أحلى قدك يا ست الكل سبحان الكون خذك نور ونوار

أنا وقعت بهواكي وجسمي منعل ما في غيرك يشفيني في قلبي نار

خذك تفاح الشامي مزين بالخال ثلاث شامات على خدودك وصورة الهلال

عيونك يا عيون المها وعنق الغزال وخصرك ناحل ومضمر خلقة جبار

كيف بسوي بيحالي وقلبي مجروح دمعي قرح لجفوني من كثر النوح
حافظ حبك في قلبي ما بقدر بوح لو قصو كل ضلوعي بحد المنشار

أغاني من التراث السوري:

كما غنى الشعراء السلامة العديد من الأغنيات المأخوذة من التراث الشعبي السوري
مثل:

يا عنيد يا يابا / بيا ولا بيك / بيش الغوازي / وكانت تدعى " بالسامري "
. وقد سمعت المطرب " معن الدندشي " يغني أغنية: " نخ الجمل قومي اركبي يا نايفة "
ومعظم أبناء المنطقة الكبار يعرفون أن هذه الأغنية سلمونية الأصل تغنى بها بعضهم في
عرس إحدى فتيات المنطقة.

القصيد:

لم يعرف السلامة القصيد إلا من خلال حكايات البدو المتناقلة في مناطق توزع
مضاربهم شرقي سلمية. وقد برز من الشعراء الشعبيين الرواة لهذه القصائد: مصطفى شتيان
أبو خضر حيث كان يقضي الليل على ربابته راويا القصة البدوية ثم مغنيا القصيد المناسب
لها.

. من الشعراء المحدثين / من الجيل الثاني / برز الشاعر الشعبي سليمان داود " أبو منهل "
في هذا الميدان مؤلفا ومؤديا، وهو يعد اليوم ديوانه الثالث في موضوع القصيد، بعد أن صدر
له ديوانان :

" النواهي "" وعطر الورد "

شاهد من القصيد:

شغف

فاض الحنين وشغف قلبي ينوحي نوح الحمام بجال عالي المصاير

قلبي تعطر من خشوف سروي
والعطر فايح من حلوم العصافير
رويم تحدر من بطون وسفوشي
بيبراله حراس عين ونواطير
همت بقفاره لجل عينه دبوشي
وكتبت اسمه على كل المعابير

المباريات الغنائية

. أما في المناسبات كالأعراس أو حفلات الطهور وغيرها. فكانت تجري فيها مباريات غنائية بين شاعرين أو أكثر.

- روى لي الشاعر الشعبي " أبو دلول " أنه في عرس أحد الأصدقاء في قريته تلدرة مطلع الخمسينيات من القرن الماضي. ضمت سهرة الرجال في أحد أيام العرس الشاعر بدر القطريب " أبو محمد " فقال في أحد أبيات العتابا :

حلي لي السابق البكره والقعود
عندا طابت النومه والقعود

خاف تطول غيبتكم ولك عود

فعلق أبو دلول معترضا وقال:

الردفة الثالثة غير منا سبة ومغايرة للمعنى، فطلب الحاضرون من أبي دلول إكماله فقال:

إن جادك فارس الهيجا والقعود
الرديني الخش في كبذك وصاب

وهذا ما كان مرة في مناسبة ثانية في مدينة سلمية حيث اجتمع كل من الشعراء مصطفى الآغا - محمد الزرزوري من الكافات، محمد دلول من تلدره في بيت أحد رجال من آل داوود. في إحدى منعطفات السهرية وجه مصطفى الآغا بيتاً من العتابا (باللهجة الغربية) القريبة من اللهجة السلمونية في الحديث وجهه ضد محمد الزرزوري فلم يرد الأخير عليه لأنفي البيت كلاماً غير مؤدب ولكن أبا دلول رد بالقول:

هجرت الكون كلو والبسيطة
خسئ من مدح نفسو والبسيطة

يا زرزوري لا تزعل ول بسيطة
لو أنو ساء من يمك أدب

احتج مصطفى الآغا على ذلك، لكن الرجال أفهموه أنه البادئ بالخطأ فسكت. بعد مرور وقت
من السهرية انقلب الزرزوري على أبي دلول وأسمعه بيتاً فيه تجريح فرد عليه قائلاً:
لا دور عليك كل الكون زرزور وخصيمك شوف أبو دلول زرزور
مدام أنو غريمك فرخ زرزور اندسر يا قلب لا تنطق عتاب
هكذا كانت تمضي سهريات الفرح لينسى المتعبون شقاءهم في الأرض وغيرها.

ثانياً: الموسيقى في منطقة سلمية

القسم الأول

آلات التراث

عرف السلامة كبقية اهل الريف السوري آلتين رئيسيتين هما: الربابة والمجوز

الربابة: كان لكل عازف عليها نغمته وبصمته على وترها وقوسها:

من أشهر عازفيها: صادق حديد / محمد صادق حديد م رفعت الحموي / علي حسن القطريب / نايف غالي / محمد دلول / مصطفى أسد / مصطفى شتيان / علي نايف فاضل / حسن حمدان الجرف / محمد خضر مغربية / فاضل فاضل /.. وغيرهم البعض من هؤلاء كان يصاحب الرباب غناءً والبعض الآخر أكتفى بالعزف.

المجوز: وعرف بالمنطقة باسم (الأرغول) وهو آلة العزف الرئيسية في الأعراس وكما كان لعازفي الربابة أسلوبهم كان ذلك منطبقاً على عازفي الأرغول أشهر العازفين في المنطقة: في سلمية /محمد عبيدو/ خرفان المحفارة / تميم ونوس / فريحين زينو/ دياب أبوطالب / حسن زينو/ محمد سليمان صالح / علوش سعد/ احمد وسوف زينو/ في تلدره: نايف محفوظ . في بري الشرقي: يوسف زيدان

(أبوتميم) يوسف رحمه وابنه ناقد.

الشبابية: جاءت " الشبابية " لتكمل دور المجوز وهي آلة محورة عن آلة الناي لكن تتميز بقطعة من التوتياء توضع في الفم بين الضاحك واللسان وصوتها حنون (فهى من القصب). وتدعى (الشيخة) عرف من عازفيها في سلمية:

سطام الحاج، دياب بوطالب، فريحين زينو

في تلدره: محمد أمين، خرفان الصوص، علي دلول.

القسم الثاني

الآلات الموسيقية الحديثة

مع انتشار التعليم بافتتاح المدارس في منتصف الأربعينيات من القرن الماضي دخلت حصص التربية الموسيقية في التدريس بدءاً من المرحلة الابتدائية وكان مدرسوها من خارج سلمية، كما انتشر المذياع بشكل أوسع ومعه انتشرت موسيقا وأغاني المدينة.

لقد أدخلت حصص الموسيقا التدريسية أنماطاً جديدة من الفنون الموسيقية وموسيقا المذياع، فاختلطت الأغاني التراثية بأغاني وألحان أهل المدن ودخلت آلات موسيقية وترية وقوسية وإيقاعية إلى سلمية.

ثم تأسس في مدينة سلمية أول نادي موسيقى باسم ((نادي الشواف)).

عام 1960م، من أشهر عازفي العود الذين عرفتهم سلمية الأستاذ يوسف الادلبي ومن المدرسين في نادي الشواف يحيى الترك

(فلسطيني جنوبي) درس في مدارس سلمية وشقيقه ابراهيم وبعد انتشار المعاهد الموسيقية في المدن التي انتسب إليها الهواة من الجنسين، عاد البعض إلى المنطقة مدرسين في المدارس على اختلاف مراحلها.

وتكرر السنين، ومعها يدخل العديد من شعراء الأغنية الشعبية القدامى مودعين الحياة الدنيا، لتغزو المنطقة موجة الأغاني والموسيقا ذات الإيقاع السريع والجملة السهلة، ولم يتبق من غنائنا السلموني إلا بقايا ذكريات في أذهان من ظل يحن إلى ذلك الماضي الجميل.

لكن التذوق الموسيقي لم يفقد طعمه تماماً فلزال البعض يحن كلما سمع أغاني ومواويل العراق الجريح، والدليل أن الإقبال على الحفلات التي يحييها البعض من هؤلاء لازالت تغص بالساهرين التواقين إلى سماع اللحن الطربي الأصيل.

. ما أصاب منطقة سلمية من انحدار في الذوق الفني العام وغزو الموسيقا الصاخبة والأغاني الاستهلاكية

لا يشذ من باقي مناطق قطرنا على العموم إلا أن تقدمات سبقت هذا الأمر ملحضة بالأسباب التالية:

1. قلة النوادي الموسيقية.
 2. عدم السعي لتشكيل فرق موسيقية وغنائية تراثية كمثل بعض المناطق التي سبقتنا في بلادنا الحبيبة.
 3. عدم وجود ضوابط رسمية وأهلية تضبط مروجي الموسيقى الهابطة.
- فأماكن بيع الأقراص المضغوطة وأشرطة التسجيل صارت بالمئات وصارت صفة من لا صفة له. ولتكتمل الصورة وضوحاً.
- تجد العديد من المؤدين للغناء في جوقات همها كسب العيش ومطاردة المال.
- تحيي حفلات الأعراس في كل المناسبات، على أنغام آلة الأورغ المتطورة، بصخب وضجيج، وعلى إيقاعاتها تهتز الأرداف وتتشابك الأذرع، يخرج الحاضرون منها والدهشة تعلو وجوههم مما شاهدوه من أجساد عارية وموسيقا صاخبة وأغاني هابطة، ولسان حالهم يقول: رزق الله على أيام زمان.

ملاحظات:

1. ق تلفظ جيم مصرية.
2. ك تلفظ كما يلفظ حرف (CH) كما في كلمة CHAIR

الفصل الحادي عشر

عاميتنا غالية علينا كفصحانا

((دراسة في اللغة العامية))

أ . علي عواد

قد يظن بعض القراء أنني أطالب استبدال اللغة العامية باللغة الفصحى، وهذا ليس مقصدي، كل ما أرجوه هو أن تتصالح العربية الفصحى مع العامية، وتستفيد الأولى من الثانية بتبسيط قواعدها وحل العقد التي أنيطت بها لتصبح لغة سلسة سهلة التعاطي تفر من وجودها في الشارع العربي وفي المؤسسات الحكومية الرسمية، مثلما حصل للغة الإنكليزية، فمن يتعلم اللغة الإنكليزية الرسمية في المدارس أو المعاهد داخل انكلترا أو خارجها يستطيع التفاهم مع أيّ بريطاني أينما كان، أوليس هذا دور اللغة الجميلة في حياتنا ؟ وما العامية إلا ثورة لغوية مسالمة تدعو إلى الحوار والمصالحة مع الفصحى لتشكيل مجتمع لغوي موحد، وهذا ما نلمس بواده في لغة صحافة اليوم التي تميل إلى التبسيط اللغوي، وهي ما يسميها المثقفون حالياً " اللغة الوسطية " وكما يقال: أول الغيث قطرة.

إنني لا أتحدث بلغة المبالغة ولا أطرح المستحيل، فلا شيء مستحيل أمام النية الصادقة والإرادة الصلبة والمتابعة الدؤوبة، ولا أنحو إلى التسويق لعمل أعمل عليه بهذا الحجم الضخم، فمشروع تعديل اللغة الفصحى بالتوافق مع العامية المطروح هو مشروع مؤسساتي يتطلب تعاون أكثر من دول عربية لإنجازه، وما مطالبتني به إلا صدى لأصوات تطالب به منذ سنوات طويلة، فهو مشروع بناء صرح لغوي ضخم يكون فتنة لقاصديه، وما مشروع المتواضع إلا لبنة في جدار هذا الصرح، وقد كتبت على هذه اللبنة " اللغة العامية السلمونية"، والغاية منه جمع الكلمات السلمونية وإظهار التوافق المفرداتي المعجمي الكامل أو النسبي مع ما تصادفه من مفردات عربية فصيحة في المعجم والتهئية لمعجم اللغة العامية السلمونية، ومع بساطة المشروع كما يبدو للوهلة الأولى، إلا أنه يحتاج إلى جهد لا يستهان به بالطريقة التي أتبعها، وهذا أمر ليس بغريب، لأنه يوجد معاجم للغة العامية المحلية في عدة مدن سورية،

كدمشق وحلب واللاذقية، كما قيل لي، ولكن طريقة التنسيق مختلفة، كما أن معاجم اللغة العامية دارجة في البلدان الأجنبية، وأنا أملك واحدا منها للغة العامية الأمريكية، فاللغة العامية لمنطقة ما تعكس ثقافتها ويستشف منها البنية السوسولوجية لهذه المنطقة. وهي المدخل المريح لتمازج الثقافات الداخلية والخارجية، ينطق بها الطفل كلماته الأولى وتختزن ذاكرته كلمات أبويه، مغلفة بعاطفتها نحوه مذ يدرج حتى يفارق الحياة، وهي الوسيلة السهلة للتواصل بين الناس في الشارع وفي جلساتهم وفي العمل وفي أي مكان كان، هي معنا ومن صلبنا كالشقيق الذي يعيش معك ليل نهار تحت سقف واحد، كما أننا لا ننكر بأنّ الفصحى كالصديق الذي تتعرف عليه في المدرسة وتتعلم صداقتك معه كلما ترقيت في صفوفها، وزادت قراءتك ومطالعائك.

لم يكن مشروعني وليد موقف طارئ بل بدأ كتسليية ثم تطور إلى رغبة وانتهى بمشروع بقصد الاستفادة والإفادة، فمذ بدأنا بقراءة النصوص والأناشيد في المدرسة، ثم تابعنا وبدأ اهتمامنا بالمطالعة، كنا نرتاح لكلمة ترد معنا ونحن نستخدمها في العامية فنشعر وكأننا شركاء في النص، وكأن الشاعر جارنا يسكن في حارتنا، وكل طالب يترقى في المدرسة ويشعر أنه أصبح قادرا على التعبير عما في داخله وعن بعض الحوادث الطفولية الصغيرة في اللغة العربية الفصحى بدأت في الصف السادس، وكنت بداية المرحلة الإعدادية أدرج في كتابة بعض الخواطر واليوميات ببضعة أسطر، ثم زادت تلك الأسطر في الصفوف التي تلت حين بدأت أعبر عن بعض المواقف بلا حرج، وعندما شرعت بالكتابة الوصفية لأقوي كتابتي الإنشائية صرت أحتاج إلى المزيد من المفردات خاصة عندما كنت أتناول وصف شيء منفرد كشجرة أو ساقية أو جبل أو رجل مسن أو طفل.. إلخ، كنت أضطر إلى الاستعانة ببعض الكلمات العامية بدل كلمات الفصحى العاصية علي أو ألتفّ عليها بتعابير كنت أجدها مناسبة، ولما تعلمت البحث عن معاني الكلمات في المعجم وجدت أن العديد من المفردات التي أستخدمها مدرجة في المعجم حرفيا أو محرفة، فأخذت أجمع تلك الكلمات وما أصادف على شاكلتها في دفتر صغير وأعلم بها أصدقائي المحبين للمطالعة الذين سرّوا بها، وصرنا نتعاون في جمع المفردات العامية - لفصحى ونبادلها فيما بيننا، وكان الكتاب يلازمنا كملازمة النرجيلة لشريحة واسعة من جيل اليوم، بعد ذلك تولدت عندي رغبة لأنّ "أوسع

البكار" كما يقال في عاميتنا - وأخذت أجمع المفردات العامية بشكل عام مع بعض الأقوال والأمثال في دفتر جيب أكبر حجما من السابق فجمعت كمًا كبيرا منها واعتبرته مرجعا تراثيا قابلا للزيادة ولكن دون تنسيق، فتركته راقدا بين كتبي ودفاتري في مكتبة أهلي واكتفيت به كمحزون تراثي سلموني خاص لسنوات تلت، بعد دراستي الجامعية وإطلاعي على تطوّر اللغة الإنكليزية ودور العامية فيها، كما ذكرت بلمحة موجزة عنها، عاد اهتمامي من جديد بعاميتنا السلمونية وعلاقتها المعجمية مع العربية الفصيحة، وللعمل على هذا الموضوع بطريقة جديدة تكونت في ذهني مع أنّها تتطلب جهدا ليس بقليل، وهي قراءة المفردات المتسلسلة هجائيا لكل حرف في معجم عربي من ألفه إلى يائه وتسجيل الكلمات التي تتوافق مع عاميتنا في دفتر خاص، ألا أنّ الظروف التي يمر بها المرء في هذه البلاد من خدمة إلزامية إلى البدء في تكوين أسرة ثم السفر والتنقل وعدم الاستقرار تجعل موضوعا كهذا ليس من الأولويات، بعد أن استقررت أخيرا في سلمية شعرت بأنني أستطيع أن أنفذ الفكرة التي لم تمح من ذهني، ولم أكن أسميها مشروعا بل عملا مفيدا لي ولكل مهتم بالأدب، ولكن عملي التدريسي زاحمني وكان له القسط الأكبر من وقتي لأنّ التدريس يبقى مسؤولية وجدانية لخدمة الأجيال الناهضة التي خطت طريقها المشرف كسابقها من الأجيال، وما نحن كما يقال عنا إلا شعلة تتير لهم هذا الطريق، خاصة إذا رافق هذا العمل جهود إضافية كإصدار نشرات توضيحية للطلّاب والطّالبات، أو إعادة تأليف أحد الكتب المعتمدة والمقررة في المنهاج الدراسي مدعوما بالرسومات الإيضاحية ليكون كتابا مرافقا ومفيدا كما فعلت بناء على طلبهم، لكتاب القواعد الانكليزية المقرر في منهاج البكلوريا السابق، أو تقليص كتاب مقرّر وإغنائه بالتمارين المشابهة لأسلوب الامتحان لتخفيف العبء عنهم واختصار الوقت قبل الامتحانات، كقصة "مدينتين" المقررة في منهاج سابق أيضا، وكان لتلك الجهود صدى جيّدا ودعما لسمعة مدارسنا خارج سلمية، مع ذلك خصصت جهدا مرافقا لعملي التدريسي لأعمل على أول معجم عربي وقع بين يدي ولأنفّذ الفكرة التي طرحتها وبالطريقة المتبعة التي ذكرتها، مع أنّ تلك الطريقة قال عنها بعض الزملاء عندما طرحت فكرتي أمامهم بأنها ليست صعبة فحسب بل مستحيلة، وعرضوا طرقا أخرى لم تكن مجدية منها مثلا استعراض المقررات المدرسية من الصف الأول فما فوق، وعندما أفصحت لهم بأنني أعمل منذ مدة بطريقتي التي طرحتها، فوجئوا ثمّ تمنوا لي التوفيق والنجاح بكل أريحية.

كنت أتابع كلمات المعجم كلمة تلو الأخرى دون قراءة شروحها وأقف عند الكلمة التي تهمني لأقرأ شروحها وأقابلها مع العامية السلمونية ثم أضيفها إلى الكلمات التي أجمعها بالتسلسل في دفترتي، ومن المؤكد أنّ عملا كهذا في الظروف التي أوردتها لا بد أن يكون بطيئاً ويستغرق زمنا طويلا ولكن كما يقول المثل: لا تخف من السير البطيء ولكن حذار أن تظل واقفا فركبت ظهر السلحفاة وتابعت العمل، إلا أنّ الجبل الذي رأيته من بعد وظننته سهل الارتقاء أخذ يطالبني بجهد لم أكن أتوقعه ولكني قبلت التحدي واستمررت كمن يركب سيارة قديمة أبهما الزمن وأنفذتها الشفقة من مقبرة الآليات، استمرت الرحلة لأكثر من سنتين حتى وصلت إلى قمة ذلك الجبل، فغمروني حبور النجاح، ولكن بعد أن تأملت ما أنجزته شعرت بأن العمل يمكن أن يكون أوفى لو أضفت له مفردات جميلة كثيرة العدد، خلقتها ورائي في المعجم يمكن أن تثري ذخيرة مفرداتنا، والتي لم أتطرق لها لأنها لم تكن مصاحبة لعاميتنا السلمونية، وبما أن الغاية من عملي هي الاستفادة والإفادة اللغوية عدت من جديد إلى خط البداية، إلى حرف الألف في معجم آخر أوسع وأغنى من المعجم السابق وفيه يحدد أصول المفردات الدخيلة كما يسمونها، من "أرمية وسريانية وفارسية وتركية ويونانية.." ، وبعد أن بدأت شعرت بأنني أصعد جبلا أعلى وأصعب ارتقاء من السابق، ولكن شعور التحدي والرغبة في النجاح دعما تصميمي على المثابرة وشعرت بأن عملي بدأ يتخذ طابع المشروع الذي يتطلب جهدا وأناة كبيرين، فقررت أن أستبدل سيارتي بأخرى أحدث منها، ولكنني لم أحظ سوى بواحدة عثور فرضها عليّ ضغط العمل من جديد، ولكن من ينجز عملا يعده صعبا لا يستصعب أيّ عمل آخر حتى لو كان أكثر صعوبة ، فتابعت مشروعني الجديد سلحفاتيّا مطولا بالي كي أجعل الوقت يملني ولا أملّه، فطال الوقت أكثر من ذي قبل، لأنّ علي هنا أن أقرأ شروح المفردات كلها بالتفصيل كي أختار من معانيها ما أحبّه ليتشكل معي معجم مغربل للعربية الفصحى بما يحويه من المفردات المتأخية مع عاميتنا السلمونية.

عندما بدأت الأحداث المؤسفة عام 2011 وتطورت وغشى دخان الحرب سماء سوريا وأخذت الحرائق تلتهم جسدنا شيئا فشيئا، تبعثر الناس مذعورين يطاردهم شبح الموت وهم ينشدون الأمان في أماكن لم تصلها الحرائق بعد، وأصبح القتل متعة، والخطف لطلب الفدية أو الذبح تسلية ومصدر غنى لحتالة المجتمع وشذاذ الأفاق، وكان ما كان، ربع سكان سوريا

تبعثروا داخلها والذعر يلاحقهم، والربع الآخر تشرذ نصفه في دول الجوار والخوف والإذلال يسكنهم، ونصفه الآخر هاجر إما طوعية أو رهبا إلى ما وراء البحار حيث الرعاية بشتى مظاهرها تحتضنهم، فكان لسلمية نصيب لا يستهان به من النصف الثاني للربع الثاني، ولم يكن أحد يتوقع أن تكون هجرتهم بالآلاف رغبة أو رهبة ولشد ما آلمني في تلك الصورة المفجعة أولئك الأطفال الذين سلبوا الخوف من قلوب الكبار بارتجال خوفهم وكأنهم ببكائهم وصراخهم يحملون آباءهم لعنة وجودهم في هذه الحياة الظالمة التي لا تراهم.

سوف يدخل أطفالنا المدارس هناك ويكونون صداقات ويمرحون في أماكن سكنهم ويألفون الأماكن بحجرها وشجرها ومائها، وستصبح تلك المواضع مرباهم يحنون إليها مثلما نحن نحن إلى حاراتنا في سلمية إن بعدنا عنها، كما يقول الشاعر المتنبي:

أحبّ حمصا إلى خناصرة وكل نفس تحبّ محيّاها

قد يصبح الزمان عدو لنا وأخشى ما أخشاه أن يصبح وليفا لأطفالنا في غربتهم مع درجة السنين، وهنا أقف لأنحني احتراما وإكبارا للغرب الذي وقر لنا سبل التواصل مع أولادنا وأحفادنا بالصوت والصورة، تقريبا من بعض، وتبقى وشائج التواصل الزاخرة بالمحبة زهرة نضرة دائمة التآلق، لا تذبل مع تناوب الفصول، تشرب من ساقية الغربة وترتوي من ينبوع الوطن.

فبعد أن وصلت إلى حرف الميم في مشروعني الجديد توقفت مع تفجر الأحداث وتنامي الهجرة مذهولا والحسرة تكاد تبكيني، فجاشت عواطفني وتهولت حتى كادت أن تتكرني رؤياي، فخاطبت السماء مستغيثا بها فإذا بالوقر قد أثقل سمعها وما من مجيب، فجثوت على أرضي التي نشأت عليها كمن يريد الاعتراف فاحتضنتني برقة كالأمّ الرؤوم وحوّلتني في حضنها إلى طفل شاك يللم ماضيه الطفولي بكلمات منمنمة من تربتها ويسطرها رسالة يخاطب فيها أجيال اليوم ويناشد الآباء في غربتهم أن يقرؤوها إلى أطفالهم الذين خطفهم غول الغربة المرسل من غياهب الإجرام ظلما وتحديا، أن يقرؤوها لهم كتهويدة في لحظات الصفاء وكحكاية تسرهم وتمتعهم وقد تضحكهم أحيانا وتشجعهم لتدغدغ عواطفهم الغضة، وتزرع فيها لتنمو مع نموهم علنا نجني منها ثمارا مفيدة وجديدة بشكلها ولونها ومذاقها فيعود بها إلينا من

يعود منهم، رسالة تحكي عن قسوة الحياة التي عاشها أجدادنا وآباؤنا وكيف لينوها بعزائهم الجبارة ونعموا خشونتها بصبرهم كي ننعم نحن فيها، إن كانوا في حقولهم أو خارجها، وعن الأمهات الصابرات اللاتي انجبل عرقهن بطين بيوتهن وغسل عتباتها في غياب كامل لوسائل العون والراحة الآلية والكهربائية التي نستخدمها اليوم.

أعمال خطّت لنا تراثا نتأسف عليه ولكننا نكبر به اعتزازا، فشعرت أن تلك التراثيات لأبد من تضمينها في كتابي، مع أن غيري من المهتمين بهذا الجانب لم يقصّروا في التعامل معه أيضا كأنّ أروي كيف كنت أرافق والدتي وأنا طفل مع انبلاج الفجر إلى ساقية الغندورية، التي كانت تخرق حارتنا مع لفيف من الجارات لغسل ثياب الغسيل (المعدة للغسيل) بالمخباط ومادة الإثنان عندما لم تكن مواد الغسيل ولا الغسالات الآلية معروفة بعد، وأحكي عن تصنيع الشعيرية في البيوت في الوقت الذي كانت تجهلها أسواقنا، وعن الحصاد وشقائه مع الرسم الموضح لعدة أدوات الحصاد "كعراية الرجيد والحيلين" وغيرهما إلى ما هنالك من صراعات مع الحياة لتدجينها وارتقاء غواربها، فكان أهولنا يحولون العسر فيها إلى يسر بتعاونهم، لا بل وكانوا يحولون خواتيم شقائهم إلى أفراح، فالصدق في العلاقات الاجتماعية من تعاون ومحبة وتسامح واحترام حق الجيرة والإضافة والنخوة في الشدائد والحرص على مصلحة البلد والآخرين هي الخصال التي حاولت إظهارها على حقيقتها من خلال التراثيات التي ذكرتها وبعض الإلماحات في الشروحات، وهي السجايا التي بنت سلمية وجعلتها منيعة بتسامحها وشهامتها وتعايشها مع كافة الطوائف والأعراق والأديان والقوميات مما جعل منها مرجعية حيادية في المنطقة، وهنا يناشد ذلك الطفل الكبير جيلنا الحالي للحفاظ قدر المستطاع على هذه السمائل، لأن التخلي عنها سوف يدمر مدينتهم ماديا ومعنويا ويجعل منهم "لحقة" للآخرين، لأن ضياع الأجيال الناهضة هو الضياع الحقيقي المدمر لا دمار المباني، كما يتمنى أن تكون أجيالنا كأشجار السر وتعجز العواصف عن اقتلاعها وتظل شامخة ثابتة الجذور مهما مالت أو انحنت أو تهشم من أغصانها.

واقعنا صعب وما يحز في النفس ويؤسف له هو أن أجيالنا المعاصرة توجّه إلى نكران ماضيها بل وللهزء به بلا وعي أحيانا، إن جاز التعبير، كي تعمى عن التطور الطبيعي للمجتمعات، من تغير في اللباس وتخلّ عن بعض العادات والتقاليد التي تفرضها ظروف

معينة وتزول مع زوال تلك الظروف إلى ركوب الطائرة بدل الحمارة، مع ما يرافق ذلك من إعفاءات لمفردات وعبارات عن مهامها في اللغتين الفصحى والعامية، فتظهر أحيانا بعض الأصوات التي تظن بأنها تفاكه القارئ أو المستمع وتمتعه بانتقائها لبغض الكلمات والعبارات السلمونية الثقيلة في لفظها، من قديمها وبعض حديثها، وإبرازها بتشدقهم أو بأسلوب عرضهم لها لمجرد إضحاك القارئ أو المستمع فقط، فيكونون بهذا الشكل قد وقعوا في مصيدة جهلهم وفتحوا بابا من الهزء لا يفضي إلا إلى الإقلال من هيبة من كان ينطقها من آبائهم وأجدادهم، الذين بنوا لنا جميعا سلمية بعزائمهم الجبارة لنحيا تحت سقفتها ونمرح في ديارها وتركوها أمانة في أعناقنا، ومن يسخر من ماضيه أو يتكرر له يعيش حاضرا مهلهلا بلا أي مشروع ويطوى في مشاريع الآخرين، أما إذا كان الاختيار منوعا ويقصد الإفادة كعرضها لتعريف أجيالنا الحالية بالكلمات والعبارات التي تقادمت مع مسيرة الزمن وتغير الظروف وربطهم عاطفيا مع ماضي أجدادهم، أو للدراسة وزيادة التعريف بها كتيان أصولها العريقة أز ربطها مع ما يمثّلها أو يقاربها بالفصحى أو لتحليل اللهجة أو للحفاظ عليها كتراث نجلّه ونفخر به، فهنيئا لهذا الجهد وطوبى لمن ينفذه، وكلنا يعلم أنّ أية لغة في العالم تحتضن مفردات وعبارات مجلجلة كقصف الرعد وصلبة كالصخر ورقيقة كانسياب الماء وشفافة كنسمة الصباح على البيادر لتتعامل مع المواقف المتنوعة كتتنوع انفعالات وسلوك الأحياء وحكاية أهواء الطبيعة.

أخيراً أعود إلى موضوعي الأساسي مضيفا معجما ثالثا ليعيدني من جديد إلى نقطة البداية ولأنتبّع مفرداته مع شروحاتها وأقارنها مع مفردات سابقة علني أجد جديدا مما أبغيه، وشعرت بأنّ التراثيات التي أضفتها قد وثّقت رسالتي إلى أطفالنا في غربتهم وإلى جيلنا المعاصر، وبأنها رديف ثالث للكتاب ينبض بالمتعة والحياة، وهكذا يمكنني القول أنّ كتابي الذي لم يكتمل بعد، يحمل في طياته ثلاثة مشارب وهي:

(1) **معجم بالعربية الفصحى**، مغربل بناء على قناعاتي الشخصية، يتضمن كثيرا من المفردات التي تتلاقى مع عاميتنا السلمونية، وأخرى لا علاقة لها بعاميتنا بل للإفادة في الاطلاع عليها، منها ما هو مألوف للقراء ومنها ما هو جديد عليهم كعادة المعاجم، فالفادة من الكلمة قد تكون جزئية أو كلية والقراءة فيه قد لا تكون مملّة، وهذا ما اعتمدت عليه في غربلتي، وهذا ماكنت أرغبه عندما كنت أمسك بمعجم عربي وأدخل في أحد أبواب حروفه.

المفردة مع شرحها كتبت باللون الأسود، الاشتقاقات ضمن الشرح كتبت باللون الأخضر، وتكرار الكلمة ضمن حقلها المفصول بخط مائل (/) نابت عنها العلامة (~) باللون الأخضر أيضاً، الفاصل للمعاني المختلفة للكلمة هو خطان مائلان (/./) مدغوم وسطها وباللون الأسود، وقد تركت صفتين أو أكثر بيضاء بنهاية كل باب للحرف بعنوان "ملحق" لإضافة مفردة مغفلة أولمن يود أن يضيف كلمات محبذة له أو أبيات شعر تعود قافيتها لنفس الحرف أو أية أقوال أو ملاحظات أخرى، فالصفحات حرّة له /لها

(2) العامية: كتبت عاميتنا السلمونية باللون الأحمر ليسهل التعرف عليها، منها ما هو مطابق للفصحى ككلمة "شرواك" أي مثلك، أو محرّفة ككلمة "الخرشفة" والتي تعني اختلاط الكلام، أمّا في عاميتنا فهي "الخرشفة"، فنقول: صار يخرفش تخرفش، أو بالمقاربة والاستنتاج ككلمة "أشوى" في عاميتنا أي مسّة الضرر ولكن لم يتمكن منه، "فالشوى" في الفصحى تعني ما كان غير مقتل من الأعضاء (اليدين - الرجلين - الأطراف) فالقول: "أشوى الرجل" أي أصاب شواه لا مقتله، أو تفسير لإحدى العبارات الدارجة في عاميتنا "كسر الصّفرة" والتي تعني تغلب أو قضى على الجوعة، لأنّ "الصّفّر" هو الجوع، والصفرة هي الجوعة وخلو البطن، وعادة ما يكون خلو البطن في الصباح، أمّا "كسر" فتعني هزم، تغلب على، ففي طفولتنا كنا نستخدم نفس الكلمة وبنفس المعنى عندما كنا ننتافس كفريقين، فنقول في هزيمة الفريق الآخر "كسرناهن" أي تغلبنا عليهم وقضينا على محاولاتهم.

عاميتنا كالفصحى وكبقية العاميات، بحر من المفردات والمشتقات، مهما غصت فيها تفاجئك درر منها في حديثك مع الناس أينما توجّهت، جمعت منها ما استطعت في مقابلتها مع الفصحى أثناء قراءتي لشرح المفردات، لذلك تركت صفحات بيضاء بنهاية كلّ باب حرف من الحروف لإضافة الكلمات العامية الغريبة عن المعجم.

بهذا الشكل يسهل جمع المفردات والعبارات وبالترتيب الهجائي عندما نريد أن نؤلف معجماً للعامية السلمونية، وقد عرضت المفردات العامية ووثقتها ضمن أمثلة لأنّ معاجمنا شحيحة بالأمثلة التي تحدد معنى الكلمات بدقّة، والفاصل بينها هي الشحطة (-)، أمّا الفاصل بين المعاني المختلفة لنفس الكلمة هو (/) خط مائل باللون الأحمر.

3) تراثيات: وهي ملاحظاتي وانطباعاتي عن المشاهدات والأحداث التي عايشتها في طفولتي، هي لا تمثل إلا جانباً من التراث السلموني، أمّا الجوانب الأخرى فقد كتب ويكتب عنها مهتمون آخرون بهذا الشأن، ولهم الشكر الجزيل على جهودهم، وما يحددها لي المفردات التي تعترضني أثناء متابعتي لمفردات المعجم، فتوقفني كلمة تعيد لذاكرتي ظاهرة أو حدث ما فأحبيه من جديد على صفحات كتابي، كأن توقفني كلمة "الإشنان" لأتحدث عن غسيل ثياب الغسيل المجهد على السواقي، أو فعل "حصد" فأروي مشاق الحصاد، أو قماشة "الشيت" التي كان يبيعهها مع أنواع أخرى من الأقمشة بائعون لبنانيون جوالون كانوا يفدون إلينا من لبنان ليترزقوا في سوريا، أو كلمة تذكرني بإحدى الألعاب التي كنا نمارسها ونحن أطفال وغابت عن ساحات اليوم، إلى ما هنالك من كلمات عديدة أخرى، وقد كتبت هذه التراثيات بلون مغاير هو الأزرق، فالكتاب إذا كتب بأربعة ألوان ليسهل تمييز محتواه وليمتع النظر ويشجع على القراءة بلا ملل أو بأقله، كما أن فيه صفحة قد تزيد أحياناً، من الرسومات باللونين الأسود والأبيض في نهاية كل باب حرف، وهي للإيضاح ولإضفاء مسحة جمالية للكتاب.

آخرًا، إنّ كتابي سيبقى منهلاً لثلاثة ورّاد، وارد يبتغي معجماً مهذباً بالعربية الفصحى، وآخر ينشد معجماً بالعامية السلمونية، وثالث يرمي إلى سبك رسالة تراثية ليضيّقها إلى بريد التراث السلموني.

نماذج مفرداتية

أبد: ~ أبدا وأبدا: صار أبدياً، توحّش. ~ المكان: أقفر وألفته الوحوش = تأبّد / الأوابد # القواطع، (مف) أبدة: وحش، الطير المقيمة بأرض شتاء وصيفا - أوابد الشعر: ملا تماثل جودته، وفي (عاميتنا): ما عاد احكي معو إلى أبد الآبدين - مفكر حالو مآبد، أوراخ يأبّد / أبدا للنكران أو القطع في القول.

أبر: ~ إبارا وأبرا، أبرت العقرب فلانا: لدغته / الإبرة (للعقرب والنحلة) = الحمة، (ج) إبر وإبرات - ~ البوصلة ./ المئير، المثبار: بيت الإبرة // أبر النخل: ألّقه، ذكره / الأبار: الذي يأبر النخل، (عاميتنا) الميبر: الإبرة الطويلة التخينة، كانت تستخدم في تشريح الملاحف - الإبارة،

المبيبره: بيت الإبر، وهو رقعة قماشية بحجم الكف مخاطة ومحشوة بالقطن، معظمها كانت تتخذ شكل القلب أو القرص، تعلق على الجدار وتشك فيها الإبر/ من الأقوال المحلية: فلان أزعر بيمرق من خرم الإبرة.

أَح: ~ أَحًا وأحيحا: سعل وتحنح / أَح: حكاية صوت المتوجع أو الساعل /./الأحاح: العطش /./الآح: بياض البيض، (عاميتتا): أَح حكاية صوت البروان - وفي الآرامية "أَح أَح" تعني البرد - أَحوح، أَحِيح: لزيادة الشعور بالبرد / أَح، فهمني شو بدك ؟ للاعتراض.

بشك: ~ الكلام بشكا: اختلقه وارجله /البشاك: الكذاب /.(عاميتتا): نزل بشك، إذا أعجب بشيء وذهل به /بشك كل شيء عندو: أقّر واعترف بكل ما كان يكفيه ويكتمه /البشتيكي: حذاء غليظ وثقيل وغير أنيق، (ج) بشتيكات.

بشم: ~ بشما من الطعام: أتخم، فهو بشم / أبشمة الطعام: أتخمه /البشم: التخمّة، وفي (عاميتتا): انبشم بشم: أتخم تخما، فهو مبشوم أو منبشم، (ج) مبشومين، ومنبشمين، (م) مبشومي ومنبشمي، (ج) مبشومات ومنبشومات - هالأكلة بشمتتا، يمكن ما عاد فينا نتعشى.

جكر: ~ جكرا: ألحفي البيع =أجكر وفي (عاميتتا): جاكرو أو جيكرو مجيكرا: ناهدة - بدو يجيكر ما بدو يتفهم - وعمل هالشي أجكرا أو جكرا: تحدبا /شغلنتو(فعلته) مبيني أجكرا: واضحة لا لبس فيها وقد تكون كلمة " جقر " أي ملحاح بغلاظة، محرّفة عن صفة هذا الفعل "جكر".

حرش: تحرّش به تعرّض له /حرّش بين القوم تحريشا: أغرى بعضهم ببعض، وكذلك بين الكلاب وما شكلها، فنقول: حرّش على فلانا /عامينا ضربتو لأنو هوي تحرش فيني - وفلان أكل قتلة لأنوب يتحرش بالنسوان - كما نضيف حرف الكاف، فنقول: حركشو تحركش، أي حرّضه ليغيظه أو ليطاوعه، وللحيوان ليثيره أو ليخرجه من محبئه بأداة ما.

رمك: ~ رموكا بالمكان: أقام فيه /رجل رمكه: ضعيف /عاميتتا فلان رمك: أصبح مقعدا، فهو ريمك، ونقول رمّكو هالمرض، أي جعله مقعدا / رمك الجمل: برك منهكا.

زَحَّ: زَحَّ زَحًا :دفعه أو جذبَه في عجلة /زَحَّه عن مكانه: نَحَّاه / زحزحه عن مكانه فتزحزح: باعده أو أزاله، فتباعد وتتحَّى وفي (عاميتنا) زح شوي: تتَحَّ قليلا - زح من هاني: ابتعد عن هذا المكان - ما تزحزح: ثبت في مكانه بعناد - (الشيء مزحزح): منحى عن مكانه، أمَّا مزحزح :حرَّك من مكانه قليلا - وزحَّلي عنو، تتحلِّي عنه لأنال منه.

زعل:~ زعلا غضب واستاء / الزَّعل: الحرد والغضب (مو) وفي (عاميتنا) زعل منو، فهو زعلان، (ج) زعلانين، (م) زعلانة، (ج) زعلانات - لا تزعلوه أو تزعلوه (للطفل)، أعطوه شو بدو - فلان زيعل فلانه، فهو مزيعلا: قاطعها ولا يكلمها، فهني متزيعلين.

سَخا:~ الرجل سخاء: جاد وصار كريما، فهو سخيّ وهي سخيّة، (ج) سخايا، سخيّات /السَخاء والسَخاوة: الجود والكرم / تساخى: تكَلَّف السَخاء وفي (عاميتنا): ما بيسخى يشتري فش فش درة لبنتو الصغيري، أو ما عندو سخاوي أو مانو سخيان يشتري... / فلانة دمعنا سخيّة: تبكي لأدنى أزمة.

شتر:~عينه شترا: قلب جفنها / انشترت عينه: انقلب جفنها أو انشق واسترخى، فهي شتراء وهو أَشتر، والاشتر أيضا من كانت شفته السفلى منشقة،(م) شتراء، (ج) شتر /شتر به: تنقّصه وفي (عاميتنا): صار يتشترّ فيه: ينتقصه إما بالكلام أو بتقليده استهجانا - ونقول: شتر شفتو: دلّى شفته السفلى قرفا أو استهجانا - وروبك شيتّر من وراء: طرفه منكمش ومرتفع قليلا - وشتر التوب عالغسيل: تكمش - وهالقماش بيشتّر عالغسيل.

شخط:~ شحطا على الأرض: سحبة - (سريانية)- ~ عود الثقاب: أشعله : /الشَّحطة: عود الثقاب ./)/ولا وجود لشخط) الشوحطة: الطويل من الخيل وفي (عاميتنا): شخط عود الكبريت: شحطه، والشَّخَاطة، (ج) شَخَّاطات: علبة أعواد الكبريت /شخط عالكلمة: خط عليها علامة الحذف، أمّا شخوط أو صار يشخوط عالدّفتر: رسم أو يرسم خطوطا بلا معنى، عبّاه شخاويط /شخط كم جنبو شخط: مرّ بقربه أوتجاوزه بسرعة بالغة على أو بآلية وكأنه ألهب جانبه كشخط الثقاب /فلان شاحوطة: طويل القامة، عادة ما تستخدم للسخرية فيقال فلان شاحوطة الله لا يكبرو/صار يشوخط فيه عالأرض: يسحبه ويجرره على الأرض، كما يقال: حاج تشحوط رايح جاي، لمن يلبس الشحاطة ويمشي بها محدثا صوتا مزعجاً

شقّف: الشَّقَف (مف) شَقْفَة: القطع والقطعة من أي شيء /الشاقوف- (أرامية): الملطاس (يستخدمه الحجارون) / شَقَّق الحطب تشقيفا - (سريانية عامية) في عاميتنا شَقَّف الجبسة بالنص، فالجبسة مشقوفة - الصحن رايحة منوشقفة: كسرة، (ج) شَقَقَات - شَقَّف الحطب بالفزاعة، فالحطب مشقّف- انشقق الجرن لأنو رماء من البيكاب - ما بدي الرغيف كلو، اعطيني شقفة منو، (ج) شقاقيف - لمو شقاقيف هالخبز، حرام /اشتروا شقفة أرض حد بيتن، (ج) شَقَقَات /الشقف أو شقف الزريعة: الأصيلص، (ج) شقوفي /اشتبرات اللحمة شقف راس عصفور.

شقل: شَقَلَا: رفعه - (سريانية عامية) /الشاقول - عبرانية: المطمار، وهو خيط البناء في أسفله ثقل (ج) شواقيل وفي (عاميتنا) شقل الطحنة عضهرو وفات حطا بالمستودع /شقلو عالزر ورجدو بالأرض، وهي حركة بالمصارعة كما في الجيدو/المبلط شقل أرض الغرفة قبل ما يبَلِّش: عابر الميول وزاوية الارتفاع /اشتريت شقلة بابونج بتطلع شي خمسي كيلو/بلبل **المعمرجي:** شاقول البناء- (موضح بالرسم).

صح: ~ صحّة: ذهب مرضه /أصحّ وصحّ المريض: أزال مرضه /المصحّة: ما يجلب الصحّة - الرهيلة مصحّة (ضرب من المشي كالهرولة) // المصحّ: المكان، كمستشفى، تطلب فيه الصحّة، (ج) مصحّات ومصاحّ /./صحّ الخبر صحّا وصحة: ثبت، فهو صحيح، (ج) صحاح /استصحّ الكلام: وجده صحيحا /صحّ الكتاب أو الحاسب: أصلح خطأه /./الإصحاح من التوراة أو الإنجيل دون السّفر وفوق الفصل بينهما /./الصّحاح: الأرض المستوية الواسعة الجرداء، (ج) صحاصح /./الصّحوص (من الرجال): الذي يتبع دقائق الأمور فيحصيها ويعلمها /صحصح الأمر تبينّ /وفي (عاميتنا) صحّ المريض: تعافى، أما **صحصح:** أخذ بالتعافي، فنقول: شايفو عم بيصصح، واليوم مصصح أكثر /الصّحوص: حبيبات البرد الناعمة التي تسبق تساقط الثلج فيكون له، كما نسمّيها الفراش /صحّ الخبر، فالخبر صحي أو صح /صحي وبين رايحين اليوم ؟ على فكرة /صحي هوي قرايبي بس هوي الغلطان، أنا مع الصح مع أنه... /وجهة نظرو صحيحة، أصح من وجهة نظري /صححوا أوراق الامتحانات، والتصحيح كان سليم.

صَقَعَ ~ه صَقْعًا: ضربه على رأسه /. /الصَّاقعة = الصَّاقعة /. /صَقَعَ الماء وغيره: صار باردا كالصقيع /الصَّقعة: المَرَّة من الصقيع، والصَّقيع هو تجمّد طبقة رقيقة من الماء على سطح الأرض بفعل البرودة /صَقَعَ المكان: أصابه الصقيع /أَصَقَعَ الصَّقيع الأرض: أصابها، فالأرض مصقوعة /. /الصَّقاعة: برودة الطبع (مولدة) /. /الصَّقع، (ج) أَصْقَاع: الناحية - لا أدري في أي صَقَعَ من أَصْقَاع الأرض هو، وفي (عاميتنا) صَقَعَ الجو وصقعت المي، فالمي مصقَّعة، والجو الليلة جو صقيع، أي ينذر بالصقيع، أو يمكن الليلة صقعة - أنا مصقَّع تصقيع من البرد: أشعر ببرد شديد - وانصقع الزرع، فالزرع مصقوع /فلان موبس بارد مصقع، برادته وصقاعته بيطفشو/الرَّعقة: الصَّاقعة، (ج) زعقات.

هناك كلمات قد لا أحتاج من معانيها إلا معنى واحدا فأعلمها على يمين السطر بالعلامة (*) مثل:

* - المشقة :موضع في الشمس شتاء، والفعل تشرق وفي (عاميتنا): الشميسي، والفعل: انتشمس.

* - الشطران: المَلآن إلى نصفه فقط.

* - الفحصة: نقرة الذقن.

* - شجر به: في (عاميتنا): شركلو (مصارعة).

* - الرهيلة: ضرب من المشي السريع كالهرولة، والفعل ترهبل.

* - الشَّلَاق :شبه مخلاة للمتسولين.

* - الكشكول: وعاء المتسول يجمع فيه رزقه - (أرامية).

* - القفوة: غبرة تنثر عند أول المطر.

* - رهام: المطر الخفيف الدائم، (مف) رهمة /أرهمت السماء: أتت بالرهمة.

* - الخلب: ورق الكرم.

* - السبلة: الدائرة في الشفة العليا.

- * - السنعبة: اللحمة النائلة في وسط باطن الشفة العليا
- * - العتم: شجر الزيتون البري.
- * - رمش الشيء: تناوله بأطراف أصابعه.
- * - المرماش: من يحرك عينيه كثيرا عند النظر (ج) مراميش.
- * - الرشق: صوت القلم.
- * - السكينة: الأتان
- * - لحجه بعينه: أصابه بها = تعينه = نجأه.
- * - السلوانة: حرزة يتخذونها للوقاية من العين.
- * - الأجلع : من لا تتضمن شفثاه على أسنانه، (م) جلعاء.
- * - أسجد: طأطأ رأسه وانحنى.
- * - المليل: المشوي بالرماد الحار = المملول. ومنها في (عاميتتا) المملول: وهو التراب الناعم كنعومة الرماد.
- * - نمبرشت: - (فا) (عاميتتا) برشت (إحدى طرق طهو البيض).
- * - العبّار: مفسر الأحلام.
- * - البرطيل: الرشوة /برطله :رشاه /تبرطل: ارتشى.
- * - الآسان: الآثار القديمة.
- * - الجوزل: فرخ الحمام.
- * - الزونة: المرأة العاقلة.
- * - سهوة: الحجلة، (ج) سهاء.
- * - العزف: الحمام البري.

- * - المشكاة :كوة غير نافذة توضع فيها أشياء، منها المصباح. الروزنة: الكوة - (فا) - لها دور في صناعة البرغل.
- * - أَلَتَ الطائر: خبأ رأسه تحت جناحيه.
- * - رسف: مشى مشية المقيّد.
- * - الفرزدق: الرغيف الذي يسقط في التتور، (ج) فرازق.
- * - النّاؤوس: التابوت الحجري، (ج) نواويس.
- * - الفيدس: الجرة العظيمة.
- * - الرّاب: زوج الأم / الرّابة: امرأة الأب، والريبب: ولدها من زوج سابق، (ج) أربيّة، (م) ربيبة، (ج) رائب.
- * - السّفر: الوقت بعد غروب الشمس.
- * - أناهيد: الاسم الشعري لكوكب الزهرة.
- * - النّزيع: الذي يحن إلى وطنه، (ج) نَزَاع
- * - التسنيم :يقال هو ماء في الجنة ينزل من علو.
- * - سنمار: القمر.
- * - ذكاء: الشمس.

نماذج نصيّة

كانت هناك مقدمة سجعية مع أرجوزة تتردد في السهرات كمقدمة للحكايات، كنا نردها مع عمّي "أبي علي" قبل بدئه حكاياته لنا في البيت، وهي لتتشتت الأطفال وإضفاء جو من المرح بينهم بمشاركتهم الجماعية في تردها مع الحاكي، وهنا أذكر ما حفظته ذاكرتي منها مذ كنّا أطفالاً حيث تقول:

من شكى لبكي عن دبس بعلبكي عن جيجي حبشية بتبيض البيضة وقية، سمع بخبرها السلطان ودفع فيها ميت حصان، قال: جبيوا البيضة واقلوها ويسمناتا غطوها، جابو البيضة وقلوها ويسمناتا غطوها، إجا القط المبلق أكلها واتسلق، إجا القط الحبشي مد إيدو وما لاقى شي، أنا أركد وهوي يركد.... لباب الثبانة، لاحني ولحتو ومن عزمي جيت تحتو، لولا حسان ابن أختو خلات نقرتو حمرة من الكف السختو.

أنا الكذب ما بعرف اكدبو، البرغوت قد الأرنبو، ركبت المهر، حضنت البحر من مشرقو لمغربو ما طمّتو المي إلا لركبو (ويتابع بمغامراته ومشاهداته المذهلة) ... مثل: البست الجامع وتزنت بالمادنة وامرقت من خرم الإبرة السطامولي، وقلت: الله الله.. هالباب ما أوسعو علي، ثم يتحول وهو يرجز:

من عندي درتا عالبر ومالي عزائم تتجر والمربع بيدو مر وضربة مرّو ياستار، ومن عندي درتا عاليبت ودهنت جرزحي بالزيت، ومهرتي الما إلها خيت حوافرها بتقدح نار، زمن عندي درتا عالقاع (القف جيم مصرية) ومالي غير الله الشفّاع، والراعي بيدو مقلع، وحواله كليب كتار.

ملاحظة: يبدو أن هذه المقدمة جلبها معهم المغربون السلامة في لبنان عندما عادوا إلى بلدتهم سلمية أثناء إعمارها.

نبذة من نصّ كتيبه بعنوان: "الأمّ التنور".

تغنّيك إلها ما أيها الفنان المبدع نظرة منك إلى وجه الأم التي تستيقظ مع صياح الديكة لتعجن عجينة من جديد وتقرّصه وتقصد به التنور في حملتها لتشتبك معه، وما أن تحسم معركتها معه بنجاح حتى تجلس على المصطبة منهكة بوجهها المحمر المنفّخ مسندة ظهرها إلى الحائط، ويبيدها طاسة ماء تجرع منها بهدوء لتطفئ حرّ جوفها الذي قهرت به حرارة جوف التنور متأملة كومة الخبز الملفوفة "بالميزر" والفظائر الساخنة في النّقال قربها بشغف وحبور، وإن همّت بالتوجّع "بالآخ" أحجمت بعفوية خشية أن يسلبها التعب وغفلة النعاس بسمّة النصر، فتعمّد وجهها بمسحة ماء لتزهر على شفّتها الجافيتين بسمّة تحتضن معها مشاعر الاعتزاز والرضا والتحدي دون أن تشكو أية مظلمة من القدر، وفي لحظة صفو

تلتفت إلى التنور لتبعث له رسائل الشكر والامتنان على أجنحة نظراتها، وهو بصمته وإعياه
وما بقي لديه من زفرات حامية يجيبها برسائل الاعجاب والتقدير والإطراء والإقرار بالهزيمة،
كفارسين نبيلين خاضا معركة الشرف في نزالهما، وانتصرت الأم وانحنى لها غريمها التنور
نبلا وتواضعا مقوَّسا ظهره بانحناءة دائمة لها، إن كان في حضورها أوفي غيابها.

بائع القماش المتنقل:

قرأنا عن شعراء المهجر وغيرهم من الأدباء وعن معاناتهم في بدايات غربتهم قبل أن
تغزوا أقلامهم صفحات الصحف والمجلات والكتب بشتى أنواع فنون الأدب، فامتنهوا منها لا
تحاكي عذوبة أقلامهم زلا رقة مشاعرهم كي يتجنَّبوا مذلة السؤال، منهم من عملوا كبائعين
جوالين يبيعون قطع القماش على ظهورهم كالشاعر إيليا أبو ماضي على سبيل المثال، فلم
أستغرب طبيعة تلك المهنة لأنها كما يبدو كانت شائعة في لبنان لمن لم يكن يتقن صنعة ما
أولا يملك رأسمال يزيد عن قيمة ما كان يعتله على ظهره، فيجول ببضاعته ويتعب إلى أن
تقذف به الحاجة أحيانا خارج حدود بلاده فكان يأتي منهم لآلى سوريا متنقلين "بالبوسطات" ثم
يتوزعون فيها سعيا وراء لقمة العيش.

كان يأتي بائع القماش اللبناني الجوال إلى سلمية بلباسه الجبلي التقليدي - شروال أسود
وطربوش أحمر، كأنه أحد شخوص مسرحيات الرحابنة، وقد وضع قطع القماش داخل عكام
أسود (ثوب أسود كالملاءة) يحمله على ظهره وقد قرن كل طرفين منه وعقدتهما ولفهما حول
رقبته من تحت إبطه، كالشقبان، وبيده الذراع المعدني يلوح به كعصا المارشال، وقد دبب
شاربيه وتحضّر صرّة فيها زوادة الطريق يمشي بهمة ونشاط محدبا ظهره من ثقل الحمل،
قاطرا جسده وملوِّحا بذراعيه كي يحفز قدميه اللتين تعتلّيان صهوة حذاء أسود ذي كعب سميك
يطرطق به على حجارة الطريق البازلتية المرصوفة بإتقان كقارع الطبل في ساحة الوغى، كان
صوت ذلك الفارس يخترق الجدران والنوافذ معلنا عن قدومه بعبارة لا ينفك يرددّها بلا انقطاع:
"شيت.. بولبين.. كتان.. بضائع، وأشكال وألوان.

لم يكن صوته ينوس ويلين إلا عندما كانت تصلّيه شمس الظهيرة، ولم يتوقف ذلك
الصوت عند النداء ألا عندما كانت تخرج زبونة مرتقبة من بيتها مع جاريتها أو جاراتها لتتقد

بضاعته ومساومته على السعر، فتكون فرصة له لأن يرتاح قليلا في فيء الجدار، فيجلس القرفصاء مسندا ظهره إلى الجدار ثم يريح رأسه عليه بعد أن ينكس طربوشه قليلا إلى الأمام ويزفر ما أعارته رثاه من زفير حار ليعيده إليهما ملطفاً من فيء الجدار بشهيق عميق، ثم يمسح عرقه عن جبينه ورقبته بمنديل قماشي كبير ويعيده إلى زناره، وقبل أن يرد على أي سؤال يطلب جرعة ماء بعد أن هدّه التعب وأضناه العطش وجعلا من عصاته المارشالية عكازا تسانده وقد أناءه الحمل، فتأتية على الفور طاسة طقت بماء الخابية، فيعبّ منها حتى ندمع عيناه، فيشكر محسنه ويحمد الله، ثم يتفرغ لإخراج بضاعته وعرضها بعد أن يرفض شاكرا عرض الطعام عليه، فإن وفق وباع أذرا من أقمشته، خفّ عليه الحمل بقدر البيع وتابع طريقه بنشاط متجدد وصوت رنان، وإن لم يحالفه الحظ ولم يوفق بالبيع، عتل بضاعته على ظهره من جديد وتابع بخطا كليله وصوت عنان، إلى أن تغيبه زاوية الزقاق قاصدا أزقة أخرى... هكذا كان اللبنانيون يترزقون في سوريا..

الفصل الثاني عشر

الألعاب الشعبية في سلمية

أ . علي م. أمين

مقدمة

يمتاز كل شعب بألعاب متنوعة، يمارسها أفراد الشعب، وتتناقلها الأجيال، وهذه الألعاب تتميز بالبساطة والفائدة والتسلية. سادت في وقت لم تكن الاختراعات الحديثة قد غزت العالم لتحل بألعابها المصورة محل تلك الألعاب الشعبية القديمة، التي كان يمارسها الكبار والصغار في أحيائهم وقراهم. وكانت تتطور بتطور الشعب وتصبح الألعاب القديمة من التراث، يتذكرها الكبار، ويتذكرون كيف كانوا يلعبونها.

وكي لا تضيع هذه الألعاب وتنسى مع تقادم الزمن، أخذت المنظمات الدولية والمحلية تحت على توثيق هذه الألعاب. وإجراء الدراسات حولها، للحفاظ عليها كتراث يميز كل شعب عن الآخر.

وبناء على ذلك عممت وزارة الثقافة على المراكز الثقافية في القطر تعليمات توجه بها لتوثيق التراث الشعبي المادي واللامادي. فأنشأت اللجان من المختصين والمهتمين بدراسة التراث الشعبي ليقوموا بجمع ما يتيسر لهم من المعلومات والصور والمواد التراثية، والاتصال بالمتقدمين بالعمر لتحصيل المعلومات اللازمة لذلك.

وفي المركز الثقافي العربي بسلمية قامت اللجنة المشكلة لهذا الغرض وكنت أحد أعضائها بالبحث في التراث المادي واللامادي لسلمية ومحيطها.

فالتراث المادي:

يتضمن الأدوات والمواد التي كان السكان يستخدموها في العصور السابقة لتأمين معيشتهم اليومية.

أما التراث اللامادي:

فيتضمن الأمور المعنوية والممارسات التي تشكل ثقافة شعب ما، كالتقاليد والعادات، والألعاب والأمثال الشعبية والأزياء والمأكولات، وبعض هذه الأمور تطور وتغير على مر الزمن، وبعضها ما يزال موجوداً ومستمراً مع الناس في حياتهم اليومية.

وسأقتصر في بحثي هذا بالحديث عن الألعاب الشعبية، وبخاصة قبل الخمسين عاماً الأخيرة من القرن العشرين ؛ لأن هذه الألعاب قد طرأ عليها مؤخراً تطورات كثيرة وقد اختفى بعضها مُفسحاً المجال لألعاب أخرى جديدة.

كما أن تطور الحياة العامة ودخول التلفزة منذ ستينات القرن الماضي، وبعده جاء الحاسوب بألعابه، إضافة إلى الهاتف المحمول وولع الشباب بخاصة بهذه المستحدثات، جعلهم يبتعدون عن الألعاب القديمة ليمارسوا ألعاباً أخرى، ورياضات جديدة كان أهمها ألعاب الكرة (قدم . طائرة . سلة . طاولة . ألعاب قوى) وذلك في النوادي والمدارس والمنظمات الشعبية (طلّاع . وشبيبة . وغيره).

أما الألعاب الشعبية القديمة فتقسم بحسب الباحث الأستاذ غسان قدور إلى ما يلي:

1. ألعاب رياضية: - القوة والقتال.

2. الرشاقة والألعاب الخفيفة.

3. ألعاب تسلية متنوعة

ونبدأ بالألعاب الرياضية وتتضمن:

• ألعاب القوة، منها:

1- رفع الأثقال: (القيمة): وهي عبارة عن كتلة حجرية لها قبضة . وأحياناً بدون قبضة. يرفعها اللاعب إلى الأعلى.

2- رفع الرفش بطريقة إمساك الرفش من طرف قبضته ومحاولة رفعه إلى الأعلى وكذلك رفع الصمد (من أدوات الفلاحة القديمة).

• ألعاب قتالية: تشبه المصارعة، منها: المغالبة (تشبه المصارعة الحرة).

المداولة. (إمساك اللاعبين كل منهما بزناز الآخر) ويحاولان إيقاع بعضهما إلى الأرض.

المعاصرة: تشبيك الأيدي خلف ظهر الخصم.

هريو: لعبة قتالية عنيفة كانت معروفة في بعض القرى.

• ألعاب رياضية أخرى:

القفز العالي: ولها عدة ألعاب:

1. القفز عن ظهر أحد اللاعبين، ولها عدة أسماء وتختلف الكلمات المصاحبة لكل لعبة مثال: * - طارت طيارة. * - يا محلا واسكندرية. * - الزنكو خلف.
 2. القفز من فوق أرجل اللاعبين بوضعها فوق بعضها. وتدعى أيضاً الشبيرة (أوهي لعبة أخرى).
 3. القفز العريض: تشبه الوثبة الثلاثية).
 4. الفحصة: القفز من جانب أحد المجاري المائية (الأقنية).
 5. سباق الخيل: وهي رياضة تمارس في مناسبات خاصة. يقوم بها فرسان متمرسون.
- ألعاب رشاقة وجري: ومنها:

- (1) القط المربوط
 - (2) السّمركة
 - (3) دق هريس (أو دق شعير).
 - (4) الباحة
 - (5) قينا يا ماقينا قا.. وتعد قا واجد... اثنان...
 - (6) عضم ضاع (لعبة ليلية)
 - (7) المستخباية (ليلاً ونهاراً)
 - (8) لعبة الخيل (لعبة أطفال)
 - (9) عيش: جري ومداورة
 - (10) رن يا جرس
 - (11) ألعاب الركوب (قبة الحمام)
- ألعاب بالحجارة: ومنها:

- (1) القاموع: عمود أو أكثر من الحجارة المتوسطة الحجم لكل فريق، ويتم الرمي عليها من مسافة محددة لتخريبها. (سبع احجار أو سبع بلاطات)..
- (2) الهراويل: تلعب بحجارة كروية الشكل بقطر (8-10) سم تقذف عن الكتف إلى هدف موضوع على مسافة محددة.

- (3) الدوش: تلعب بحجارة مسطحة تقذف على هدف موضوع على (دق) على مسافة محددة. ويسمى الهدف (تكرعة) وتقاس المسافة من الدق إلى المكان الذي تصل إليه التكرعة بعد إصابتها بالأقدام ولها كلمات خاصة مصاحبة للعد تبدأ ب (نمز نسري....).
- (4) المستريحة، أو الطبابة أو الجنة: لعبة يرسم لها مربعات على أرض مستوية وتلعب بقذف حجر مسطح إلى أحد المربعات ثم يقفز اللاعب أو اللاعب على رجل واحدة (حجل) لدفع الحجر إلى مربع آخر...
- (5) اللاقوص أو اللاقوس: أو المسلكة: تلعب بخمس حصوات صغيرة.
- (6) ألعاب الكرات الزجاجية (الكل) أو الدحل ولها طرق عديدة للعب، وبعضها كان يصنعه اللاعبون من حجارة الصم ويسمى لذلك (كل صم).
- (7) ألعاب الكرات الصغيرة: وكانت إما حجرية أو خشبية أو قماشية: وهي:

- لعبة حارت: تلعب بكرة خشبية تدفع بعصا معقوفة من طرفها
- لعبة عرطوز: تلعب بكرة خشبية أو حجرية وتدفع بعصا معقوفة من طرفها لإدخالها في حفرة في مكان اللعب (تشبه لعبة الهوكي).
- لعبة طالع: وتلعب بكرة وبرية أو قماشية وعدد من الحفر بعدد اللاعبين.

(8) ألعاب العود: ومنها:

- النبق أو النبل: وهو عود مبري من الطرفين مع قطعة خشبية بطول نصف متر تقريباً، ويوضع النبل فوق حفرة صغيرة ويقذف بواسطة الخشبة ليلتقطه اللاعب الآخر، ويقذفه لإصابة الخشبة التي توضع في مكان النبل فوق الحفرة، ثم ضرب النبل بطرف الخشبة ثلاث مرات فيبتعد عن الحفرة إلى مسافة ما وتقاس المسافة بالخطوات، تعاد اللعبة أكثر من مرة بالتبادل بين اللاعبين.
- الماتوت: وهو عود مبري من طرف واحد (كالوتد) ترسم دائرة على الأرض ويحاول اللاعبون غرز الماتوت في وسطها مع محاولة إصابة أعواد اللاعبين الآخرين.

- الصيَّاح (الخدروف) خشبة منحوتة بشكل الأجاصة بطول حوالي 10سم تقريباً أو أقل. والحجم الصغير يقال له فنفونة. أما طريقة اللعب فتكون بلف خيط (بند) حول الصيَّاح، ويثبت طرف الخيط الآخر بإصبع اللاعب، ثم يقذفه إلى دائرة مرسومة على الأرض (خوطة) فيها صيَّاح آخر ويحاول اللاعب إخراج الصيَّاح من داخل الدائرة بصياحه الخاص بشرط أن يظل دائراً.

(9) ألعاب التسلية: وهي ألعاب فيها حركة سريعة منها شاقرقاع _ وز هون ضاعتلي حمرا (نوع من العملة القديمة). وألعاب النوى (بيش)، وألعاب المحرمة (الخطفة) (سمر ساقى)

وهناك ألعاب تسلية ليس فيها حركة، ومنها:

(1) كلعبة البدريس (البرجيس) وتلعب بواسطة قماشة مطرزة بشكل خاص فيها مربعات عديدة وتحتاج إلى عدد من الصدف الصغيرة مع قطعتي زهر.

(2) الضامة: لعبة تشبه رقعة الشطرنج. وينفي عدد الأحجار ولكن تختلف بطريقة اللعب.

(3) المنقلة: خشبة يحفر بها صفان من الحفر الصغيرة، وتحتاج إلى عدد من الحصى الصغيرة بلونين وتتم يتوزع الحصى في الحفر بطريقة خاصة، ولا تزال هذه اللعبة موجودة في نطاق صغير.

(4) ألعاب الخاتم والزنار أو أي حلقة دائرية.

(5) لعبة الكبريتة والزنار.

(6) ألعاب للأطفال الصغار: ومنها: 1 - حدِّي مدِّي. 2 - يا ستي عطيني المنخل.

3 - خض خضيضة يا فلاح. 4 - باح يا باح..

هذا عرض موجز لعدد من الألعاب الشعبية لم أتوسع بطريقة لعب كل لعبة اختصاراً

للوقت، ولأن الشرح يحتاج إلى توضيح عملي. بعض هذه الألعاب اندثر وبعضها لا يزال يمارس في بعض الأحيان.

الفصل الثالث عشر

تطور الفن التشكيلي في سلمية

أ . علي م. أمين

منذ أن وجد الإنسان على سطح الأرض، كان له ميل إلى التصوير وتقليد الطبيعة، الجامدة أو الحية، ومن هذا المنطلق نجد سكان سلمية القدماء قد خلفوا لنا بعض الإنتاج الفني إن كان عن طريق التصوير أو النحت، مرسومة على جدران الأبنية القديمة، أو منحوتات متناثرة في كل مكان، على شكل تيجان أو أعمدة أو منحوتات نافرة أو فسيفساء، مازالت مطمورة تحت طبقات من الأتربة.

وفي سلمية الحديثة أعني التي أعيد بناؤها منذ 1848م، ظهرت أعمال فنية متنوعة إن كان في مجال الرسم والنحت والأعمال اليدوية، وهي أعمال بدائية فطرية لم تكن تلتزم الأصول الفنية المعروفة. فحتى الأربعينات من القرن العشرين كانت الأعمال الفنية تتجلى بأعمال يدوية تمارسها بعض النسوة في أعمال التطريز، أو قش القمح لصنع الأطباق والأدوات الأخرى التي يستفيد منه السكان في أعمالهم اليومية. كما في أعمال البناء والنجارة كانت ترسم زخارف على الجدران بألوان طينية وبأشكال هندسية أو نباتية. وكان الفنانون الذين يقومون بهذه الأعمال مجهولين لأنهم لم يكتبوا أسماءهم.

ومنذ أربعينات القرن العشرين بدأت حركة فنية بسيطة ظهرت على يد بعض الأفراد القلائل وبخاصة بعد أن ظهرت المدارس الرسمية التي تدرس الفنون فظهر هواة يقومون بالرسم بألوان الزيت أو الفحم أو الباستيل أو بالقلم الرصاص ومن أقدم هؤلاء أبو تركي الشياحي له أعمال منحوتة من الخشب على شكل طيور أو مشارب دخان وغيرها. كما كان إبراهيم سيفو يرسم بألوان الباستيل حيث كان يكبر الصور الشخصية. وكذلك محمد إبراهيم الخالد كان يرسم بألوان الزيت. ومنذ الخمسينات ظهر أكثر من رسام أو فنان من آل سيفو: أحمد أسعد سيفو (نحت على الخشب) أحمد شريف سيفو (زيت وباستيل). وظهر قاسم شدد (نحت) باكير باكير (زيت)، مصطفى تلجة (هاجر إلى ألمانيا) نحات، أكثم زينو (رسم بالزيت)، وبرهان النظامي (رسم بالزيت).

وبعد الستينات بدأ العدد يزداد، حيث انتشرت المدارس والمعاهد، وبعد افتتاح كلية الفنون الجميلة وتخرج فيها عدد من المصورين بمختلف أنواع الفن التشكيلي (رسامين ونحاتين وتزيين داخلي " ديكور "). ومن هؤلاء غسان جعفر، وعدنان جعفر، وقصي عيزوق، ورديف أرسلان، أمين الجندي، د. أحمد اليازجي، وشعيب الحرك، وإسماعيل نصره، ومن الهواة عهد الماغوط، ود. ناصح عيسي. ومن الفنانات شهناز يازجي، صبرية فطوم، كوثر ملوحي، جلبهار هرموش، وغيرهن..

إضافة إلى رسامي الكاريكاتير من أشهرهم رائد ونضال خليل وناصر الشعار.

وعدد من الخطاطين: علي حبيب، وهاشم كردية ومصطفى عواد وأحمد علي إسماعيل. ومنير الشعراني، وسمير وطفة، وصلاح غندور، وعلي أمين، وتاج الدين سيفو، وآخرون. وهناك من عمل في تحنيط الطيور والحيوانات منهم محمد التنتان، ويوسف الجندي، ومحمد عسليّة. وغيرهم.

ولا يزال يظهر فنانون جدد باستمرار منهم من خريجي المعاهد وكلية الفنون الجميلة ومنهم هواة ما يزالون في بداية طريقهم الفني. ويمكن أن نعد العشرات منهم من مختلف الاختصاصات.

الفصل الرابع عشر

الأصول الآرامية للهجة السلمونية

أ . أمين قداحة

مرحباً، كلمة ترحيب كان يستخدمها السريان وتتألف من جزئين، الأول " مار " وتعني السيد أو الرب، والثاني " حبا " وتعني المحبة، لتصبح الكلمة: الله محبة، توافقاً مع الديانة المسيحية.

ونحن كثيراً ما يمر معنا خلال أحاديثنا اليومية أو في قراءتنا ومطالعاتنا كلمات ومصطلحات قد نعرف ما تعنيه إلا أننا نجهل أصلها وهنا نقف شبه عاجزين فنردها لأصل أعجمي دخل إلى لغتنا في وقت سابق، ولربما كان قد أسس لهذا الجهل كسلنا نحن أصحاب أعرق لغة عرفها التاريخ، وعزز لنا هذا الكسل والجهل كتابات الكثير من المستشرقين الذين جبروا التاريخ ومضامينه لغايات تخدم سياسات بلادهم بالدرجة الأولى، ولعل أهمها فصلنا عن تاريخنا وتشويهه...

لذلك أقدم هذه الدراسة القصيرة والمبسطة عليها تكون بمثابة دليل بسيط على مدى ارتباطنا بجذورنا على الأقل لغوياً دون أن يعلم ذلك الكثير منا، دون الغوص في الجوانب الأخرى.

ونحن في هذه السطور على قلتها سنرد لهجتنا العامة إلى أصل آرامي وذلك وفق ما توفر لنا من أدلة لغوية جعلتنا نتبنى هذه النظرية.

وبالتالي لابد لنا من لمحة تعريفية بالآراميين واللهجة الآرامية.

الآراميون

شعب من شعوب الشرق العربي التي اصطلح على تسميتها بـ" الشعوب السامية " خطأً والأفضل أن تسمى بالشامية أو العربية ومنها الأكاديين والآشوريين والبابليين والكنعانيين....

كان الآراميون قبائل بدوية ذات بطون وأفخاذ "بيوت" وكانت أطراف البادية العربية السورية ولاسيما المناطق القريبة في جبل بشري " بسر في النصوص القديمة" موطنها الأم وقد كانت هذه المنطقة وما يتصل بها جغرافياً موطناً للقبائل الأمورية أيضاً وذلك منذ القرن الرابع والعشرين ق.م حسب النصوص المكتشفة في إيبلا.

وأما الاسم آراميون فهو مشتق من الاسم آرام الدال لغوياً على العلو والارتفاع والسمو، والجدير بالذكر أن صيغة الاسم الشائع "آرام" غير دقيقة وهي تعتمد على الصيغة التوراتية، أما الكتابات المسمارية المقطعية فتقدم لنا ضبطاً دقيقاً للحروف فتورد الاسم منذ أواخر القرن الثاني عشر ق.م حتى أواخر القرن الثامن ق.م بضم الراء أو كسرهما أو عدم تحريكها.

اللهجة الآرامية

تتنسب إلى مجموعة لغوية أطلق عليها تجاوزاً اسم مجموعة اللغات السامية، على أن أول من أطلق هذه لتسمية في الفترة المعاصرة هو المستشرق الألماني اليهودي " شلوتسر" وكان ذلك في النصف الثاني من القرن الثامن عشر 1781م.

ودون الغوص في تلك المصطلحات لأنها ليست موضوع بحثنا يمكننا أن نستعرض أهم الميزات والخصائص المشتركة بين فروع هذه المجموعة اللغوية من خلال بعض مركباتها وأحوالها واختلافها عن غيرها من اللغات واللهجات ومنها اللهجة السلمونية وقبلها نورد جدول بالحرف الآرامي القديم مع مقابله العربي الحالي:

الحروف الآرامية	الحروف العربية
𐤀	أ
𐤁	ب
𐤂	ج
𐤃	د
𐤄	هـ
𐤅	و
𐤆	ز، ذ
𐤇	ح، خ
𐤈	ط
𐤉	ي
𐤊	ك

𐤌	ل
𐤍	م
𐤎	ن
𐤏	س
𐤐	ع، غ
𐤑	ف
𐤒	ص، ظ
𐤓	ق، ض
𐤔	ر
𐤕	س، ث
𐤖	ت

س = سين شينية.

ولتأكيد إن اللغة المحكية في سائر أنحاء سورية الطبيعية قديمة، تعود في أصولها إلى اللسان الآرامي. ولا تزال آثار اللسان الآرامي ماثلة في اللغة المحكية في سورية، نورد بعض المقاربات اللغوية، فمثلاً :

1 - من القواعد النحوية المعتبرة في العربية أن الفعل المتقدم على فاعله يبقى في حالة الإفراد:

"جاء الطالب" و"جاء الطلاب". بخلاف القاعدة الآرامية التي تقضي بالمطابقة بين الفعل والفاعل في الإفراد والجمع. ولا تزال هذه القاعدة الآرامية سارية في لغتنا المحكية. نقول مثلاً " إجوا الشباب " ويقول الولد لأمه " ضربوني الأولاد " وهذا اللسان منتشر كثيراً بين تلاميذ المدارس في سوريا الوسطى والغربية بفعل نشأتهم البيئية المحكية ذات الأصول الآرامية.

2 - في الآرامية يتعدى الفعل المتعدي إلى مفعوله بواسطة حرف الجر (اللام) وفي اللغة المحكية يقال " شفتو للصبي " " ضربتو لخيک "، " سمعتو للولد " وهذا لا تجيزه قواعد العربية الفصحى.

3 - الأسماء والصفات على وزن فَعِيل في العربية الفصحى، ترد مفتوحة الفاء في المحكية طبقاً للأوزان الآرامية. نقول في الفصحى " قَدَّيس " وفي المحكية " قَدَّيس ". وفي الآرامية قَدِيشا. ومثل ذلك في تتين.

4 - يُصاغ اسم الآلة في العربية الفصحى على وزن مَفْعَل. ويحرف في المحكية إلى مَفْعَل المطابق للوزن الآرامي. نقول في الفصحى "مَلَقَط" وفي المحكية "مَلَقَط" وفي الآرامية "مَلَقَطَا "

5 - تُصاغ النسبة في العربية الفصحى عادة بإلحاق ياء مشددة في آخر الكلمة. وفي الآرامية بإلحاق (ا ن ي) ومن بقايا ذلك في اللغة المحكية "روحاني" بدلاً من "روحي"

6 - علامة التصغير في العربية هي ياء ساكنة بعد ثاني الاسم. فنقول في تصغير درهم دريهم. وعلامة التصغير في الآرامية هي (أون) لاتزال ماثلة في المحكية، من ذلك " كلبون " (الكلب الصغير تستعمل للطفل يقصد التحبب) " شلفون " بمعنى الشاب الصغير، " بيتون " بمعنى البيت الصغير.

7 - وأثر الآرامية واضح في الضمائر. نقول في الفصحى " نحن وهم " وفي المحكية " نحنا وهني " طبقاً للآرامية.

8 - قلب الميم نوناً في ضمير المخاطبين والغائبين. نقول في الفصحى " أبوكم وبيتهم " وفي المحكية " أبوكن وبيتهن ". وهذه خاصة من خواص الآرامية.

9 - ليس في الفصحى وزن فوعل، ولكنه شائع في الآرامية، وكذلك في المحكية نقول " دوقر " (أوصد الباب).

10 - التأثير الصوتي في التلفظ. من ذلك تسكين المتحرك الأول في المحكية:

"كبير، صُغير". وتسكين المتحرك في وسط الكلمة :

" رزقُتك، حرمتُك"، علُتك بدلاً من " رزُقُتك حرمتُك وعلُتك". وتسكين ثاني المتحركين المتلاحقين " قصبَة، شُرْكة " بدلاً من قَصَبَة وشُرْكة. ومن ذلك أيضاً إشباع الحركة في صيغ الأمر من الأجوف، بينما تقضي قاعدة اللغة يقصرها:

" بيع، روح " بدلاً من " بع، رح.

✦ التبدلات الصوتية:

✦ . القلب المكاني: وهو تبادل صوتين مكانيهما في كلمة واحدة ويمكن التعرف على ذلك

بالمقارنة مع اللهجات الشرقية القديمة الأخرى ومنها: למח وأصل الكلمة מלח
خلص وأنقذ، وقولنا تجوز وتزوج

✦ . الوصل: وهو تبدل صوتي يحصل في الحدين المتقاربين لكلمتين متجاورتين مما يؤدي

إلى الحذف والإدغام نحو: גזג والأصل فيه: גזג بيت جيد صوت الناء

والطاء متجاورين في كلمتين وهما متفقان في صفاتهما لذلك تم وصلهما بالإدغام الناء

والطاء ونقول في العامية مثلاً: مسا الخير والأصل مساء الخير.

★ . التشابه في بعض أسماء الاستفهام والإشارة: למה = למה = متى

למה = למה = منو من هو

وفي الآرامية لا يظهر الحرف الأخير في الكلمة في حال جاء أحد حروف العلة في آخر الكلمة

$$\dot{V} = (\pi) x^2 \frac{dx}{dt} - \quad \delta = x^3$$

الجمع في الآرامية : يتم بإضافة النون في آخر الكلمة: $\text{ܬܠܢ} \leftarrow \text{ܬܠܢܐ}$

أو بالواو للمضاف إلى ضمير الغائب : $wy\dot{x} \leftarrow wy\dot{x}$ $\rightarrow$ $ywy\dot{x}$ أو بالياء للاسم

المعرف: $y_0 \leftarrow x \geq y_0 \leftarrow \text{نعم} \leftarrow \text{نعم}$

في العامة كذلك كثيراً ما نجمع بإضافة النون في نهاية الكلمة كقولنا: سعيد = سعيدين والأصل سعداء وقولنا شديد = شديدين والأصل أشداء .

245

أرامي قديم	أرامي حديث (حرف مربع)	النطق	المعنى
𐤀𐤌𐤁	אצר	أصر	صر - صرصر - كنز - خزن -
𐤁𐤌𐤁	ביר	بیر	بنر
𐤁𐤌𐤁	דמא	دما	شابه: مثال فلان على دم فلان أي يشبهه
𐤁𐤌𐤁	זהב	زهب	ذهب
𐤁𐤌𐤁	חבל	خبل	خبل أشل يده تخدرت
𐤁𐤌𐤁	חמא	حما	غضب واحتد
𐤁𐤌𐤁	חרב	حرب	حربة أو سيف
𐤁𐤌𐤁	חרן	حرن	حمق "حرن الحمار وقف ولم يتقدم"
𐤁𐤌𐤁	ישר	يشر	يسر وسهل
𐤁𐤌𐤁	כבר	كبر	كبرياء وعظمة
𐤁𐤌𐤁	כיצא	قيظا	قيظ حيف حار جداً
𐤁𐤌𐤁	כשרת	كشت	قطع وفرم أو قشر
𐤁𐤌𐤁	לקט	لقط	أخذ وأمسك
𐤁𐤌𐤁	מרדד	مودد	ودود - مودة
𐤁𐤌𐤁	מחא	محا	محا - أزال
𐤁𐤌𐤁	מלא	ملا	ملا - عبا الماء
𐤁𐤌𐤁	מרק	مرق	مر - عبر
𐤁𐤌𐤁	נחת	نحت	ناخ - استراح
𐤁𐤌𐤁	סס	سس	سوس - العث
𐤁𐤌𐤁	עידן	عدان	زمان الشيء - عهده
𐤁𐤌𐤁	על	عل	على: عالييت
𐤁𐤌𐤁	עם	عم	شعب - عامة
𐤁𐤌𐤁	עקה	عقه	غراب البين ينعق
𐤁𐤌𐤁	עקר	عقر	خلف - وسط الدار

לשק	עשק	לשק - עשק	פ W O
פושש	פושש	פושש	W W 7
פקח	פקח	פתח - أزهر النبات	H P 7
קדמה	קדמה	قديم - قدام - أمام	7 4 4 P
קרא	קרא	قرأ	4 9 P
רבה	רבה	نمی وکبر - ربا	Z 9 9
רדם	רדם	روم - رفع البناء	7 6 9
רשם	רשם	رشم - ختم	7 W 9
שחד	שחד	شحد - أهدي	4 H W
שלח	שלח	أرسل	H 6 W
שרש	שרש	شرش - جذر	W 9 W
תל	תל	تل " أصل أكادي"	6 +
תנדר	תנדר	تنور	9 4 4 +
סמך	סמך	سمك الشئ	7 7 7
אדר	אדר	شهر أذار	9 4 4
חיל	חיל	حیل - قدرة	6 Z H
תקל	תקל	وزن	6 P +
כרסא	כרסא	كرش - بطن	4 7 9 7
עין	עין	عين	7 Z O
עזקה	עזקה	خاتم	7 P Z O
חנטה	חנטה	حنطة - قمح	7 7 7 H
גב	גב	حفرة	9 1
מדבח	מדבח	مذبح	H 9 4 7
זמר	זמר	موسيقا	9 7 Z

٧٨	ܕܝܐ	جوا	في الداخل
ܕܝܕܝܐ	ܕܝܕܝܐ	لبك	عقائك
ܕܝܕܝܐ	ܕܝܕܝܐ	نظر	نظر حرس
ܕܝܕܝܐ	ܕܝܕܝܐ	صعق	صراخ
ܕܝܕܝܐ	ܕܝܕܝܐ	نتع	سحب جر
ܕܝܕܝܐ	ܕܝܕܝܐ	سگر	سد أغلق
ܕܝܕܝܐ	ܕܝܕܝܐ	نصل	نجا
ܕܝܕܝܐ	ܕܝܕܝܐ	كرت	قطع فصل
ܕܝܕܝܐ	ܕܝܕܝܐ	حوق	أحاط
ܕܝܕܝܐ	ܕܝܕܝܐ	زين	باع ، اشترى
ܕܝܕܝܐ	ܕܝܕܝܐ	هيك	هكذا

المصادر والمراجع:

1. فاروق إسماعيل: اللغة الآرامية القديمة، حلب 1997 م .
2. محمد محفل: المدخل إلى اللغة الآرامية، دمشق 2004 م.
3. علي أبو عساف: تاريخاً ولغة وفناً، دمشق، 1987 م.
4. أحمد محمد حمدان أبو سليم: دراسة معجمية مقارنة لألفاظ النقوش الآرامية القديمة (نقوش شمال)، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، 2000 م.

الفصل الخامس عشر

منطقة سلمية وقضية المياه

م. إخلاص الدييات

■ للمياه في سلمية حكاية!

على أطراف البادية حطت تلك الصبية السمراء رحالها "سلمية"، واستقرت لتبعث الحياة في كل ما حولها وأخذت الأرض تنبض بالحب والخير والعطاء وتتساب المياه في كل الاتجاهات وتتفجر العيون بمياه عذبة كعذوبة أبناء سلمية وصفاء قلوبهم وأخذ الخير يفيض في كل مكان حتى تجاوز حدودها ووصل إلى كل ما حولها كل ما فيها يشهد على ذلك (قناة العاشق) التي شقت لإرواء مدينة أفاميا والتي تبدأ من عين الزرقاء، غرب مدينة سلمية على شكل ساقيتين تلتقيان بعد حوالي / 5،1 / كم فتشكلان ساقية واحدة وعلى بعد حوالي / 2 / كم ثمة آثار طاحونة متهدمة تدعى (طاحونة المعبد) وذلك نسبة للمبعد الوثني القديم الذي كان بجانبها والمتهدم بمرور الزمن.

كما يروى كانت سلمية ومنذ إعمارها الأخير عام / 1848م / عبارة عن سهل يموج بالخضرة غني بالأشجار المثمرة، ويشهد على خيراتها آثار معاصر العنب المنتشرة في كل مكان. أمطار غزيرة شتاءً تشكل سيول جارفة تتجه غرباً باتجاه وادي العاصي، ربيعها يبدأ بإطلالة شهري أذار ونيسان حيث تزدهر فيه أراضيها الخصبة بكل ما يسر النفس ويسحر العين، مروج خضراء وأشجار وارفة وأزهار ملونة تتشابك على أطراف قنواتها أشجار الصفصاف والقصب والديس والزيزفون تشكل لوحة طبيعية خلابة يزيد من جمالها بعض النباتات التي تنمو على حواف سواقيها.

وفي الربيع تنفجر ينابيعها (عيونها) والتي كانت بعدد أيام السنة وذلك بسبب غزارة مخزونها المائي في طبقتها السطحية وتجري في قنواتها المعروفة في حوضها منذ القدم.

تتدفق المياه في هذه الأفنية التي تحوي فتحات في أماكن معينة وذلك لصيانتها ورفع الشوائب التي تعيق جريان المياه، وبعد مئات الأمتار تصبح المياه المتدفقة على مستوى سطح الأرض، وهنا تشكل سواقي تروي البساتين الغنية بالأشجار والمزروعات المتنوعة.

وكثيراً ما كانت هذه السواقي مسبحاً للصبية ومكاناً لصيد الأسماك واللعب واللهو بضرب الضفادع التي كان نقيقها يملأ ليالي سلمية الأسرة (باكير باكير).

ما تزال أسماء هذه العيون محفورة في ذاكرة المعمرين حيث كانت تنسب إلى اسم القرية التي تتبع أو الأسرة التي كانت تستخدم مياهها ونذكر منها على سبيل المثال:

- 1- الغندورية
- 2- عين القصب
- 3- تل عرك
- 4- بركان
- 5- عين الزرقا
- 6- الشياحي
- 7- عين خزام
- 8- المالحة
- 9- المنطار
- 10- الشادوف
- 11- مدرسة الزراعة
- 12- السبيل
- 13- بكور

والجدير بالذكر بأن (عين القصب) كانت تتبع من جنوب (ضهر المغر) من منطقة (تل العرك) وتجه شمالاً ثم تنحرف نحو الغرب مجتازةً موقع (شركة القطن) حالياً لتتساب باتجاه المنخفضات وهنا تتلقاها الأراضي الزراعية كما كانت مشهورة بعذوبة مائها الذي جُرَّ إلى

المدينة ضمن قساطل فخارية تحت الأرض لتصل إلى /حمام/ سلمية الأثري / حمام السوق / والسبيل وبعض المرافق فيها.

■ هكذا جفت الينابيع... الجفاف!!

بدأ سلمية فصلاً جديداً من القحط والجفاف في بداية خمسينات القرن الماضي حيث غارت المياه السطحية، والتي كانت على عمق مترين أو ثلاثة أمتار وبدأت العيون تجف وتزول بسبب استنزاف مياه الطبقة السطحية العذبة والاستهلاك الجائر لها وذلك لأن المزارعون اتجهوا إلى زراعة القطن المربحة في تلك الأيام والذين قطعوا الأشجار المثمرة والكروم ليزرعوا بدلاً عنها القطن والذي يحتاج إلى كميات كبيرة من المياه مما جعلهم يحفرون الكثير من الآبار ويستخدمون المضخات لسحب المياه التي أخذت تتناقص شيئاً فشيئاً..

هكذا استمر الحال حتى صارت تكلفة إنتاج القطن أكبر سعره في الأسواق وتوافق ذلك مع غضب الطبيعة أيضاً حيث بدأت حقبة انحباس الأمطار في عام / 1955 م/ مما انعكس سلباً على المزارعين الذين أقلعوا عن الزراعة الخاسرة مادياً.. فانتشر الفقر بين الناس وازدادت حاجة العائلات لمردود مادي أفضل ضاقت سبل العيش في سلمية وأصبح الفقر عنوان دائم لكل من يقيم في سلمية في تلك الفترة. مما اضطر الكثير من السكان إلى الهجرة والانتشار في مختلف المناطق السورية بحثاً عن لقمة العيش، أما من تبقى في المنطقة فقد اعتمد على الزراعة البعلية واتجه نحو التحصيل العلمي لأنها السبيل والأمل الوحيد في الحصول على وظيفة لدى القطاع العام الحكومي.

■ أزمة مياه الشرب في سلمية ومراحلها

☒ - جفت مياه الآبار على عمق (2 - 3) متر المستخدمة في المنازل مع استنزاف مياه الحوض السطحي العذبة (مياه القابلة للشرب)، ولجأ الأهالي إلى جلب بعض المياه من الآبار القريبة من بيوتهم وذلك للاستخدام المنزلية.

☒ - وفي عهد الوحدة مع مصر قام المجلس البلدي بالبحث عن حل لمشكلة نقص مياه الشرب في المدينة حيث تم إرسال فرقة هندسية تابعة للجيش المصري وبدأت بالحفر في منطقة شرقي المدينة، مرآب مجلس مدينة سلمية حالياً، وبُني خزان مائي يعتبر

الأول في مدينة ومنه تم مد شبكة مياه بدعم من الأهالي مما ساهم في وصول المياه إلى كافة المنازل، ولكن مع ازدياد الطلب المائي تم شراء الماء من أصحاب الآبار من قبل المجلس البلدي لرفدها للشبكة.

- ✕ - كما تم حفر بئر جوفي بالقرب من تل الغزالة ولكن كانت مياهه كبريتية ساخنة.
- ✕ - مع ازدياد عدد سكان سلمية عدد المشتركين والمسجلين في وحدة مياه سلمية / 27 / ألف مشترك وازدياد الطلب على الماء تم جر خط مياه من أعالي نهر العاصي في لبنان لإرواء مدينة سلمية وقريتي تلدره والكافات من أصل / 65 / تجمعاً سكنياً في محافظتي حمّاه وحمص. حيث تحتاج سلمية / 8000 - 10000 / متر مكعب باليوم هذا الخط الذي يدخل محطة تصفية في منطقة القصير مروراً بمدينة الرستن، حيث يتعرض للتعديات المستمرة وقطع المياه من قبل مزارعي القرى التي يمر فيها وخاصة في فصل الصيف، ومن الرستن هناك خط بطول ل / 22 / كم إلى محطة ضخ القنطرة التي تقع غرب المدينة لتضخ المياه إلى خزان في جبل عين الزرقا سعته / 25000 م³ / أنشأ حديثاً بتكلفة / 100 / مليون ل.س بالإضافة إلى وجود الخزان القديم سعته / 5000 م³ / ومن ثم توزع المياه إلى الشبكة العامة للمدينة.
- ✕ - أما المصدر الثاني لمياه الشرب فهو مياه الآبار الموجودة في جبال الشومرية (محافظة حمص) حيث تم استثمار (5 - 6) آبار عبر خط جسر بطول / 50 / كم لإدارة ثمانى قرى تابعة لمحافظة حمص بالإضافة إلى منطقة (سعن القبلي) في مدينة سلمية، وأيضاً هذا الخط يتعرض للتعديات من قبل مواطني القرى التي يمر فيها وحالياً يصل إلى مدينة سلمية (200 - 250) م³/ساعة
- ✕ - المصدر الثالث بعض آبار الحوض السطحي للمدينة على عمق (30 - 60) م والتي تعتمد على الهطل المطري والتي لم تجف بعد مثل البئر الموجود في منطقة بركان شمال سلمية حيث كان يغذي الشبكة بحدود (40) م³/اليوم واستثمر خلال الأزمة كمنهل لتعبئة الصهاريج وتعبئة مياه الشرب للمواطنين.
- إجراءات وتدابير (احتياجات وداعمة) لتأمين مياه الشرب لمدينة سلمية خلال الأزمة 2011م

لقد عاشت مدينة سلمية خلال الأزمة التي مرت بسورية منذ عام 2011 م انقطاعات متكررة لمياه الشرب كان آخرها عام 2011 م حيث انقطعت المياه انقطاعاً تاماً عن المدينة لعدة أشهر. ولقد تعددت أسباب الانقطاعات:

- (1) من محطة التصفية بالقصير.
- (2) من إغلاق المآخذ الرئيسي للمياه القادمة في مدينة الرستن.
- (3) من محطة الضخ للمدينة الواقعة في القنطرة حيث تعتبر من المناطق الساخنة.
- (4) عدم تأمين الوقود للمضخات بالقنطرة.
- (5) انقطاع الكهرباء بسبب انعكاس الأزمة على محطات توليد الكهرباء او خطوط الشبكة العامة.

حيث في كثير من الأيام كانت سلمية تعيش بلا كهرباء وبلا ماء... ولكن أزمة انقطاع المياه عن المدينة تركت آثاراً سلبية على حياة المواطنين الاقتصادية حيث كان يدفع المواطن حوالي (1500) ل.س ليملي خزان منزله من مياه غير معروفة المصدر ولسد حاجته لعدة أيام.. كما انعكست الأزمة بشكل سلبي على بيئة المدينة حيث اضطر الأهالي لحفر آبار في الطبقة السطحية بحثاً عن مورد لتأمين المياه، وقد حفر أكثر من (1000) بئر سطحي في المنازل والشوارع والحدائق، وفي أيام العطل حيث لا رقابة من قبل الضابطة المائية، ولكن ما لبثت هذه الآبار أن جفت بعد فترة وجيزة من حفرها.

لقد قامت وحدة مياه سلمية والجهات الدولية الداعمة ذات الصلة مثل: المنظمة الدولية للصليب الأحمر، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، مؤسسة الآغاخان للتنمية، اليونيسيف، أو كسفام...

بإجراءات وتدابير لتأمين مياه الشرب للمدينة ضمن خطة طوارئ كالتالي:

1. تركيب (13) خزان ثابت في بعض مدارس وحدائق أحياء سلمية استخدمت كمناهل للمواطنين.

2. تعبئة تلك الخزانات بالمياه عن طريق صهاريج تنقل المياه من المنهل الرئيسي لمؤسسة المياه والصرف الصحي بحماه إلى سلمية بكمية قدرها (1000) م³ / اليوم.

3. توزيع مادة التعقيم (الكلور) على أصحاب الصهاريج والمواطنين ومراقبة عملية التعقيم من قبل لجنة أعضاؤها من مديرية الصحة ومؤسسة المياه.

4. توزيع مياه الشرب على أحياء سلمية بواسطة صهاريج خاصة بمؤسسة الآغاخان للتنمية (AKDN).

5. تحرك شعبي وأهلي حيث قدمت دراسات ومقترحات تم رفعها إلى الجهات العليا والمنظمات الدولية ذات الصلة.

وبتوجيه حكومي عالي المستوى تقرر حفر (10 - 12) بئر جوفي ضمن الطبقة الغنية بالمياه على عمق (400 - 800) متر وتم البدء بالحفر.... وظهرت المياه الكبريتية على عمق (450 - 650) متر والساخنة (40 - 50) درجة مئوية. وهي مياه غير قابلة للشرب إلا بعد معالجتها عبر محطات تحلية تعمل بتقنية (التناضح العكسي) ويمكن استعراض المحطات التحلية التي تم استثمارها على الشكل التالي:

(1) محطة تحلية في الثانوية الزراعية: غزارة البئر (70) م³ / ساعة وتعطي (35) م³/ساعة

(2) محطة تحلية لبئر بجانب الشركة العامة لتجفيف البصل: غزارة البئر (65) م³/ساعة وتعطي (41) م³/ساعة وتضخ على الشبكة مباشرة وتأمين حاجة الحي الشرقي وجزء من حي المركز.

(3) محطة تحلية البئر في المنطقة الصناعية غزارة البئر (65) م³/ساعة وتعطي (44) م³/ساعة

(4) محطة تحلية في قرية تلدره غزارة البئر (60) م³/ساعة

(5) محطة تحلية في قرية الكافات غزارة البئر (60) م³/ساعة وتعطي (37) م³/ساعة

(6) محطة تحلية جدوة - عقارب غزارة البئر (55) م³/ساعة وتعطي (36) م³/ساعة

(7) محطة تحلية في الصبورة غزارة البئر (40) م³/ساعة وتعطي (35) م³/ساعة

(8) وهناك محطة تحلية في وحدة مياه سلمية تعالج ثلاثة آبار: بئر في حديقة المساكن وبئر في الحديقة العامة وبئر في وحدة المياه وهي منفذة من قبل (AKDN) ولم تستثمر بعد.

كما كان هناك عدة المشاريع نهدف لتأمين مصادر مائية داعمة واحتياجات للمدينة نذكر منها:

- 1- دراسة تنفيذ خط ضخ من آبار مدينة حماه وأمن الخط الرئيسي في موقع المصافي إلى سلمية يكون مساره مواز لطريق حماه - سلمية
- 2- دراسة فنية لحفر عدد من الآبار ضمن سرير نهر العاصي لبيان إمكانية الاستفادة منها كمصدر داعم لمدينة سلمية.

واليوم بعد صيانة محطة ضخ القنطرة وخط الجر من مدينة الرستن وحتى المحطة لضمان وصول كمية من المياه إلى الخزان الرئيسي للمدينة في جبل عين الزرقا لازالت مدينة سلمية تعيش أزمة مياه شرب تغلب عليها مسؤوليها بشكل جزئي عن طريق توزيع المياه على الأحياء وفق نظام تقنين مرتبط بنظام تقنين الكهرباء.

الخاتمة

أ. نزار مصطفى كحله

ختاماً، وبعد هذه الرحلة (النزهة) في أرجاء هذه المدينة العامرة بسكانها، الخالدة بتاريخها، لا يسعني إلا القول: ستبقى سلمية منارةً للعلم، وقبلةً للراغبين في العيش المشترك، العيش الذي نجتمع فيه على حبّ سوريا، هذه المدينة، التي طالما جمعت بين جنباتها الكثير من الأدباء والشعراء والعلماء والفنانين والفلاسفة والمفكرين، فكانت منارةً، قدّمت للآخرين، كل ما تستطيعه من المساعدة، إن على الصعيد العلمي، على اعتبارها منبعاً للمتعلمين، أو على صعيد الفكر، فهي الدوحة الغناء بمفكرها ومتعلميها، وليس ختاماً، على صعيد محبة الآخر، وقبوله.

وإن كل ما قدمناه في هذه العجالة، لا يعدو كونه غيضٌ من فيضٍ عطاء هذه المدينة العظيمة، لأن سلمية (مدينة السلام) هي أكبر بكثير من أن نختصرها في أسطرٍ قليلة فتاريخها، وعطاءاتها أكثر من أن تُعدّ وتُحصى، وهنا، لا يسعني إلا تقديم الشكر الجزيل لكل من ساهم في إخراج هذا الكتاب، إن على صعيد الكتابة أو على صعيد الطباعة والنشر، ويبقى الشكر الأكبر لجمعية العاديّات في سلمية، التي كانت وما زالت العنوان الأمثل لحفظ التراث السلموني خاصة، والسوري والعالمي عامة.

الفهرس

الصفحة

3	مقدمة
9	الفصل الأول: الخصائص الجغرافية لحوضه سلمية
23	الفصل الثاني: سلمية رحلة على جناح الزمن
57	الفصل الثالث: أهم آثار منطقة سلمية
57	- قلعة شمميميس
60	- قلعة سلمية
65	- مشهد الأئمة في مدينة سلمية
69	- قناة العاشق
78	- مزار الخضر ... مار جورجوس
81	- الباسطية
84	- طاحونة المعبد
86	- المدفن السلموني
88	- قصر ابن وردان
90	- مدينة الأندرين
91	- إسرية
95	الفصل الرابع: تطور العمارة السكنية في سلمية
111	الفصل الخامس: الحركة العلمية والأدبية في سلمية
131	الفصل السادس: المكتبات في سلمية
145	الفصل السابع: العلاقات الاجتماعية بين سكان سلمية
169	الفصل الثامن: الخيول من تراث سلمية

179	الفصل التاسع: الأزياء في منطقة سلمية قديمها وحديثها
193	الفصل العاشر: الغناء والموسيقا في سلمية
193	- الغناء في منطقة سلمية
209	- الموسيقا في منطقة سلمية
213	الفصل الحادي عشر: عاميتنا غالية علينا كفصحانا ((دراسة في اللغة العامية)....
231	الفصل الثاني عشر: الألعاب الشعبية في سلمية
237	الفصل الثالث عشر: تطور الفن التشكيلي في سلمية
239	الفصل الرابع عشر: الأصول الآرامية للهجة السلمونية
249	الفصل الخامس عشر: منطقة سلمية وقضية المياه.....
257	الخاتمة
259	الفهرس